
مكتبة
كرستينا
أولسون
مكتبة الطفل
تليجرام : هنا سور الازبكية
أكبر مكتبة رقمية
لُغْزُ صَخْرَةِ النُّسُوْرِ

كرستِينَا أُولسُون

لُغْزُ صَخْرَةِ النُّسُوْرِ



أهم جروبات على تليجرام

باحثون

هنا سور الأزبكية

غواص في بحر الكتب

قناة مصر الثقافية و الفنية

ISBN: 978 91 88863 64 5



Bokförlaget Dar Al Muna AB

Box 127, 18205 Djursholm, Sweden

www.daralmuna.com

كرستِينَا أُولسُون

لُغْزُ صَخْرَةِ النُّسُوْرِ

النّص العربي: راوية مرّة



الفَصْلُ الأوَّلُ

لَمْ يَعتقدْ أَيٌّ منهما أنَّه سيهربُ منَ البيتِ ، لَكنْ- في الواقعِ- هذا ما فعلاهُ بالضَّبْط . هَرَبَا في صباحِ أَحَدِ الأَيَّامِ مِنَ البيتِ ، وَلمْ يعودَا إِلَيهِ . عَرفَتْ بوني وجهَتَهَا ، أمَّا تشارلز فَتبِعَهَا وَحَسْبُ . استبْدَلَا الحافلَةَ الَّتي استقَلَّاهَا مرَّةً ، ثُمَّ مرَّتَينِ .عندما توقَّفَت الحافلةُ الأَخيرةُ ، كانَ تشارلز مُتَشَوِّقًا لِمغادَرَتِها ، فَقَدْ عَانَى منْ دُوارِ السَّفرِ خلَالَ الجُزءِ الأَكبرِ مِنَ الرِّحلةِ ، ونَدِمَ عَلَى تَنفيذِهِ تَعليماتِ بوني . لماذَا وافقَ عَلَى الهروبِ مَعَهَا إِلى بَيتِ جدَّتِها؟ إِنَّها فكرةٌ في قمَّةِ الغباء .

- هَلْ أنتَ بِخيرٍ؟ قَالَتْ بوني ، وأَنزلَتْ حقائِبَهمَا مِنَ الحافلةِ بِعنَاءٍ .

- طَبْعًا ، قَالَ تشارلز . لكنَّه أَدرَكَ أَنَّ المرَضَ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مُحيَّاهُ .

انطَلَقَتِ الحافلةُ في طَرِيقِهَا . ظَلَّ تشارلز وبوني وَاقِفَيْنِ عَلَى الرَّصيفِ . لَمْ يَنزلْ مِنَ الحَافِلَةِ سِواهُمَا في مَوقِفِ خَليجِ الظِّلِّ . لمْ يُحبَّ تشارلز اسمَ تِلكَ القريَةِ ؛ خَليجُ الظِّلِّ اسمٌ كَئِيبٌ .

- وَمَاذَا نَفعلُ الآنَ؟ قَالَ .

عَضَّتْ بوني عَلَى شَفَتِهَا السُّفلَى. انزلقَتِ القبَّعةُ إلى الخَلفِ قَليلًا فَوقَ رَأسِهَا. سَبَقَ وَاستَغرَبَ تشارلز حينَ رَآهَا تُحْضِرُ القُبَّعةَ قُبيلَ مُغَادَرَتِهمَا.

- أَخبَرَتْنِي أُمِّي أَنَّ جدَّتِي فيفيان تَمتَلِكُ وَاحِدَةً مِثلَها، قَالَتْ بوني. لِهَذَا سَأَرتَدِيهَا.

وَهَا هِيَ الآنَ تَقِفُ عَلَى الرَّصيفِ، وَتَحكُّ جَبهَتَها.

- أَظنُّ أَنَّ علينَا السَّيرَ في هَذَا الاتِّجاهِ، قَالَتْ.

بَدَتْ غيرَ مُتَأَكدةٍ تَمامًا مِنْ قَولِهَا، وكَأَنَّها تَشعُرُ بالضَّياعِ؛ كَمَا شَعَرَ تشارلز تَمامًا.

- هَلْ تَعرِفِينَ الطَّرِيقَ؟

أَومَأَتْ بوني.

- طَبعًا أَعْرِفُ الطَّرِيقَ، قَالَتْ.

- ثُمَّ سَارَتْ في الشَّارِعِ، تَسحَبُ حقيبةَ السَّفرِ. تَناثَرتِ الحَصَى مِنْ تَحتِ العَجَلَاتِ الصَّغيرَةِ لِحَقيبَةِ السَّفَرِ. تَبِعَهَا تشارلز مُتردِّدًا. عِندَمَا تَرَكَ بَيتَهُ كَانَتِ السَّماءُ زرقاءَ صَافِيَةً، وَمَلِيئَةً بِأَشعَّةِ الشَّمسِ؛ طَقسٌ مِثاليٌّ لإِجَازَةِ الصَّيفِ. الأَمرُ مختلفٌ في خليجِ الظِّلِ؛ السَّماءُ هُنَا غَائِمَةٌ، وَالهَوَاءُ بَارِدٌ وَمُفعَمٌ بِالرُّطُوبَةِ. أَمَّا البُيوتُ الَّتي مَرَّا بِهَا؛ بُيوتٌ صَغيرَةٌ مُنخفضَةٌ وَمُعْتِمَةٌ. كَأَنَّها مَهجُورَةٌ لَا يَسكُنُهَا أَحَدٌ.

تذكَّر تشارلز السَّببَ في وُجودِهمَا هُنَاكَ. تَذكَّرَ أَنَّ البقاءَ في البيتِ كانَ خيارًا أسوأَ لهُما. ارتَجَفَ مِنَ البردِ. مَطرٌ أَو شَمسٌ مُشرِقَةٌ... لَا يَهمُّ. المُهمُّ أَنَّهما هربا من والدِهِ وَمِنْ غَابرييلا. غَابرييلا هِيَ وَالِدَةُ بوني؛ وَالِدَةُ

بُوني الَّتي تَزَوَّجَتْ وَالِدَهُ مُنذُ سِتَةِ أَشْهُرٍ . في عِيدِ رَأسِ السَّنَةِ . لَقَدْ أَحَبَّ تشارلز غَابرييلا ؛ لِأَنَّهَا تَفهَمُ الأُمُورَ المُهِمَّةَ ؛ أُمُورٌ مِثلَ عَدمِ رَغْبَةِ تشارلز بِأَنْ تُصبحَ هِيَ أُمَّهُ الجَدِيدَةَ لِمُجرَّدِ أَنَّ أُمَّهُ مُتوفَّاةٌ .

تَحدَّثَ تشارلز وبوني مِرَارًا عَنْ وَالِديهمَا ، خَاصَّةً بَعدَمَا حَلَّ الرَّبيعُ ، وَدَعَا وَالِدُهُ الجَمِيعَ إِلَى اجتِمَاعٍ خَاصٍّ بِالعَائلةِ . لَقَدِ اختَرَعَ وَالِدُهُ مَا يُسَمَّى بِاجْتِمَاعَاتِ العَائِلَةِ بَعدَ لِقَائِهِ بِغابرييلا .

– لَدَيَّ أَنَا وَغابرييلا أَخبَارٌ سَعِيدَةٌ جِدًّا نُرِيدُ أَنْ نَزفَّهَا إِليكُمَا ، قَالَ .

لِحُسْنِ الحَظِّ قَالَ إِنَّ الأَخبَارَ سَعيدَةٌ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ عَابِسًا حِينَ قَالَ ذَلِكَ . ظَنَّ تشارلز أَنَّ أَمرًا فَظِيعًا قَدْ حَدَثَ . ثُمَّ قالَ والِدُهُ كلامًا ليسَ بِمُحَبَّبٍ عَلَى الإِطلَاقِ بَلْ فَظِيعًا وَحَسْبُ .

– سَوفَ نَنتَقِلُ إِلَى لَندُن في فَصلِ الخَرِيفِ .

– مَاذَا؟ قَالَتْ بوني . وَماذا عنّا؟ أَنَا وَتشارلز؟

ضَحِكَتْ عِندَهَا غابرييلا .

– كَمْ أَنتِ حُلوَة ، قَالَتْ . سوف تنتقلان معَنا بالطَّبعِ .

– أَبَدًا ، قَالَتْ بوني .

– أَبَدًا ، قَالَ تشارلز .

ثُمَّ تَصَافَحَا بَعْدَ أَنِ اتَفقَا عَلَى أَلّا ينتقِلَا إِلَى لندُنَ مَهْمَا كَلَّفَ الأَمرُ . وَهَذَا ما كَتَبَاهُ عَلَى الورقةِ الَّتي تَركَاهَا عَلَى طاولةِ المطبخِ قَبلَ مُغَادَرَتِهما :

– «لَنْ نَعودَ إِلَى البَيتِ قَبلَ أَنْ تَعِدَا بِعَدَمِ الانتِقَالِ إِلَى لندنَ .»

الخُطَّةُ الَّتي وَضَعَاهَا هِيَ مُغَادَرَةُ البَيتِ طَوَالَ فَصْلِ الصَّيفِ ؛ كَي

يُدرِكُ كُلٌّ مِنْ إِبّه وَغابرييلا أَنَّهُمَا لَا يَستَطِيعَانِ اتِّخَاذَ القَرَارَاتِ مِنْ دُونِ أَنْ يَأخُذَا رَأيَ تشارلز وبوني أَوَّلًا .

غَيرَ أَنَّهمَا لَمْ يَكُونَا مُتَأَكِدَيْنِ مِن قُدرتهمَا عَلَى الابتِعَادِ عَنِ البَيتِ لِفَترةٍ طَويلةٍ كَهذِهِ . سَيتَّصِلُ إِبَّه وغابرييلا بِالشُّرطَةِ عَلَى الرَّغمِ مِنَ الورَقَةِ الَّتِي تَرَكَاهَا خَلفَهُمَا . لَمْ يجرؤْ تشارلز عَلَى التَّفكِيرِ بِمَا قَدْ يَحدُثُ لَو بَدَأَتِ الشُّرطَةُ فِي البَحْثِ عَنهُمَا .

ظَهرَتْ سَيَّارَةٌ في الطَّرِيقِ . نَظَرَ تشارلز إِلَيهَا وَتَنَحنَحَ .

– لَا بُدَّ مِنْ أَنَّكِ أَخبرتِهَا بِأَنَّنا في الطَّرِيقِ إِلَيهَا؟ قَالَ .

– لِمَاذَا هَذَا التَّكرَارَ؟ قَالَتْ بوني . لَقَدْ أَوضحْتُ لَكَ الأَمرَ أَكثرَ مِنْ مِئَةِ مَرَّةٍ . أَنَا وَجَدَّتِي فيفيان صَدِيقَتَانِ حَمِيمَتَانِ . إِنَّهَا تفهَمُ مُشكِلَةَ لندن بِحذَافِيرِهَا ، وَعدمَ رغبَتِنَا في الانتِقَالَ إِلَى هُنَاكَ ؛ لِذلكَ رحَّبتْ بِفكرَةِ مَجِيئِنَا لِقَضَاءِ فَصْلِ الصَّيْفِ عِندَهَا هُنَا .

– مَتَى كَانَتِ المَرَّةُ الأَخيرَةُ الَّتِي التَقَيتما أنتِ وغابرييلا بِهَا؟ سَأَلَ تشارلز .

تَرَدَّدَتْ بوني قَبلَ أَنْ تُجِيبَ .

– كَانَ ذَلِكَ مُنذُ سَنَواتٍ عِدَّةٍ ، عَلَى مَا أَعتَقِدُ .

– لماذا لَا تَأْتِي غَابرييلا عَلَى ذِكرِ جَدَّتِكِ إِطلَاقًا؟ قَالَ تشارلز .

– هَذَا لِأَنَّ كُلًّا مِنهُمَا تُبغِضُ الأُخرَى ، قَالَتْ بوني . وَهَذَا مَا يجعلُ اختِباءنا هنا بِالتَّحدِيدِ فِكرةً مُمتَازةً .

– الحقِيبَةُ ثَقِيلَةٌ ، وَجَرُّهَا مُتعِبٌ . بَدَأَ تشارلز يَشعرُ بِأَلَمٍ في ذِرَاعِه . وتَبَاطَأَ سَيرُ بوني أَكثرَ فَأَكثرَ .

ثُمَّ اشتَاطَ تشارلز غَضَبًا .

– لِمَاذَا لَا تَقُولِينَ الحَقِيقَةَ وَحسبُ؟ قَالَ وَأَفْلَتَ قَبضَتَهُ عَنِ الحَقِيبَةِ . لَا فِكرةَ لَدَيكِ عَلَى الإطلَاقِ عَنِ الطَّرِيقِ الَّذي نحنُ نَسلكُهُ ؛ لِأَنَّكِ لَا تَعرِفِينَ مَكَانَ سَكَنِ جَدَّتكِ .

استَدَارَتْ بوني ، وَقَد اكتَسَبَتْ وَجنَتَاهَا لَونًا زَهْرِيًا .

– أَعْرِفُ المَكَانَ بِالطَّبعِ! قَالَتْ . لَقَدْ عَرَضْتُ أَمَامَ نَاظِرَيكَ الصُّوَرَا!

نَظَرَ تشارلز نَظْرَةً حَوْلَاءَ إِلى أَعْلَى ؛ لِأَنَّهُ ضَاقَ ذَرعًا بِكلَامِهَا . نَعَم ، لَقَدْ رَأَى الصُّوَرَ مَا لَا يَقلُّ عَنْ أَلْفِ مَرّةٍ ؛ صُورٌ لِبَيتٍ كَبيرٍ يَقعُ فَوقَ جَرْفٍ صَخرِيٍّ .

– لَكِنَّ تِلكَ الصُّورَ لَيسَتْ حَقِيقِيَّةً ، قَالَ . وَلَا بَأسَ فِي ذَلِكَ . لَا يَهمُّنِي نَوعُ المَنْزِلِ الَّذي تَسْكُنُهُ جَدَّتُكِ . لَا بُدَّ مِن أَنَّها إِنسَانَةٌ جَيِّدَةٌ عَلَى الرَّغمِ مِنْ كُلِّ شَيءٍ . هَلْ لَدَيكِ عُنوَانُها؟ يُمكِنُنَا أَنْ نَسأَلَ أَحَدُ السُّكَّانِ هُنَا عَنِ الطَّرِيقِ .

– أَنْتَ غَبيٌّ فِعلًا! قَالَتْ بوني غَاضِبَةً . ثُمَّ هَزَّتْ عنُقَهَا بعنْفٍ جَعَلَ القُبّعَةَ تَقَعُ عَنْ رَأسِهَا . جَدَّتي فيفيان تَسكُنُ فِعلًا فَوقَ جَرْفٍ صَخْرِيٍّ شَاهِقِ العُلُوِّ . اسمُهُ «صَخرةُ النُّسُورِ» . وَأَعرفُ تَمَامًا أَينَ يَقعُ!

التَقَطَتْ قُبّعتَهَا ، وَتَابَعَتِ السَّيرَ ثَانِيَةً .

ثُمَّ تَبعَهَا تشارلز .

لِمَاذا تُصِرُّ بوني عَلَى هَذَا العِنَادِ دَائِمًا؟

عندما وصلا زَاوِيَةَ الشَارِعِ ، تَغيّرَ كلُّ شَيءٍ حَولَهمَا . فَجْأَةً ظَهرتْ سَاحَةٌ أَمَامَهمَا . ثُمَّ رَأَى كُلٌّ مِنْهُما المشهدَ ؛ جَرفٌ صَخْرِيٌّ ضَخمٌ في

الجِهَةِ الأُخْرَى مِنَ القريةِ الصَّغيرَةِ ، وَعَلَى حَافَّةِ الجَرفِ ظَهرَ مَنْزِلٌ كَبيرٌ ، وَمَنَارَةٌ ضَخمَةٌ ؛ مَنارَةٌ لَمْ تَكُنْ ظَاهِرَةً في الصُّوَرِ .

– وَاوا قَالَ تشارلز .

لَمْ يَرَ مَنَارَةً حَقيقيَّةً مِنْ قَبلُ ، أَو عَلَى الأَقلِّ مَنارَةً ضَخْمَةً كهذِهِ . وَتلكَ الصَّخْرَةُ لَيْسَتْ صَخْرَةً في الحَقيقَةِ ، فَكَّرَ تشارلز . إِنَّهَا جَبَلٌ مَائِلٌ .

– مَاذَا تَقُولُ الآنَ؟ قَالَتْ بوني بِنبرَةِ المُنتَصِرِ . هُنَاكَ ، فَوقَ تِلكَ الصَّخرَةِ بِالضَّبطِ ، تَسْكُنُ جَدَّتِي .

ثُمَّ سَارَا عبر شارع القَريَةِ السَّاكِنَةِ . وَوصَلَا أَخيرًا إِلَى الصَّخرَةِ ، وَإِلى طَريقٍ يَصعَدُ مُلتوِيًا بِاتِّجاهِ المَنزلِ . حِينَ كَانَا عَلَى وَشَكِ الانعطَافِ لِلسَّيرِ في ذَلِكَ الطَّريقِ ، التَقَيَا بِسيِّدَتَينِ مُسنَّتَينِ تَسيْرَانِ عَلَى الرَّصِيفِ وَرَاحَتَا تُحدِّقانِ بِهِمَا .

سَمِعَ كلٌّ مِن بوني وتشارلز هَمْسَ السَّيِّدَتَينِ :

– أَرْجُو أَلَّا تَطُولَ إِقامَتُهُمَا هُنا . لَا أَمَانَ هُنا لِأَحدٍ ؛ في خَليجِ الظِّلِّ .



الفَصْلُ الثَّاني

- لَكِنْ -بِحقِّ السَّماء- ماذَا تفعلينَ هُنَا؟

وَقَفَتِ الجدَّةُ فيفيان في البهو تُحَدِّقُ بِهما . خَلَعَتْ بُوني قُبَّعَتَهَا ، فَقَدْ جَعلَهَا السَّيرُ صعودًا في الطَّريق المُؤدِّي إلى الجُرْفِ الصَّخرِيِّ تَشْعُرُ بِالحَرِّ ، وتَتَصبَّبُ عَرَقًا .

يَبدُو أَنَّ هَذَا الأمرَ لَنْ يسير على النَّحو الَّذي تخيَّلتْ .

- أَلَمْ تَصلْكِ رِسَالَتي؟ قالتْ .

- رِسَالَتكِ؟ قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . لا ، لمْ أحصَلْ عَليهَا فِعْلًا . وَمَنِ الوَلَدُ الَّذي بِرفقَتِك؟

بِالكَادِ تَجرَّأَتْ بوني أَنْ تَنْظُرَ إِلَى تشارلز ؛ لِأَنَّهَا لمْ تُرسِلْ رِسَالَةً لِجَدَّتِهَا ، وَلَمْ تَتَّصِلْ بِهَا .

- هَذَا تشارلز ، قَالَتْ . أَخِي غيرُ الشَّقِيقِ .

أَلقَى تشارلز التَّحيَّةَ عَلَى الجَدَّةِ فيفيان .

- هَلْ تَسمَحِينَ لَنَا بِالدُّخُولِ؟ قَالَتْ بوني .

كَانَتْ مُرهَقَةً جَائِعَةً . لَا بُدَّ مِنْ أَنَّهما سَيُجبَرَانِ عَلَى العَودَةِ إِلَى البيتِ في اليومِ التَّالي ، أَو رُبَّمَا في هَذَا المَسَاءِ . إِذَا اشتَاطَ إِبَّه غَضَبًا ، سَوف يَأتِي إِلى هُنَا بِسَيَّارتِهِ .

شَعرَتْ بوني بِالخِزيِ . لَا بُدَّ مِنْ أَنَّه أَسوأُ هُروب في تَارِيخِ العَالَم ؛ هُروبٌ مِنْ ذَلكَ النَّوعِ الَّذي يَقُومُ بهِ الصِّغَارُ . هِيَ وتشارلز في سِنِّ الثَّانيةَ عَشْرَةَ ؛ كانَ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تُدرِكَ أَنَّ مُحَاولَتَهمَا سَتَبُوءُ بالفَشَلِ . لَقَدْ سَأَلَهَا تشارلز مَرَّاتٍ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحصَى إِنْ كَانَتْ قَدْ تَحَدَّثَتْ إِلَى جَدَّتِهَا ، وَإِنْ كَانَتْ جَدَّتُهَا قَدْ سَمَحَتْ لَهمَا فِعْلًا بِأَنْ يَختَبِئَا عِندَهَا . وَقَدْ أَجابَتْهُ بوني بِنَعَم ونَعَم ونَعَم ؛ لِأَنَّها أَرادتْ أَنْ تُؤمِنَ بِأَنَّ جَدَّتَهَا فيفيان سَتَسعَدُ لِرؤيتِهَا . عَلَى الرَّغمِ مِنْ أَنَّهُمَا لَمْ تَلتَقيَا مُنذُ سَنواتٍ عَديدَةٍ –وعَلَى الرَّغم مِنْ أَنَّ العَلَاقةَ بَينَ الجَدَّةِ فيفيان وَوَالدتِهَا قَدْ تُختَصَرُ بِأَنَّ الواحِدَةَ مِنْهُمَا لَا تُطيقُ الأُخرَى بَتَاتًا– تَحْصَلُ بُوني كُلَّ عَامٍ عَلَى هَدَايا مِنْ خَليجِ الظِّلِّ ، هَدَايَا أَعيادِ نِهَايةِ العَامِ ، وَهَدَايَا في عِيدِ مِيلَادِهَا ، وَفي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَتْ تَجِدُ العِبَارَةَ ذاتَهَا عَلَى البِطَاقَةِ المُرفَقَةِ :

«اشتقتُ إِليكِ يَا ابنَتِي الجَميلَة ، أَتمَنَّى أَنْ نَلتَقيَ قَريبًا!»

أَمَّا الآنَ فَلَا تَظْهرُ أَيَّةُ مِن عَلَامَاتِ الفَرحِ عَلَى مُحيَّا الجَدَّةِ فيفيان عندَ رُؤيتِهَا ، لَا بَلْ تبدُو عَلَيهَا عَلَامَاتُ الاستغرَابِ ، وَربَّمَا بَعْضُ الغَضَبِ والحُزْن . عَلَى الرَّغمِ مِنْ ذَلِكَ قَالَتْ :

– بالطَّبعِ أَسمَحُ لَكُمَا بِالدُّخُولِ .

لَمْ تدخُلْ بوني بَيْتَ جَدَّتِهَا فيفيان مِنْ قَبلُ ، إِنَّهَا كذبَةٌ أُخرَى قَصَّتْهَا لتشارلز . لو أخبرتْهُ بِالحَقيقَةِ لَمَّا رَافقَهَا إِلَى هُنَا . لَقَدِ اعتَقَدَتْ بوني

-بِالضَّبط كَمَا اعتَقَدَ تشارلز- أَنَّ الجدَّةَ فيفيان تَسْكُنُ في مكانٍ مُختَلِفٍ تمامًا ، أَنَّ الصُّورَ الَّتي أَعْطَتْهَا إِيَّاهَا تُظهِرُ مَنزِلَ شَخْصٍ آخرَ .

أَخَذَتْهُمَا الجَدَّةُ فِيفيان مَعَها إِلى غُرفَةٍ أَطلَقَتْ عَلَيها اسمَ الصَّالُون .

– أَلْبَا ، هَلْ تُحضِرينَ بَعْضَ الشَّاي لِي وَللأَولَادِ؟ قَالَتْ .

كَانَتْ تَنظُرُ إِلَى شَخْصٍ وَقَفَ خَلْفَ بوني وتشارلز .

استَدَارتْ بوني بِسُرعَةٍ ، رَأَتْ أَمَامَ البَابِ امرَأَةً طَوِيْلَةً ضَخْمَةً . لَا بُدَّ مِن أَنَّهَا أَكبرُ سِنًّا مِنْ وَالِدَتِها وَأَصْغَرُ مِن جَدَّتِهَا فيفيان . كَانَ الذُّهولُ بَادِيًا عَلَى مُحيَّاهَا .

– إِنَّهمَا حَفِيدَايَ ، قالَت الجَدَّةُ فيفيان ، وَأَوْمَأَتْ بِرأَسِهَا تجاه بوني وتشارلز .

أَلقَى كُلٌّ مِن بوني وتشارلر التَّحيَّةَ عَلَى أَلبَا .

– كَمْ يُسعِدُني لِقَاؤكُما ، قالتْ . هَلْ ستَمكُثَانِ هُنَا طَويلًا؟

نَظَرَتْ بوني بِقَلَقٍ إِلى الجدَّة فيفيان .

– لَسْنَا نَدرِي ، قَالَت .

اختَفَتْ أَلبَا مِن أَمَام فتحَة الباب . لمْ تجْرُؤْ بوني عَلَى القَولِ بِأَنَّهَا لَا تُحِبُّ الشَّاي . أَشَارَتْ لَهُمَا الجَدَّةُ فيفيان أنْ يَجلِسَا عَلَى الأَرِيكَةِ . ظَهرَتِ المَنَارَة مِنْ وَرَاءِ النَّافِذَةِ ، عَلَى مَسافَةٍ مِنْ هُناك .

– يَا لَهَا مِنْ مَنَارَةٍ جَميلَةٍ ، قَالَتْ بوني هَامِسَةً .

– جَمِيلَةٌ لَكِنَّهَا مُرعِبَةٌ ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . لَمْ يَستَخدِمْهَا أَحَدٌ مُنذُ سَنواتٍ وَسَنوات . لَا مَانِعَ لَدَيَّ مِنْ بَقَائِهَا في مكَانِها ؛ لِأَنَّهَا بِنَاءٌ جَمِيلٌ فِعْلًا ، لَكنِّي لَا أُرِيْدُ الدُّخولَ إِليهَا .

رَمَشَتْ بوني فَجْأَةً .

– مُرْعِبَةٌ؟ كَيفَ؟ قالَتْ .

فَكَّرَتْ بِمَا قَالَتْهُ السَّيِّدتان فِي القَريَةِ ؛ أَنَّ عَليهِمَا الحَذَرَ مِنَ البَقَاءِ مُدَّةً طَويلَةً فِي خَليجِ الظِّلِّ ، وَأَنَّهُ لَا أحد يتمتَّعُ بِالأَمَانِ هُنَا .

– سَوفَ أُخبركُمَا بِذَلِكَ فِي مُنَاسَبةٍ أُخرَى ، قَالتِ الجَدَّة فيفيان ، وَمَالَتْ بِظَهْرِهَا إِلَى الخَلفِ لِتَسندَهُ إلى ظَهْرِ الأَريكَةِ . أَخْبِرَانِي الآنَ عَنْكُمَا . مَاذَا حَدَثَ؟

مِنْ أَينَ تَبدَأُ يَا تُرى؟ لَدَيْهَا أُمُورٌ كَثيرَةٌ لِتخبِرَ جَدَّتهَا بِهَا ، أَدرَكَتْ بوني . حَدَّثتْهَا عَنْ إِيْه ، وَكَيفَ انتَقَلَتْ هِيَ وَوالدتُهَا لِلسَكنِ مَعَهُ وَمَع تشارلز . أَخبرتْهَا أَيضًا عِنِ اجتماعَاتِ العَائِلَةِ وَعَنِ القَوَانِينِ الجَديدَةِ الَّتِي وَضَعَاهَا ؛ قَوَانِينُ عَلَى دَرَجَةٍ قَاتِلَةٍ مِنَ البَلَاهَةِ . وَأَخيرًا ، أَخْبَرَتْهَا عَنْ حِكَايةِ لندن .

– رأسُ كلِّ واحدٍ مِنهُمَا مَحْشوٌّ بِالغبَاءِ فَقَط لَا غَير ، قَالَتْ بوني ، وَوَضَعَتْ سَاقًا فَوقَ الأُخرَى . أَنَا وتشارلز لَا نَتَشَاجرُ أَبدًا تَقريبًا ، وَلَمْ نَغضَبْ حَتَّى عندما تَزَوَّجَا ، لَكنْ أَنْ نَنتَقِلَ إِلى لَندن؟ لَا ، لَنْ نَفْعَل ؛ أَصْدقَاؤنَا جميعًا هُناكَ فِي المَدينَة .

بَدا الهَمُّ واضحًا على ملَامح الجَدَّةِ فيفيان .

– أفهَمُ ذَلك ، قَالتْ . ولِذَلِكَ هَرَبْتُمَا؟ ولَنْ تَعُودَا إِلَى البيتِ قَبلَ أَنْ يَعدُلَ وَالدَاكُمَا عَنْ قَرَارِ الانتِقَالِ إِلَى لَندُن؟

أَومَأَتْ بوني بِرَأسِهَا إيجَابًا .

– أَيْنَ يَظُنُّ وَالِدَاكُمَا أَنَّكمَا الآنَ؟ قَالَتْ .

– لَيسَ لَديهمَا أَدْنَى فِكْرَة عَنْ ذَلِكَ ، قَالَ تشارلز . لَمْ نكتبْ فِي الرِّسالةِ الَّتي تَركْنَاهَا أَنَّنا سَنَأتِي إلى هُنَا .

بَدَا القَلَقُ جَلِيًا عَلَى مُحيَّاهُ .

استرَقَتْ بوني النَّظرَ إلى السَّاعةِ ، لَقَدْ قَارَبتِ الخَامِسةَ .

– لَكِنْ ، كَيف فَكَّرتُمَا بِذَلِكَ؟ قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . هَلْ تُرِيدَانِ أَنْ تَخْتَبِئَا هُنَا؟

– بَلْ . . . ، قَالتْ بوني . فَكَّرْنَا أَنَّنا نَستطيعُ البَقَاءَ هُنَا لِفترَةٍ مَحدُودَةٍ .

– لِفترَةٍ مَحدُودَةٍ؟ قَالت الجَدَّةُ .

– إلى أَنْ يَعدِلُوا عنْ قرار الانتقالِ إِلَى لندن فَقَط ، قَالَتْ بوني . رُبَّمَا إلى أَنْ تَبْدَأَ السَّنةُ الدِّراسيَّةُ في فصل الخَريفِ؟

بَدَأَتِ الجَدَّةُ تَسْعُلُ .

– هَلْ تُرِيدَانِ المُكُوثَ هُنا طوال فصْل الصّيف؟ لَا ، هَذَا غيرُ مُمكنٍ . أَستَطِيعُ أَنْ أَقولَ ذَلِكَ لَكُمَا فِي الحَال وماذا عنْ رأي وَالديْكُما في الأَمرِ؟

استَقَامَتْ بوني في جَلسَتِها .

– رَأيُ وَالدَيْنَا لَا يُهمُّنَا عَلَى الإطلاق ، قَالَتْ بِبَسَاطَةٍ .

القَتْ نَظْرَةً سَرِيعَةً عَلَى تشارلز .

– أَلَيسَ كَذَلِكَ؟

أَوْمَأَ تشارلز بِرأسِهِ لَكنَّهُ لَمْ يَنبَسْ بِبِنْتِ شَفَةٍ .

لَمْ يتفوَّه إلَّا بِبضع كَلِمَات مُنذُ أَنْ فَتَحتْ لَهمَا الجَدَّةُ البَابَ .

شَعَرَتْ بوني بِغَصَّةٍ عَالِقَةٍ فِي حَلقِهَا ؛ كُلُّ شيءٍ سَارَ عَلَى نَحْوٍ

خَاطِئٍ ، وَلَمْ تُصبحِ الأُمورُ أَسْهَلَ بِسَبَبِ طَريقَةِ إِبَّه المُزْعِجَةِ . إِبَّه الَّذي يُريْدُ أَنْ تَستَمِعَ بوني إِلَيهِ دَائِمًا ، وَأَنْ تَتْبَعَ تعليمَاتِهِ ، وَكَأَنَّهُ حَلَّ مَحَلَّ أَبِيهَا . أَحْيَانًا ، عِندَمَا تَقُومُ بِتَصرُّفٍ يَرَاهُ خَاطِئًا ، يَقولُ :

– بوني ، نَحنُ لَا نَتصرَّفُ هَكَذا هُنَا .

لَمْ يَلْحَظْ غَرَابَةَ مَا قَالَهُ . «نحنُ لَا نَتصرَّفُ هَكَذَا هُنا» . كَأَنَّ بوني ووالدَتَهَا مُجَرَّدُ زُوَّارٍ في بَيتِ إِبَّه وتشارلز ، زُوَّارٍ لَنْ يَمكثُوا طَوِيْلًا .

انحَنَتِ الجَدَّةُ فيفيان إلى الأَمَامِ ، وَنَظَرتْ في عَينَيِّ بوني مُباشَرةً .

– عَلَيكِ الآنَ أَنْ تُصْغِي السَّمعَ إِلَيَّ جَيِّدًا ، قَالَتْ . إِيَّاكِ أَنْ تُكرِّرِيْ في يَومٍ مِنَ الأَيَّامِ أَنَّكِ لَا تَأبَهِينَ لِرأيِ وَالدَتِكِ . لَيسَ عَلَى مَسْمَعِي عَلَى الأَقلِّ . . . مَفهُومٌ؟

أَومَأَتْ بوني بِرَأسِهَا إيجابًا . تَستَطِيعُ الآنَ أَنْ تَعِدَ بِكُلِّ شَيءٍ وَأَيِّ شَيءٍ إِذَا أَدَّى ذَلِكَ إِلَى السَّمَاحِ لَهَا بِالبَقَاءِ هُنَا .

– عَظِيمٌ ، قَالَتِ الجدَّةُ فيفيان . الأَمرُ الثَّاني الَّذي أُرِيْدُ قَولَهُ هُوَ أَنَّنِيْ سَعيدَةٌ لِرُؤيَتِكُمَا . قَدْ لَا يبدُو الأَمرُ كَذلِكَ لِلوهْلَةِ الأُولَى ، لَكِن حُضُوركما فَاجَأَنِي فِعْلًا . سَوفَ أَتَّصِلُ بِوالدَيْكُما ، وَأَشْرحُ لَهمُا مَا حَدَثَ ، لَكِنْ عَلَيكُما نِسيَان أَمرِ إِلغَاءِ قَرَارِ الانتقَالِ إلى لندن . لَا أَحَدَ يَستَمِعُ لِرَأيِ الهَارِبِينَ .

تَنَهَّدَ تشارلز مُستَسْلِمًا لَكِنَّ بوني ابتَسَمَتْ . الجَدَّةُ فيفيان سَعيدَةٌ لرؤيتها . هَذَا بِالضَّبط مَا كَانَتْ تَأمَلُ بِهِ .

فُتح عندَهَا بَابُ الصَّالونِ ، وَدَخَلَتْ أَلبَا تَحملُ صينِيَّةً كَبيرَةً بَيْنَ يَدَيْهَا .

– بالمُنَاسَبَة ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . هَلْ مَا زِلْتِ تَركَبِينَ الخَيلَ؟

أَومَأَتْ بوني بِرَأسِهَا ثَانيةً ، فَهِيَ تَركَبُ الخيلَ مُنذُ أَنْ كَانَتْ فِي سِنِّ الرَّابِعَةِ .

- جَمِيلٌ ، قَالَتِ الجَدَّةُ . لِأَنَّ لَدَيَّ خَيلًا وَمُدرِّبَ فُروسيَّةٍ هُنَا .

- صَحِيحٌ؟ صَاحَتْ بوني فَرِحَةً .

- صَحيحٌ جِدًا ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . اسمُ مُدرِّبِ الفُروسيَّةِ «بُول» ، إِنَّهُ مَاهِرٌ جِدًا . هَل تَركَبُ الخَيلَ أَنتَ أَيضًا؟

نَظَرَتْ إِلى تشارلز ، فَهَزَّ رأسَهُ نَفيًا .

ابتَسمتْ أَلبا لبوني وتشارلز .

- يُسعدُنِي وُجُودُكما هُنا . يَا لَها مِنْ مُفَاجأَةٍ . أَهلًا وَسَهْلًا بِكُمَا .

- شُكْرًا ، قَالَ كلٌّ منْ بوني وتشارلز .

- قَدْ تَسيرُ الأُمورُ على أحسن ما يُرام .

ذهبَتِ الجدَّةُ فيفيان لإحضار الهاتف . ابتلَعَتْ بوني ريقَهَا . كَمْ ترجُو أَلَّا يَضعَ إِبَّه ووالدتُهَا العصيَّ في الدَواليب!

تابعتْ أَلبَا الجدَّةَ فيفيان بِنظراتها ، وحالَ تركَتِ الغرفةَ ، انحنَتْ أَلبَا إِلى الأَمَامِ ، وَقَالَتْ بصوْتٍ مُنخفِضٍ :

- لَا تَثِقِي بمدرِّبِ الفروسيَّةِ . إِنَّهُ رجلٌ لئيمٌ جِدًا ؛ لئيمٌ في تعاملِهِ مَعَ الإِنْسانِ وَالحيوانِ . ثُمَّ أَسرَعَتْ وَغَادَرت الغرفَةَ .

نظرتْ بوني مذهولةً إِلى تشارلز .

- هَلْ سَمِعْتَ مَا قَالَتْهُ؟ قَالَتْ بوني .

هَزَّ تشارلز كَتفَيهِ .

– لَا يَهِمُّ ، قَالَ . أَمْ أَنَّكِ مُضطرةٌ لِركوبِ الخيالِ خِلالَ فترةِ مكوثكِ هُنَا؟

نَظَرتْ بوني نظرةَ استسلام نحوَ السّقفِ .

– لَسْتُ مُضطرةً بِالطَّبع ،لَكِنْ . . .

تَوقَّفَتْ عَنِ الكلامِ مُقَاطعةً ذَاتَها . لَقَدْ عَادَتْ جَدَّتُها إِلى الصَّالون تُمسِكُ الهاتِفَ بِيَدِهَا . وَقَدْ بَدَتْ عَلَامَاتُ الغَضَبِ جَلِيَّةً عَلَى مُحيَّاهَا .

الفَصلُ الثَّالثُ

لِمَاذَا يَتصرَّفُ أَبي بهذه الطَّريقةِ المُخزيَةِ؟ احمرَّتْ وَجْنَتَا تشارلز خَجَلًا حينَ سَمِعَ صوْتَ وَالده كان يصرخُ بصوتٍ عالٍ جعلَ لِهاتفِ الجدَّةِ فيفيان صَدًى .

– لَنْ أُنَاقِشَ الأَمرَ! زأر إبّه . يجبُ أنْ يعودَ الأَولادُ إلى البيتِ . . . في الحَالِ! هُمَا في سنٍّ أكبر من سنِّ الهروب منَ البيتِ! يَا لَها مِنْ حَمَاقةٍ!

مَا رَفَضَ إبّه مناقشَتَهُ هُوَ مُكوثُ تشارلز وبُوني في بيتِ الجَدَّةِ فيفيان لمدَّةِ أُسبوع ، حَسَبَ اقتِرَاحِ الجَدَّة فيفيان . أُسبوعٌ وَاحدٌ هُوَ وقْتٌ أقصرُ بكثيرٍ ممَّا كَانَ يأملُ بِهِ كُلٌّ مِنْ تشارلز وبوني . عَليهمَا أَنْ يَجِدَا مَكَانًا آخرَ للسكَنِ ؛ لِأَنَّ والدَهُ عَلَى خطأ . لمْ يكبَرَا عَن سِنِّ الهروبِ مِنَ البيتِ .

– هَلِ انتهيتِ مِنَ الصُّراخِ الآنَ؟ سَأَلَتِ الجدَّةُ فيفيان . جَيِّدٌ ؛ لِأَنَّ لَدَيَّ بعضَ الأمورِ الَّتي أُريدُ قَولَها . مِنْ بَينِهَا هُوَ أَنَّ عليكِ وَعَلَى غابرييلا

التَّفكيرَ في حالِ الطِّفلينِ معكُمَا . الأَطفالُ الَّذين يشعرونَ بِالأَمانِ في بيوتِهم لَا يَفرُّونَ مِنها إِلى بيتِ جَدَّةٍ مُسنَّةٍ ، خَاصَّةً إِنْ كانتْ جَدَّةً يَعرفُهَا أَحدهُما فَقطْ ، وَخَاصَّةً إِنْ كَانَ الطِّفلُ الَّذي يعرفُهَا لمْ يَرَهَا منذُ سنِّ السَّادسَةِ ، وَلمْ يَزرْهَا في بَيْتِها منْ قَبلُ قطُّ .

كَانَ صوتُهَا يرتجفُ حينَ نطقَتْ بالجملِ الأَخيرةِ . صَمتَ والدُ تشارلز .

استرقَ تشارلز النَّظرَ إِلى بوني . المسكينةُ الَّتيْ لمْ تَتَمكَّنْ يَومًا مِن زيارةِ جَدَّتِها مِن قَبلُ . كِذْبَتُهَا الملفَّقةُ عن زيارةِ صَخرةِ النُّسورِ مجرَّدُ تَصرُّفٍ أَحمقَ ، لَكِنْ في الحقيقةِ بوني تَكذبُ في أُمورٍ كثيرَةٍ ؛ كَتلكَ المرَّةِ الَّتي زَارَا فيها المسبحَ ، حِينَ ادَّعَتْ بوني أَنَّها تجرؤُ على القفزِ مِنْ أَعلَى مِنصَّةٍ فَوقَ البركَةِ . وَقَفزَتْ مَرَّةً وَاحِدَةً ، حِينَ كَانَ تشارلز في الحمَّامِ . كانَ حينها مُتَأكدًا مِن أَنَّها لمْ تَقفزْ .

طَلَبَتِ الجَدَّةُ فيفيان التَّحدُّثَ إِلَى غابرييلا أَيضًا ، لَكنَّها غادرتِ الغرفةَ بعدَ ذَلِكَ . رَأَى تشارلز الحُزْنَ يغمرُهَا قبلَ أَنْ تختفيَ في المَمرِّ .

– مَا رَأْيُكَ بِمَا تَسِيرُ الأُمورُ؟ قَالَتْ بوني .

بَدَتْ قَلِقَةً .

هَزَّ تشارلز كَتفَيهِ .

– لَستُ أَدرِيْ ، قَالَ . لَكنِّي أَتمنَّى أَلَّا نَضطرَّ للعوْدَةِ إِلى البيتِ .

مَسَحَ بَعضَ الغُبَارِ الَّذيْ عَلِقَ عَلَى سِروَالِهِ . وَسَوَّتْ بوني طَيَّةَ تنورتِهَا . سُمِعَ صَوْتُ عَقَارِبِ سَاعَةٍ معلَّقَةٍ عَلَى الجِدَارِ .

– مَا هِيَ حِكَايَةُ المَنَارةِ القديمَةِ في اعتِقَادِكِ؟ قَالَ تشارلز بصوتٍ مُنخَفِضٍ . لِمَاذَا قَالَت جدَّتُكِ إِنَّهَا مُرْعِبَةٌ؟

- لَيسَ لَدَيَّ أَيَّةُ فِكرَةٍ عَنِ الأَمرِ ، قَالَتْ بوني .
عَادَتِ الجَدَّةُ فيفيان بَعدَ لحظَاتٍ .
- لَقَد تحَدَّثتُ إلى والديْكُمَا الآنَ ، قَالَتْ . لمْ أعرِفْ في حَيَاتي شَخصَينِ مُغرَمَينِ في الشَّجَارَاتِ مِثلَهُمَا ، لَكِنَّا اتفقْنَا في نِهَايةِ المَطَافِ عَلَى أَنْ تمكُثَا هُنَا لمدَّةِ أُسبوعٍ . سَوفَ نَرَى مَا سَيَحدُثُ بَعدَ ذَلِكَ .
إِنَّهُ مَنْزِلٌ كبيرٌ ؛ كبيرٌ إِلى درجَةٍ تَسمَحُ لِتشارلز وَلِبوني أَنْ يمكُثَا في غرفَةٍ خَاصَّةٍ . حَرِصَتْ بوني عَلَى أَنْ يمكُثَا في غرفَتَينِ مُتجاورَتَينِ .
- هَلْ تخشَيْنَ الظَّلامَ؟ سأَلَتِ الجَدَّةُ فيفيان عندَمَا فَتَحتْ بَابَ غُرفَةِ بُوني .
- لَا ، قَالَتْ بوني .
لَكِنَّ تشارلز يَعلَمُ أَنَّ بوني وضعتْ في حقِيبَتِهَا عَدَدًا مِنَ الأَلعابِ المَحْشُوَّةِ ؛ الأَلعَابَ المصنوعة من النَّسيج ، وَالَّتي لَا بُدَّ مِنْ وُجودِهَا في سَرِيرِهَا كَي تَتمكَّنَ مِنَ النَّوم .
رَمَتْ بوني قُبَّعَتَهَا فَوقَ سَرِيرها .
- نَتَناوَلُ وَجبَةَ العَشَاءِ عادةً في السَّابعة مساءً ، قالَتِ الجَدَّةُ . تَستطيعَانِ أَنْ تُشغِلَا نَفسيكُمَا حتَّى ذلك الحين . عليَّ مُناقَشَةُ بَعضِ الأُمورِ مَع أَلبَا الآنَ .
- هَلْ تَسكُنُ أَلبَا هُنَا أَيضًا؟
- نَعمْ ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . تَسكُنُ ألبَا وزوجُهَا «دوغلاس» في ذَلِكَ البيتِ خَلفَ الأَشجَارِ .
سَارَتْ حَتَّى وَصَلَتْ إِلى النَّافذةِ وَأَشارَتْ . شَاهدُوا مِن هُنَاكَ الحديقَةَ

كُلَّهَا . إِنَّهَا حديقةٌ شَاسِعَةٌ . تَابَعَ تشارلز إِصبَعَ الجدَّةِ بِنَظَرِهِ ، وَرَأَى بَيتًا مِنَ الخشبِ .

– تُساعِدُنِي أَلبَا فِي الأُمُورِ المَنزِليَّةِ قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . أَمَّا دوغلاس فَيعتَنِي بِالمنتَزَهِ .

المنتزهُ هُوَ الحديقةُ عَلَى مَا يَبدُو .

تَسَاءَلَ تشارلز مَا الَّذِي تَفعلُهُ الجدَّةُ فيفيان فِي أَيَّامِهَا العَادِيَّةِ ، غيرَ أَنَّهُ لَمْ يَجرؤْ عَلَى السُّؤَالِ ، لَكِنَّ بوني سَأَلَتها .

– هَلْ أَنتِ حَقًّا فَنَّانةٌ تَشكيلِيَّةٌ؟ قَالَتْ . هَلْ تَرسمينَ حقًّا لَوحَاتٍ؟

– هَذَا صحيحٌ ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان .

– تَقُولُ مَامَا إِنَّكِ فَنَّانَةٌ مَشهورَةٌ ، قَالَتْ بونِي .

– تتفوَّهُ أُمُّكِ دَائمًا بِالكثيرِ مِنَ الحماقَاتِ ، قَالَت الجَدَّةُ فيفيان . عَلَيَّ الآنَ الاعتِنَاءُ ببعضِ الأُمُورِ . سوفَ نَلتقِي عِندَ السَّاعةِ السَّابِعَةِ .

سمِعُوا فِي تلكَ اللحظةِ كلبًا ينبَحُ بصوتٍ عَالٍ فِي الخارِجِ .

– هَلْ لَدَيكِ كلبٌ؟ سَأَلَتْ بوني مُتعجِّبَةً .

– لَدَيَّ كلبٌ يُدعَى «فيني» قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . لَا بدَّ مِنْ أَنَّهُ يُطَارِدُ الطُّيورَ الآنَ ، وَلِذلِكَ يَنْبَحُ . دوغلاس يستَطِيعُ إيقافَهُ عَنِ النُّبَاحِ عادَةً .

نظَرُوا مِنْ وَراءِ النَّافذةِ ثَانِيَةً . رَأَوا كلْبًا أَسودَ اللونِ ، ضَخمًا يركضُ أمامَ المنزلِ ذَهَابًا وَإِيَابًا . وَخلفَ الكَلبِ سَارَ رجُلٌ يرتدي سترةً بُنيَّةَ اللون

– مَنِ الرَّجلُ؟ سَأَلَ تشارلز .

– إِنَّهُ مُدرِّبُ الفروسيَّةِ الَّذي تحدَّثتُ عنهُ ، قَالَتِ الجَدَّةُ وَابتَسَمَتْ . إِنَّهُ بول .

أَمعَنَ كُلٌّ مِن تشارلز وَبوني النَّظرَ إِلى بول . فَكَّرَ تشارلز بمَا قَالَته أَلبا ؛ عَنْ أَنَّ بُول لئِيمٌ . رُبَّمَا هِيَ عَلَى حقٍّ ؛ يَبدو بول رَجُلًا حَازِمًا جِدًا عَلَى الأَقلِ .

شَدَّتْ بوني ذِرَاعَ تشارلز .

– تَعَالَ! قَالَتْ وَغمَزَتْ بِسرعَةٍ بِإِحدى عَينَيهَا . دَعنَا نَخرجُ وَنَتَعرَّفُ إِلى الكَلبِ!

عندَمَا خَرجَا مِنَ البيتِ ، وَجَدَا أَنَّ الكلبَ وَمدرِّبَ الفروسيَّةِ قَدِ اختفَيَا عَنِ الأَنظارِ . كَانَ الطَّقسُ لا يزالُ غَائِمًا ، والرِّيحُ قَاسِيَةً .

– كَانَ عَلينا أَنْ نُخْبِرَ الجَدَّة فيفيان بمَا قَالَتْهُ أَلبَا عَنْ مُدرِّبِ الفروسِيَّةِ ، قَالَ تشارلز .

بدَتْ عَلامَاتُ القَلقِ عَلَى بوني .

– أَو رُبَّمَا عَلَينَا أَنْ نَتَفَادَاهُ وَحسبُ ، قالتْ .

– تَعَالى عِندَهَا نباحُ الكَلبِ عَلى مقْرُبةٍ منهُما .

– فيني ، نَادَتْ بوني .

ثُمَّ عَمَّ السُّكونُ تمامًا .

– فيني ، نَادَتْ بوني ثَانِيَةً .

خَرجَا إِلى المنتزه ، لَكنَّ الكلبَ اختَفى كَأَنَّ الأَرضَ ابتلعَتْهُ . سَارَا حَولَ المنزلِ بِكامِلِهِ تَقريبًا . تَوقَّفَا حِينَ شَاهَدَا المنارَةَ الواقعَةَ عَلَى حَافَّةِ الجَرْفِ الصَّخرِيِّ . وَإِلَى جَانبِ المنارَةِ شَاهَدَا كُوخًا .

أَسْرَعَتْ بوني تَعدُو إلى الكوخِ ، وَنَظَرَتْ مِن وَراءِ النَّوافِذِ الصَّغيرَةِ إلَى الدَّاخِلِ .

– لَا أَظنُّ أَنَّ أحدًا يَسكُنُ هُنَا .

– هَلْ تَظنِّينَ أَنَّها تُضِيء؟ قَالَ تشارلز . أَعني المنَارةَ .

– إنَّهَا منارةٌ بيضَاءُ اللونِ عَاليةٌ ، وفِي قمَّتِهَا نوافذُ زجاجيَّةٌ ضَخمَةٌ . كَانَتِ النَّوافذُ مُتَّسِخَةً جِدًا . اقشَعرَّ تشارلز . تبدُو المنارةُ مهجُورةً منذُ زمنٍ بَعيدٍ .

– لَستُ أَدرِي ، قَالَتْ بوني .

سَارَ تشارلز إلَى قاعدَةِ المنارَةِ . مَوقِعُها على حافَّة الجرفِ الصَّخريِّ خَطيرٌ لِلغايَةِ . اقترَبَ مِنَ الحافَّةِ إلى الدَّرَجَةِ الَّتي سمحتْ لَهُ بها جُرأَتُه . تبعَتْهُ بوني . تَمَدَّدَ كُلٌّ مِنهُمَا عَلَى بَطْنِه لِينظُرَا إلى أسفلَ . كَانَتْ مياهُ البحرِ قَاتِمَةً هَائجَةً . قَامَ تشارلز مِنْ مَكَانِهِ سَائرًا إلى الوراء وَهَكَذَا فَعَلَتْ بوني . الغَريبُ في الأَمرِ أَنَّ الجَدَّةَ لَمْ تضَعْ سِياجًا عَلَى طول حَافَّةِ الجَرفِ .

– المسَافَةُ مِنْ هُنَا إلى البحرِ في الأَسفَلِ طَويلَةٌ جدًا ، قَالَتْ بوني .

سَمِعَ كُلٌّ مِنهُمَا عِندَهَا صَوتَ رَجُلٍ غَريبٍ يَقولُ :

– أَجلْ ، أَنتِ مُحقَّةٌ جِدًا في ذَلِكَ! لِذلكَ عَليكُمَا الامتناعُ عَنِ المجِيءِ واللَّعبِ هُنَا!

اهتَزَّ كلٌّ مِنْ تشارلز وبوني تحتَ وَقْعِ المُفاجأةِ . لَقَدْ وَقَفَ مُدرِّبُ المروسيَّةِ عَلَى مَسَافَةِ مترٍ مِنهُمَا . لَمْ يعُدْ يَبدُو حَازِمًا ، بَلْ لَئيمًا فَقَط ، تَمامًا كَجدِّ تشارلز ؛ غَاضِبٌ دائمًا ، لَاذعٌ دائِمًا ، خاصَّةً تُجاهَ وَالِدِ تشارلز .

تَنحنَحَ مدرِّبُ الفُروسِيَّةِ .

- أَظنُّ أَنَّكمَا حَفِيدَا فيفيان ، أَلَيسَ كَذلِكَ؟

الأَمْرُ كَذلِكَ جُزئيًا ، لَكنَّ كُلًا مِن تشارلز وبوني أَوْمَأَ برأسِهِ إيجَابًا .

- أَنَا بول ، وَلِتَفهَمَا فِعلًا مَا أَقولُ : إِيَّاكُما وَالمنَارَة! إِنَّهَا مكَانٌ خَطِيرٌ جِدًا بِالنِّسبَةِ إِلَى الصِّغَارِ ، أَتمَنَّى أَنْ تَكُونَ فيفيان قَدْ أَخبَرتْكُما بِذَلِكَ .

ثُمَّ استَدَارَ وَغَادَرَ المكَانَ .

نظَرَ كُلٌّ مِنْ تشارلز وبوني إِلى الآخَرِ .

- دَعِينَا نذهَبُ مِنْ هُنَا ، قَالَ تشارلز .

حَدَثَ طَنِينٌ فِي أُذنَي تشارلز حِينَ عَدَا . فَكَّرَ بِأَنَّ أَلبا عَلَى حقٍّ . يبدُو جَليًا أَنَّ بُول إِنسانٌ لَئيمٌ ، لَكنْ قَبلَ كُلِّ شَيءٍ فَكَّرَ تشارلز بِالمنَارَةِ . مَا هُوَ الأَمرُ المُميَّزُ بِشَأنِها؟ لِمَاذا هيَ خطيرَةٌ إِلَى هَذَا الحَدِّ؟

الفَصلُ الرَّابِعُ

تَسَاقَطَ المَطَرُ فِي اليومِ التَّالِي ، وَفِي اليومِ الَّذي تلاهُ أيضًا . وَقَفَتْ بوني فِي غُرفَتِهَا تَنظُرُ مِن وَرَاءِ النَّافِذَةِ إِلَى الغُيوم القَاتِمَة . تضاءَل شعُورُهَا بِغَرَابَةِ وُجُودِهَا عِندَ جَدَّتِهَا فيفيان مَع مُرُورِ اللحظَاتِ . لَمْ تَكُنْ جَدَّتُها فِي الحقِيقَةِ كَمَا تَخيَّلَتْهَا بوني إِطلَاقًا ، لَكنَّ ذَلِكَ لَا يَهُمُّ . إِنَّها تعملُ كَثيرًا ، وَلَدَيهَا الكثيرُ مِنَ الأَصدِقَاءِ . كُلُّ يَوم يَأتِي الكثيرُ مِنَ النَّاس ليشرَبُوا الشَّايَ أَو لِيُشَاهِدُوا اللوْحَاتِ الجَدِيدَةِ الَّتِي رَسَمَتْهَا .

شَعَرَتْ بوني بالسَّعادَةِ لِكونِهَا لَمْ تكُنْ فِي بَيتِهَا . لقدْ تَجرَّآ فِعلًا عَلَى الهرُوبِ ، وَقَامَا بِذَلِكَ حَقًّا! مَا عَلَيهِمَا الآنَ سُوَى أنْ يُقنِعَا الجَدَّةَ فيفيان بِأَنْ تَسْمَحَ لَهُمَا بِالبَقَاءِ عِندَهَا لِمُدَةٍ أَطوَلَ مِنْ أُسبُوعٍ وَاحِدٍ ، بِطريقةٍ أَو بِأُخرَى .

– لَا يوجَدُ مَشَاكِلُ بِلَا حُلُولٍ ، تَقولُ وَالِدَةُ بوني عَادَةً .

لَكِنَّ ذَلِكَ قَولٌ أَحمَقُ فِي نَظَرِ بوني . إِذَا كَانَ لِكلِّ مُشْكِلَةٍ حَلٌّ ، فَلَا بُدَّ مِنْ أَنَّ انتِقَالَ وَالِدِهَا مِنْ بيتِ الزَّوجيَّةِ أَمرٌ غَريبٌ . هُوَ لَمْ يَنتقِلْ فَقَط ، بَل انتقَلَ ، وَلَمْ يَعدْ أَبدًا ، عَلَى الرَّغمِ مِن أَنَّهُ وَعَدَ بِأَنْ يفعلَ ذَلِكَ .

فهوَ يتَّصلُ بِهَا مرَّةً في الشَّهرِ ، وَيرسِلُ الهدَايَا إِلَيهَا في عِيدِ مِيلَادِهَا . إِنَّهُ يَسكنُ فِي طُوكيو حَاليًا مَع عَائِلتِهِ الجَديدَةِ . وَيَبدُو أَنَّهُ لَا يوجَدُ مَكانٌ مُناسبٌ لِبوني فِي تِلكَ العَائِلَةِ .

نبحَ فيني وَنبَحَ . رَأَتْ بوني الكَلْبَ الأَسْوَدَ يَندَفِعُ بِسرْعَةِ البرقِ مِنْ أَحَدِ جَوانِبِ المنتزَهِ إِلى الآخرِ . بَدَا وَكَأَنَّهُ يُلاحقُ أَحَدًا مَا ، لَكِنَّهُ وَحِيدٌ هُنَا .

ثُمَّ سمعَتِ الجَدَّةُ فيفيان تُنادِي مِنَ الطَّابقِ السُّفليِّ :

– دُوغلاس ، هَلْ دَخلَ فيني إِلى البَيْتِ الآنَ؟ تُصبِحُ رَائِحَتُه كريهَةً حينَ يَتبلّلُ فَروُهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ يُثيرُ الكثيرَ مِنَ الضَّجيجِ حِينَ يَكونُ خَارجَ المَنْزلِ . لَسْتُ أَدرِيْ مَا الَّذيْ يَفْعَلُهُ الآنَ .

لَمْ يَسمَعْ جَوابًا مِنْ دُوغْلَاس ، بَلْ سَمعَ صَوْتَ بَابٍ يُفتَحُ وَيُغلَقُ . بَعدَ ثَوانٍ مَعدودَةٍ رَأَتْ بوني دُوغلاس يَخرجُ إِلى الحَدِيقَةِ مُمسكًا بِمظَلَّةٍ ضَخْمَةٍ .

– فيني! زَأَرَ دُوغلاس . تَعَال إلى هُنا أَيُّها الكلْبُ البَريُّ!

أُعجِبَتْ بوني بِكُلٍّ مِنْ أَلبا ودُوغلاس في الواقِع ، لَمْ يَلْتَقِيَا حتَّى الآنَ إِلَّا بِأَلْبَا ، لَكنْ يَبدُو أَنَّ دُوغلاس شخصٌ طيِّبٌ أيضًا ، فَهُوَ يبتسمُ وَيُلوِّحُ لَهُمَا بيده كُلَّمَا شَاهَدَهُمَا مِنْ بَعيدٍ . الأمرُ مختلفٌ فيمَا يَتعلَّقُ ببول . قَالَتِ الجَدَّةُ مِرَارًا إِنَّ عَلَى بوني أنْ تَذْهَبَ لِزيارَتِهِ في الإِسطَبلِ . يَقَعُ الإِسطَبْلُ في طَرَفِ القَريَةِ ؛ بِالقُربِ مِنَ الغابةِ .

قَالَتْ بوني إِنَّهَا لا تريدُ الذَّهَابَ إِلى هُنَاكَ طَالَمَا تَساقَطَ المَطَرُ ، لَكنَّها كَانتْ تَكذِبُ بِالطَّبعِ .

لَمْ تَسْتَطِعِ التَّخلُّصَ مِنَ الشُّعورِ بِالوِحْدَةِ. جَلَسَ تشارلز في غرفتِهِ يَرْسمُ تَصْمِيمًا لِسِروَالٍ جَدِيدٍ. لَا تَعْرِفُ بُوني شَخْصًا آخرَ يَرْسمُ تَصامِيمَ للملابِسِ، أَو يُصمِّمُ الأَزياءَ سِواهُ، وَهُوَ يُخيطُهَا بِنَفْسِهِ أَيضًا. لَمْ يكنْ إبُه رَاضِيًا عَنْ ذَلِكَ. كَانَ يَتأوَّهُ بِصوتٍ مُرتفعٍ كُلَّمَا قَالَ تشارلز إِنَّهُ يُرِيْدُ أَنْ يُصْبِحَ خَيَّاطًا أَو مُصمِّمَ أَزْياءٍ عِندَمَا يكبُرُ.

– يَا إِلَهِي، لَيسَ هُناكَ مُسْتَقْبَلٌ لِتلْك المِهنَةِ، هَذَا مَا يَقولُهُ إِبُه عَادَةً كُلَّمَا ذُكِرَ المَوضوعُ. لا أَحدَ يَسْتطِيعُ أَنْ يعيشَ مِنْ خِياطَةِ المَلَابِسِ.

لَمْ تَفْهَمْ بوني مَا قَصَدَهُ. لَا أَحَدَ يُريْدُ أَنْ يسيْرَ عَارِيًا. يَسْتَطِيعُ المَرْءُ أَنْ يَتَقَاضَى المَالَ مُقَابِلَ صِناعَةِ المَلَابِسِ طَبعًا. سخرت بوني مِن إِبُه؛ لأَنَّه لَيسَ حَاذِقًا إِلى الحَدِّ الَّذي يَعتَقِدُ.

كانَتْ بوني مُضْطَرِبَةً، فَهِيَ تُمضِي عَادَةً أَوقات فراغها في الإِسطَبلِ أَو في رَسمِ مُسلْسَلاتٍ مُصوَّرَةٍ (لَمْ يَرقْ ذَلِكَ الأَمرُ لإِبُه أَيضًا)، لَكِنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تفعلَ ذَلِكَ اليومَ. عَمَّ السُّكونُ المنزل. مازالَ دُوغلاس في الخَارِجِ يُحاولُ العثورَ عَلَى فيني المِسكِينِ. لَو لَمْ يهطلِ المطرُ لَتَسلَّلَتْ بوني إِلى الخَارجِ لِتَتَفحَّص المَنَارَةَ ثَانيةً. بَدَأَتْ ترتجفُ عندَمَا فَكَّرتْ بِمَا حَدَثَ في اليومِ الأَوَّلِ؛ عِندَمَا تمدَّدَتْ هي وَتشارلز على الأَرضِ، وَنَظَرَا مِن عَلى حَافَّةِ الجَرفِ الصَّخريِّ إِلى أَسفَلَ، وعَن غضَبِ بول. كَأَنَّ كلَامَ السَّيدتَينِ المُسنَّتَينِ عَنْ أَنَّ لَا أَحدَ يتمتَّعُ بِالأَمَانِ في خليجِ الظِّلِّ لَم يكنْ كَافِيًا، غَيرَ أَنَّ كُلًا من بوني وتشارلز بَدَأَ يَشُكَّانِ بِصحَّةِ ذَلِكَ الأَمرِ بالذَّاتِ. خَليجُ الظِّلِّ مُجْتَمَعٌ صَغيرٌ وَهَادِئٌ إِلى حدٍّ يكادُ يَجعلُهُ مُمِلًا.

رَنَّ هاتفٌ في مَكانٍ مَا في البيتِ . عَضَّتْ بوني شَفتَهَا . كُلَّما رَنَّ الهاتفُ ، خَشِيَتْ أَنْ يكونَ المتَّصلُ والدَتَهَا . تَخشَى أَنْ تُجبَر عَلَى العودةِ إلى البَيتِ بِصُحبَةِ تشارلز في الحَالِ . لَكنْ يَبدُو أَنَّ الأَمرَ لَيسَ كَذلِكَ هَذهِ المَرَّة أيضًا .

التَقَطَتْ بوني كِتَابًا مِنْ حَقِيبَةِ السَّفَرِ . أَرادَتْ أَنْ تَجلُسَ وَتقرَأَ في الصَّالُونِ لِبَعضِ الوقتِ . منزِلُ الجدَّةِ فيفيان هُوَ أَكبرُ مَنزلٍ رَأَتْهُ في حَياتِهَا ، وَشَعَرتِ اليَوْمَ بالذَّاتْ وَكَأَنَّ البيتَ مَهجورٌ ، وباردٌ أَيضًا . ارتجفَتْ بوني مِنَ البردِ .

تَوقَّفَتْ في اللحْظَةِ الَّتي همَّتْ فِيهَا أَنْ تَهبُطَ الدَّرَجَ . سَمِعَتْ أَصْوَاتًا في إحْدَى غُرَفِ الطَّابَقِ السُّفْليِّ ، رُبَّمَا في المَطْبَخِ .

وَكانَتِ الأَصواتُ غَاضِبَةً .

نَظَرتْ بوني حَولَهَا بِسرْعةٍ . هَل رَآهَا أَحدٌ يَا تُرى؟ لَمْ تَعتقِدْ ذَلِكَ . هَبطَتْ بوني بِحَذَرٍ بِضْعَ خُطُواتٍ منْ على الدَّرج . تَوقَّفَتْ عندَمَا صَدَرَ صَريرٌ عَنِ الدَّرَجِ .

سَمِعَتِ الآنَ الأَصواتَ بِوضوحٍ ؛ صوت ألبا وصوت دوغلاس وَهُمَا يتحدَّثَانِ .

كَمْ تَمَنَّتْ أَلَّا يَكتَشِفَ أحدُهُمَا أمرَهَا!

أَرادَتْ أَنْ تَعرِفَ سَبَبَ شِجَارِهِمَا .

– أَفهمُ مَا تَقولُ؟ نَفَثَتْ أَلبَا كَلامَها نَفْثًا . لَكِنْ مَاذَا تُريدُني أَنْ أَفعَلَ؟

– عَليكِ أَنْ تَجعَلِيهمَا يُغادِرَانِ ، قَالَ دوغلاس . بَقَاؤُهُمَا هُنَا مُستحيلٌ .

أَصغَتْ بوني السَّمعَ ، واشرَأَبَّتْ أُذنَاهَا . مستحيلٌ أَنْ يَبقَى هُنا مَنْ؟

– قَالَتْ فيفيان إِنَّهمَا سَيُقِيمَانِ أُسبُوعًا وَاحِدًا فَقَط ، قَالَتْ أَلبا . بَعدَ ذَلِكَ سيغَادِرُ الطِّفلَانِ .

جَفَّ حَلْقُ بوني . إِنَّهمَا يتحدَّثَان عَنْهَا وَعَنْ تشارلز .

– هَلْ تُصدِّقِينَ ذَلِكَ؟ قَالَ دوغلاس . يَبدُو وَبِكُلِّ وضُوحٍ أَنَّ وُجودَهُمَا هُنَا يروقُ لَهَا . سَوفَ يَمْكُثَانِ بالطَّبْع فتْرَةً أَطْوَلَ . وَفي هَذَا الوَقْتِ بِالذَّاتِ! أَنتِ تعلمِينَ مَا الَّذي سَيَحْدُثُ . مَاذا لو شَكَّلا عقبَةً في الطَّرِيقِ؟!

مَالَت بوني إِلى الأَمَامِ . لَا تريدُ أَنْ تفوتها كلمةٌ واحدةٌ .

تَسَارَعَتْ دَقَّاتُ قَلبِهَا .

– أَعلمُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ حُدُوْثُ أَيِّ خَطأ ، أجابتْ أَلبَا بصوتٍ مَبحُوح . مَا عَلينَا فِعلهُ هُوَ أَنْ نَجعَلَ كُلًا مِنهُمَا يَلْتَزمُ حُدُودهُ ، وسوْف تُحَلُّ الْمُشْكِلَةُ ، إِذَا ظَلَّا بَعيدَينِ عَنِ المنارةِ لَا دَاعيَ لِلقلَقِ . وَإِذا شَكَّلا عقبةً ما ، سَوفَ . . .

صمتَتْ أَلبَا ، وازدَادَتْ دَقَّاتُ قَلبِ بُوني عُنفًا .

– سَوفَ مَاذَا؟ قَالَ دوغلاس .

– سَوفَ نَقومُ بِمَا عَلينَا القِيَامُ بِهِ ، قَالَتْ أَلبا . أهمُّ ما لدينَا هُوَ مُرَاقَبةُ بول . إِنَّهُ غَيرُ جَدِيرٍ بِالثِّقَةِ إِطلاقًا ، لَكِنِّي لَا أَظنُّ أَنَّ الطِّفلينِ يَفهمَانِ ذَلِكَ .

– لَكنْ أَلَمْ تَتحَدَّثي مَعَ البنْتِ؟ مَعَ بوني؟ قال دوغلاس .

– بَلَى ، لَكِنْ يَبْدُو أَنَّهَا تُحِبُّ الخَيْلَ . أَخْشَى أَنْ تُصْبحَ صَدِيقَةً لِبول .

– لَا أَظنُّ ذَلِكَ عَلَى الإِطلَاقِ ، فَكَّرتْ بوني . أَبَدًا .

عَمَّ الصَّمْتُ لِلَحظَاتٍ ثُمَّ قالَتْ أَلْبَا :

– إِنَّهُ خَطِيرٌ لِلغايَةِ ، ذَلِكَ المدعوُّ بول . فَكِّرْ بِمَا هُوَ بصددِ فِعلِهِ!

– لَكِنَّا اثنَانْ وَهُوَ وحدُهُ ، قَالَ دوغلاس بِحَزم . لَنْ نُعطِيهِ فُرصةَ تَخريبِ الأمُورِ الآنَ . عِندَمَا يسيرُ كُلُّ شَيءٍ عَلَى أَحسنِ وَجهٍ ، سَوفَ نوقِفهُ عَنْ ذَلِكَ .

– الطِّفلانِ ، قَالَت أَلبا . الطِّفلَانِ!

– لَنْ يتعرَّضَ الطِّفلانِ لأَذَى ، قَالَ دوغلاس . أتمَنَّى ذَلِكَ عَلَى الأَقَلِّ . . . سَيكُونُ الأَمْرِ فَظيعًا لَو صَارَا في عِدَادِ المفقودِينَ هُمَا أَيضًا .

الفَصْلُ الخَامِسُ

لَن يكفيَ القماشُ . رأى تشارلز ذَلك عندما رسم التَّصْميمَ عَلَى الورَقِ . نَظَرَ داخِلَ حقيبةِ السَّفَرِ نظرةً مُفْعَمةً بالخَيبةِ . امتلأتْ حقيبةُ بوني بالألْعَابِ المحْشُوَّةِ وَدفَاترِ الرّسمِ ، أمَّا حَقِيبَةُ تشارلز فقدْ كَانَتْ مَلِيئَةً بالأَقْمِشَةِ وَالوَرقِ وَمِقَصٍّ وَكلِّ مُسْتَلزمَاتِ الخِيَاطة ما عَدَا الماكِينَةَ ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ أنَّهُ يَستطيعُ أَنْ يَسْتَعيرَ مَاكينَةَ خِياطَةٍ من الجدَّة فيفيان .

نَظَرَ إلى المطَرِ المُتَساقِطِ في الخَارِجِ . لَا بُدَّ مِنْ أنَّ هُناكَ مَتجَرًا لِبيعِ الأَقمشَةِ في القَريَةِ . لَو استطَاعَ إيجَادَ مِظلَّةٍ تَحْمِيه من المطرِ ، سَوفَ يُسْرِعُ إِلى القَرْيَةِ بَحْثًا عَنْ ذَلِكَ المتجَرِ .

فَتَحَتْ عِندَهَا بوني بَابَ غُرفَتِه بِعنْفٍ . بَدَتْ متوترَةً جِدًا . حَدَّقَ تشارلز بِهَا مذهُولًا حِينَ أَغلقتِ البَابَ خَلْفَهَا .

– إِنَّهُ مَعْتُوهٌ جِدًا! هَمَسَتْ . وَخَطِيرٌ جِدًا! إِنَّهُ أَفْظَعُ بِكَثِيرٍ مِمَّا تَوقَعْنَا!

– مَنْ؟ قَالَ تشارلز .

– بُول!

تَرَدَّدَ تشارلز في تَصدِيقِ مَا قَالَتْهُ ؛ لِأَنَّ بوني لَا تَتَردَّدُ في المُبَالَغَةِ عِندَمَا تَتَحَدَّثُ عَنِ الأُمُورِ .

– مَاذَا تعنِينَ بِقَولِكِ إِنَّهُ خَطِيرٌ؟ قَالَ .

جَلَسَتْ بُوني عَلَى سَرِيرِ تشارلز ، وَرَبَتَتْ بِيَدِهَا عَلَى اللحَافِ كَي يَجلِسَ إِلى جَانِبِهَا .

– لَقَدْ سَمِعْتُ حَدِيثًا دَارَ بينَ أَلبَا وَدُوغلاس ، قَالَتْ بوني .

ثُمَّ تنفَّسَتْ بعمقٍ ، وَأَخْبَرَتهُ بِسرْعَةٍ فَائِقَةٍ عَمَّا سَمِعَتْهُ مِن حَدِيثِهِمَا . شَعَرَ تشارلز بِالقَلَقِ بَعْدَ انتِهَائِهَا مِنَ الحَدِيثِ .

– قَالَ دوغلاس «أيضًا» ، قالَت بوني . قَالَ إِنَّ الأَمْرَ سَيكُونُ فَظِيْعًا لَو صِرْنَا نَحْنُ أَيضًا فِي عِداد المفْقُودِيْنَ . مَنْ هُمْ هَؤلَاءِ الأَشخَاص الَّذِينَ اختَفَوا هُنَا يَا تُرَى؟

– بَدَأَ تشارلز يَشْعُرُ أَنَّ الموضُوع صار مخيفًا جدًّا . رُبَّمَا كَانَت السَّيدَتَانِ المُسنَّتَانِ اللتَانِ قالَتَا إِنَّهُ يجبُ أَلَا يطُول مكوثُهُما في خلِيج الظِّلِّ عَلى حقٍّ .

– أَلبَا ودوغلاس يَظنَّانِ أَنَّنَا في خطرٍ إِذًا؟ قال . وأَنَّ عَلينَا أَنْ نُغَادِرَ هَذَا المكَانَ؟

– يَبدُو كَذلِكَ ، قَالَتْ بوني . إِنَّ بُول عَلَى وَشَكِ القيَامِ بِأَمرٍ مُريعٍ ، لَكنِّي لَمْ أَفهمْ مَاذَا سَيَفْعَلُ بالضَّبطِ .

اقشَعرَّ تشارلز . ربَّمَا كانَ مِنَ الأَفصلِ لَهمَا لَو بَقِيَا في بَيتِهمَا ، أَو هَرَبَا إِلى مكانٍ آخرَ .

نَظَرَتْ بُوني إِلَيهِ بِعينَيهَا الخَضرَاوينِ الواسِعَتَينِ .

– المَنَارَةُ ، قَالَتْ . أَظنُّ أَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَتحقَّقَ مِنْ أَمْرِ المَنَارَةِ .

إِنَّهُمَا مُختَلفَانِ بَعضَ الشَّيء ؛ تشارلز وبوني . قَالَتْ غابرييلا مِرَارًا إِنَّ ذَلِكَ أَمرٌ إيجابيٌّ ، إِنَّ ذلك هو السَّببُ في أَنَّ كُلًّا منهُمَا يروقُ إلى الآخَرِ .

– الكثيرُ من الأطفال يتشاجرُون كثيرًا لَو كَانُوا في وَضْعٍ مِثل وَضعِكُمَا ، قَالتْ . لكنْ أنتُما لا تفعلان ذلك .

افترض تشارلز أَنَّها حين قالتْ «في وضعكُما» ، كَانتْ تَعنِي وضعَهَا هِيَ ووالدَ تشارلز حيثُ جمعَتْهُما علاقَةُ حبٍّ وتزوَّجا . هُناكَ أَطفالٌ لَا يروقُ لَهمْ أَنْ يقعَ أَحَدُ والدَيهمَا في حُبِّ شَخْصٍ جديْدٍ . لَكنْ فِيمَا يَتعلَّقُ بتشارلز ، فَقَدْ حَدَثَ الأسوَأُ عَلَى الإطلَاقِ ، قَبل ذلِكَ . لَقَدْ تُوفِّيتْ أُمُّهُ منذُ ثلاثِ سنواتٍ . أَنْ يَفقدَ والدتَهُ ، أَنْ يَعيْشَ مِن دُونها ، أصعبُ بِكَثيرٍ مِنْ تَقَاسُمِ الحياةِ مَعْ غابرييلا وبوني . خَاصَّةً وَأَنَّ وَالدَهُ تغيَّرَ كثيرًا منذُ أَنْ أُصيبَتْ والدتُهُ بِالمرَضِ ثُمَّ فارقَتِ الحياةَ .

– حَسَنًا ، مَاذَا علينَا أَنْ نَفْعَلَ ، بِرأيِكِ؟ قَالَ تشارلز . أَليسَ مِنَ الأَفضلِ أَنْ نَعُودَ إلى البَيتِ وَحسْبُ؟ إِذَا كَانَ بُول فَظيعًا إلى هَذَا الحَدِّ؟

رَمَقَتْهُ بُوني بِنظْرَةٍ غاضِبَةٍ .

– لَا ، ذَلِكَ لَيْسَ أَفضَلَ عَلَى الإِطلاقِ ، قَالَتْ . عَلينَا أَنْ نبقَى هُنَا ، أَنْ نُثبِتَ أَنَّنَا عَنينَا مَا قُلْنَا حينَ هَربْنَا مِنَ البيتِ . إِذَا عُدْنَا إِلى البيتِ الآنَ سَنَعُودُ عَوْدَةَ الخَاسِرينَ . ثُمَّ إِنَّنِي لَا أُحبُّ فِكْرَةَ أَنْ تَبقَى جدَّتِي فيفيان هُنَا وَحْدَهَا مَعَ ذَلِكَ المعْتُوهِ .

وَافَقَهَا تشارلز الرَّأيَ فِيمَا يتعلَّقُ بِآخر مَا قَالَتْهُ . لَكنْ مِن جِهَةٍ أُخرَى ، رُبَّمَا لَمْ تَكُنْ جَدَّتُهَا وَحِيدَةً إلى ذَلِكَ الحَدِّ . لَقَدْ تلقَّتِ اتِّصالَاتٍ هاتفيَّةٍ مساءَ أَمسِ مَا لَا يَقلُّ عَنْ ثَلاثِ مَرَّاتٍ . لَدَى الجَدَّةِ فيفيان الكثيرُ مَنَ الأَصدقاءِ ، وَلَدَيهَا أَلبَا ودوغلاس .

– هَلْ قَالَا فِعلًا إنَّ مكوثَنَا هُنَا يُشكِّلُ خطرًا عَلينَا؟ قَالَ تشارلز .

– أَجَلْ ، قَالَتْ بوني . وَقَالَا إنَّ عَلينَا أَلَّا نَقْتَرِبَ مِنَ المَنَارَةِ . هَذَا مَا قَالَهُ بُول وَمَا قَالَتْهُ جَدَّتي أيضًا . لِذَا ، أَرَى أَنَّ عَلَيْنَا الذَّهَابَ إِلَى المَنَارَةِ في الحَالِ لِنَتَحَقَّقَ مِنَ الأَمْرِ بِأَنْفُسِنَا .

قَامَتْ مِنْ مكَانِهَا ، وسارتْ بِاتِّجَاهِ بَابِ غُرفَةِ النَّومِ . سَارَ تشارلز خَلْفَهَا . المَنَارَةُ بالذَّاتِ أَيْقظتْ فُضُولَهُ .

– عَلينَا أَنْ نُخبرَ الجَدَّة فيفيان بكلِّ هَذا ، قَالَ .

هَزَّتْ بُوني رَأْسَهَا نَفيًا .

– لَا ، قَالَتْ . لَا بُدَّ مِنْ أَنَّها تُصدِّقُ ما يقُولُهُ بول أَكثرَ من ما تُصدِقُ أَقوالَنَا . علَينَا أَنْ نعثرَ أَوَّلًا عَلى دليلٍ يُثبتُ أَنَّهُ إنسانٌ غيرُ سويٍّ .

– حَسَنًا ، قَالَ تشارلز .

تَسلَّلَا بِحذرٍ إِلَى الممرِّ . لَقَدْ ان الأوانُ ليعرفا ما هُوَ الخَطرُ الكَامِنُ في المَنارةِ .

لَكنْ قبلَ كُلِّ شَيءٍ ، يجبُ أَنْ يَعرف كُلٌّ مِن تشارلز وبوني مَكَانَ أَلبَا وَدُوغلاس ؛ لِأَنَّهمَا لَا يريدَانِ الإجَابَةَ عَنْ أَسئِلَةٍ حَوْلَ الهَدَفِ مَنْ زِيَارَةِ المَنارَةِ . كانتْ أَلبَا في المطْبَخِ ، أَمَّا دُوغلاس فَجَلَسَ في الصَّالون يُلمِّعُ أَواني الفضَّةِ ، بَينما فيني كَانَ نَائِمًا عَلَى الأَريكَةِ .

أَخيرًا توقَّفَ تَسَاقُطُ المَطرِ . لَمْ يَراهُمَا أَحدٌ حينَ تَسلَّلَا إلى خَارجَ المنزِلِ . بَحثَا عَنْ بول لَكِنَّهُمَا لَمْ يُشَاهِداهُ في الجِوارِ .

رَكَضَ كُلٌّ مِن تشارلز وبوني بسرْعةٍ حَولَ البيتِ ، وَحَرِصَا عَلَى البَقَاءِ إلى جِوارِ الحَائِطِ حتَّى لَا يظهَرا كثيرًا للعيان .

كَمَا في المَرَّةِ المَاضية ، كان بابُ المنارة ، وبابُ الكوخ مُقفلَين . بَحَثَ تشارلز وبوني بِحَماسٍ عن مسمارٍ أو شيءٍ قدْ يُعلِّقُ عَليه أَحدٌ ما مِفْتَاحًا إِضَافيًا . . . من دُون جَدْوى . لمْ يَجِدا أيَّ مفتاحٍ .

نَظَرَ تشارلز إلى الدَّاخلِ مِن وَراءِ النَّافذة كما فعلَتْ بوني في المَرَّةِ المَاضيَةِ .

– يَبدُو الكوخُ جَميلًا وَمُريحًا جِدًا مِنَ الدَّاخل .

وَقَفَتْ بوني إلى جَانِبِهِ .

يُوجدُ في الكوخِ أَريكَةٌ خَضراءُ اللونِ ، وَطَاولَةٌ قاتمةُ اللونِ أَمَامَهَا ، إِضَافَةً إلى كَنَبتَينِ ضَخمَتَينِ .

– يُوجدُ تيرمُسٌ ، هَمَسَتْ بوني .

إِنَّهَا مُحِقَّةٌ .

هُناكَ فِعلًا تيرمُسٌ عَلَى الطَّاولةِ أَمَامَ الأَريكةِ . لَقدْ حَلَّ أَحدٌ مَا غِطاءَهُ وَوَضَعَهُ جَانِبًا .

– لَمْ يكنِ التّيرمُسُ هُنَا في المرَّةِ المَاضِيَةِ . . . أُقسمُ بِذَلِكَ ، قَالَتْ بوني .

– هَذَا يعني أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَأتي إلى هُنَا عَادَةً ، قَالَ تشارلز بِحمَاسٍ . وَإِلَّا مَا الدَّاعِي لِوجُودِ التَرمُس عَلَى الطَّاولةِ .

اقتَرَبَتْ بوني مِنَ النَّافذَةِ حتَّى التَصَقَ وَجهُهَا بالزُّجَاجِ ، مِنْ مَا جَعَلَ

طبقةٌ مِنَ الضَّبابِ تُغطِّي الزُّجاجَ عِندَما تَنفَّسَتْ .

– عَلَينا أَنْ نَتفَقَّدَ المَنارةَ ، قالَ تشارلز .

غَيرَ أَنَّهُ لَمْ يكنْ هُنَاكَ الكثيرُ لِيتفقَّدَاهُ . سَارَا حَولَ المنارةِ في دَوائِرَ متكرِّرَةٍ مِنْ دُونِ أَنْ يُشاهِدَا مَا يثيرُ التَّسَاؤلَاتِ . وَللمرَّةِ الأَخيرةِ حَاوَلَا الإمسَاكَ بالبابِ وَدَفْعَهُ في مَحاوَلَةٍ لِفَتْحِهِ . لَمْ يُرِدْ تشارلز الإمْسَاكَ بِدرابْزِينِ السُّلَّمِ حين صَعَدَ الدَّرجَاتِ المعدُودَةِ نَحوَ بابِ المنارَةِ ؛ لِأَنَّ الدَّرابزِينَ بُنِّيُ اللونِ بفعْل الصَّدَأ وَالأَوساخِ .

– رُبَّما لَدَى الجَدَّة فيفيان مفتَاحٌ ، قَالَتْ بوني .

هَزَّ تشارلز كَتفَيهِ مُعلنًا عدمَ اكتراثِهِ ؛ لِأَنَّ الجدَّةَ فيفيان لَنْ تُعيرَهُمَا المفتَاحَ بِالتَّأكيدِ ، حتَّى لو كان لديهَا . تَأَمَّلَ القفْلَ عَنْ قُربٍ ؛ بَدَا وَكَأَنَّهُ مِنَ النَّوعِ الَّذي يُفتَحُ بِمفتَاحٍ عاديٍّ . لكنَّ شَيئًا غَرِيْبًا بَدَا عَلَيهِ ؛ شَيئًا لَا عَلَاقةَ لَهُ بِشَكْلِ فتحَةِ المفتَاح

هبطَتْ بوني عَنِ السُّلَّمِ ثانيةً ، وظلَّ تشارلز واقفًا عندَ الباب .

– هَيَّا ، تَعَالَ ، قَالَتْ بوني .

تَأَمَّلَ تشارلز القِفلَ ثَانيةً ، ثُمَّ تأمَّل الباب وَقَبضَةَ البَابِ ، وَتَأَمَّلَ أَخيْرًا الدَّرابزِينَ .

ثُمَّ أَدْرَكَ بِبطْءٍ الأَمْرَ الغرِيْبَ المُتعلِّق بالقفْلِ .

كُلُّ مَا يَتعلَّقُ بِالبَابِ وَالسُّلم قَديمٌ وَمتَّسِخٌ يُغطِّيهِ الصَّدَأُ إِلَّا القفْلَ وَالفتْحَةَ الَّتي يُدخَلُ فِيها المفتاحُ . القِفلُ أَسْوَدُ لَامِعٌ وَنظيفٌ . . . لَا أَثرَ لِلصَدَأ عَلَيهِ .

البابُ قديمٌ ، فَكَّرَ تشارلز . لَكنَّ القفْلَ جَديدٌ جِدًّا بِلَا شَكٍّ .

الفصلُ السَّادِسُ

التَّوقفُ عَنِ التَّفكيرِ بِالتِّيرمُس وَالقفلِ أمرٌ في غاية الصُّعوبَةِ. أَدرَكَتْ بوني أنَّ تشارلز عَلَى حَقٍّ. القفلُ جَديدٌ وَصَاحبُ التِّيرمُسِ شَخصٌ يزورُ الكوخَ عَادَةً؛ شَخصٌ يَعرفُ أَيضًا كَيفَ يَدْخُلُ المنارةَ. وذَلِكَ الشَّخصُ لَيسَ الجدَّةَ فيفيان. إنَّهُ شخصٌ لَا يكترِثُ لِكونِ المنارة مَكَانًا مُخيفًا.

– لَا بُدَّ مَنْ أَنَّ مَنْ يَذهَبُ إلى هُنَاكَ هُمَا دُوغلاس وألبا، قَالَت بوني. رُبَّمَا يَقومَانِ بِتنْظيفِ المكانِ أَحيَانًا.

– لِمَاذَا يَقومَانِ بِتنظيفِ مَنارةٍ لَا يريدُ زيارَتَها أحدٌ؟ قَال تشارلز. أَظنُّ أَنَّ شَخصًا آخَرَ يَحتفظُ بِالمفتَاحِ.

– شَخصٌ مِثلَ بول، قَالَتْ بوني.

لَكنَّهَا لَا تَعلمُ مَا الَّذي يَجعلُ شَخصًا مِثل بولْ يَذهبُ إلى المَنَارَةِ.

نَظَرَ تشارلز إلى سَاعَتِهِ.

– سوفَ أَذهبُ إلى القريَةِ، قَالَ. عَلَيَّ أَنْ أَشْتَريَ المزيدَ مِنَ القماشِ.

نَظرتْ بوني حَولَهَا حَائِرةً. مَاذَا ستفعلُ هِيَ إذًا؟

أَجدُ نَفسيْ دَائمًا كَشخصٍ فَائِضٍ عَنِ الحاجَةِ ، فَكَّرَتْ .

خَاصَّةً الآنَ في ظَرفٍ كَهذَا ، حَيثُ لَا إِسطَبلَ تَذهبُ إِلَيهِ . كَانتْ تستطيعُ دَائمًا الذَّهابَ إِلى الإِسطَبلِ حينَ كَانت في البيتِ . قَالَ كُلٌّ مِن إبَّه ووالدتِهَا إِنَّها تَذهبُ إِلى الخيلِ أَكثرَ مِنَ اللازمِ ، وَتقضِي مَعهَا أَوقاتًا أَطولَ مِنَ اللازِمِ . لَمْ يدركَا أَنَّ قَضاءَ الوقتِ مَعَ الخيلِ أَكثرَ مُتعةً وَتَشويقًا بِكثيرٍ مِنْ قَضاءِ الوقت في البَيتِ .

– تَسْتَطِيعِينَ مُرافقَتي إِلى القريةِ إِنْ كُنْتِ تُرِيدِينَ ذَلِكَ ، قَالَ تشارلز .

تَحسَّنَ شعورُ بوني في الحال عِندَمَا قَالَ ذَلِكَ .

– لَا بَأسَ ، قَالت بوني . سَوفَ أَبقَى هُنَا . سَأجدُ مكانًا أَستطيعُ الجُلوسَ فِيْه وَالقراءَةَ .

اختَفَى تشارلز عَنْ نَاظريها حين هبطَ في الطَّرِيقِ نُزولًا مِنْ عَلى الصَّخرةِ وَنظَرتْ بوني بِقَلَقٍ نحو المنْزل . لَمْ يَرُقْ لَهَا مَا سَمِعَتْهُ مِنْ حَدِيثٍ دَارَ بينَ أَلْبَا وَدُوغلاس . شَعرَتْ وكأنَّ بول سيظْهرُ أَمَامَهَا فِي أَيَّةِ لَحْظَةٍ .

وَقَعَ نَظَرُهَا عِندَهَا عَلى العرزال . هُناكَ شجرةٌ بالقرب مِنَ البيتِ الَّذيْ تسكنُهُ أَلْبَا وَدُوغلاس ، أَعْلَى من الأشجار الأُخرى . ووسطَ الشَّجرةِ -بينَ الأَغْصَانِ والأَوْرَاقِ- لَمَحَتْ بوني ما يُشبهُ الكُوخَ الخَشَبِيَّ .

أَسْرَعَتْ بوني إِلى هُنَاكَ . الأرضُ بين الأشجارِ رطبةٌ . لَا عشبَ يَنمُو هُناكَ ، فَدَاسَتْ عَلى التُّربةِ والطَّحَالبِ . تَنفَّسَتِ الصُّعدَاءَ حَينَ وَصَلَتِ البقعَةَ الَّتي تَكْسُوهَا الأَشْجَارُ ؛ لِأَنَّها بِهذَا غَابَتْ عَنِ الأَنظارِ بَعْضَ الشَّيءِ وَلَمْ تَعُدْ رُؤيَتُهَا سهلَةً .

لَمْ تَجِدْ سُلَّمًا يَصْعَدُ إِلى العرزَالِ لكنَّهَا لَمْ تَكْتَرِثْ إِلى الأمرِ ، فَبوني

تَعشقُ تَسلُّقَ الأَشْجَارِ . تَأرجَحَتْ صُعُودًا عَلَى الأَغْصَانِ مُسْرِعَةً . عَليهَا فَقَطْ أَنْ تَضعَ قَدَمَيْهَا فِي المَكَانِ الصَّحيح حَتَّى لَا تَنْزلِقَ وَتَقَعَ . وَجدَتِ التَّسلُّقَ الآنَ أَكثرَ صُعوبَةً مِنَ المُعْتاد ؛ لأنَّ الشَّجَرَةَ بلَّلهَا المطرُ . لَطَّخَ اللحاءُ تنورَتَهَا وَخَدَشَ ساقَيهَا .

ووصلَتْ أَخيرًا إلى قمَّة الشَّجرة هُناكَ فتحةٌ في أَرضيَّةِ العرزَالِ . أَمسَكَتْ بوني بها بكلتا يديها ودفعتْ بجسدها إلى أعلَى . بَدا العرزالُ مَهْجُورًا . حَاكت العنَاكِبُ شباكَها الضَّخْمة فِي الزَّوايا ، وَغَطَّتِ الأَرْضِيَّةَ أَغْصَانَ وَأَوْرَاقَ الشَّجرِ الَّتي حَملَتْهَا الرِّيحُ إِلى هُناكَ . ليسَ للعرزَالِ سَقْفٌ ، بَلْ أَرضيَّةٌ فقَط وَأَربعةُ جدرانٍ يَصلُ علوُّهَا إِلى صَدْرِ بوني . كَأنَّ أَحدًا مَا بَنَى صَنْدُوقًا مَنَ الخشبِ وسطَ الشَّجرةِ . لَكنَّ المشْهدَ من هُناكَ جميلٌ . استطَاعَتْ أنْ تَرَى المُنتزَهَ بكامِلِهِ مِنْ هُناكَ ، وَحتَّى أسفلَ القريةِ .

– رائعٌ ، هَمَسَتْ بينَها وَبينَ ذاتِهَا .

سوفَ تدلُّ تشارلز عَلَى العرزَالِ بِأَسرعِ وقتٍ مُمكنٍ . هَذا إِنْ كَانَ ذَلِكَ الصُّندوْقُ عرزَالًا . كُلَّمَا فكَّرَتْ بِالأمرِ ، كُلَّمَا احتَارَتْ بشأْنِه . قَدْ لَا يكُونُ ذَلِكَ عرزالًا بَلْ مَرصَدًا .

عرزالٌ أَو بُرجُ مراقَبَةٍ ، لَا فَرقَ . لَا يوجدُ الكثيرُ للقيام بِهِ هُناكَ ، بِكلِّ بساطةٍ . نَظَرتْ بوني إِلى سَاعَتِهَا ثُمَّ نَظَرَتْ تُجاهَ القَريةِ . سَوْفَ يتَناوَلُونَ وَجْبَةَ الغذاءِ بَعْدَ عشْرِيْنَ دَقيقَةً ، لِذلِكَ عَليهَا أَنْ تَهْبُطَ مِنَ العرزَالِ ، ثُمَّ إِنَّ عليهَا أَنْ تُبدِّلَ مَلَابسَهَا قبلَ الغداءِ ، فَتنورتُهَا وسترتُهَا مُتَّسِخَتَانِ جدًّا .

تَأمَّلَتْ بُوني المُنتزهَ والقريَةَ بِنظْرَةٍ أخيرةٍ . تمَنَّتْ لَو كانَ بِحَوْزَتِهَا مِنظَارًا حتَّى تَرى المشْهَدَ أَمَامَهَا بصورةٍ أَوضَحَ . قفزَ أَرنبٌ فوقَ العُشْبِ عَلَى مَسافَةٍ مِن هُناكَ . تمَنَّتْ بوني أَنْ يَكُونَ فيني دَاخِلَ المنزلِ وَإِلَّا سَيبدَأُ الآنَ بِملاحقَةِ الأَرنبِ . استدارَ الأَرنبُ ، وقفزَ عائِدًا مِن حيثُ أَتى ثُمَّ اختَفى تحتَ حَجَرٍ مُنخفضٍ . مَالَتْ بوني إِلى الأَمامِ ، وَأمسَكَتْ جيِّدًا بِحافَةِ العرزَالِ .

يَا للهولِ . . .

لَمْ تُصدِّقْ مَا رَأَتْهُ عيناها .

لَمْ يَكنْ هُناكَ حَجرٌ واحدٌ بَل عددٌ مِنَ الأَحجَارِ ، بَلِ الكَثِيرُ مِنَ الأَحْجَارِ . ابتَلَعَتْ بوني ريقها بصعُوبةٍ . يَبدُو أَنَّ مَا رَأَتْهُ هُوَ . . .مَقْبَرةٌ . عَلَى بُعْدِ مِئَةِ مترٍ مِنهَا فقط ، فِي إِحْدى زَوَايَا المُنتزَه . هَزَّت بونِي رَأسَهَا . بالطَّبعِ لَا تُوجَدُ مَقْبَرةٌ في حَديقة منزل الجدَّة فيفيان .

أَلَيْسَ كَذلكَ؟

هَبطَتْ مِنَ العرزَالِ بِسرْعَةٍ . بلْ بأسْرع من اللازم أفلتَتْ قَبْضَتَهَا عَنِ الجِذْعِ بِسبَبِ سُرعتِهَا ، فَانزلقتْ إلى أسْفل الجزْء الأَخيرِ مِنهُ . قَامَتْ بِسُرعةٍ مِنَ المَكَانِ الَّذيْ هَبطَتْ فِيهِ على الأرْض ، وبدأَتْ تَغدُوْ مُبْتَعِدَةً ، لَيسَ بِاتِّجَاهِ المَنزِلِ ، بَلْ بِاتِّجَاهِ الأَحْجار الَّتي رأتْها مِنَ العرزالِ . الأَحْجَارِ الَّتي قَدْ تَكُونُ شَوَاهِدَ قُبُورٍ .

شَعَرَتْ بِسَاقَيْهَا تَرتَجِفَانِ حِينَ وَصلَتْ . كَادَتْ تَعجَزُ عَنِ الوقُوفِ . تِلْكَ الأَحْجَارُ هِيَ شَوَاهِدُ قُبورٍ فِعلًا . مَا لَا يَقلُّ عَنِ العشْرِينَ مِنْهَا . قَرأَتِ النُّصُوصَ الَّتي كُتِبَتْ فَوقَ بَعضِهَا . لَقَدْ مَاتَ غَالِبيَّتُهمْ مُنذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ

جِدًا ؛ رجلٌ مُسنٌّ تُوفِّيَ في عَامِ 1943 ، وَآخرُ تُوفِّيَ في عَام 1912 ، وَسَيِّدَةٌ مُسنَّةٌ تُوفِّيَتْ عامَ 1892 . لا تَحْمُلُ تِلْكَ الشَّواهِدُ أَسمَاءَ شُهْرَةٍ لِلْمُتَوَفِّينَ بَلْ أَسْمَاءَهُمُ الأُولَى فَقَط . لَيسَ هَذا المُتَّبعُ عَادَةً . لَقَدْ رَافقَتْ بوني تشارلز في زِيَارَةٍ لِقَبْرِ وَالِدَتِه مَرَّةً ، ورأتْ شاهدَ قبرِها الَّذي كُتبَ عَلَيهِ اسمُهَا واسمُ شُهْرَتِهَا ؛ مَاتِيلدا ستين .

بَدَأَ المطَرُ يَتَساقطُ ثانيةً . قَطَرَاتٌ ثقيلةٌ سقَطَتْ عَلَى رَأسِ بوني . شَعَرَتْ بالبرد ، واحتَضنَتْ ذَاتَهَا بِذِراعَيهَا . لَدَيها عِدَّةُ أُمُورٍ يَجِبُ أَنْ تَسأَلَ الجَدَّةَ فيفيان عنهَا ، ثُمَّ إِنَّهَا جَائِعَةٌ . مِن الأفْضلِ أَنْ تُسرِعَ في العَودَةِ إلى البيتِ .

لَكنَّهَا اكتشَفَتْ عِندَهَا أَمرًا غَريبًا في شَاهِدِ القبرِ البَعيدِ ؛ إنَّهُ أَصْغَرُ مِنَ الشَّواهِدِ الأُخْرَى ، لَكِنَّ ذَلِكَ لَيسَ كَلَّ شيءٍ . فَهوَ مُنْعَزِلٌ عَنْ بَقيَّةِ القبورِ ، وَحِيْدٌ في مَكَانِهِ ، وَلَمْ يُكتَبْ عَليهَ شيءٌ . ولا حَتَّى كَلمَة وَاحِدَة . كَأَنَّ حَقِيقَةَ مَنْ تُوفِّي وَدُفِنَ هُنَاكَ سرٌّ يَجِبُ الحِفَاظُ عَليه .

أَو كَأَنَّ القَبرَ مَا زَالَ يَنْتَظِرُ أَحدًا لَمْ يَمُتْ بعدُ ، بَلْ سَوْفَ يَموتُ وَيُدْفَنُ فِيهِ .

الفَصْلُ السَّابِعُ

– قُمَاشَ الجينزِ، لَوْ سمحْت، قَالَ تشارلز. وَيُسْتَحْسَنُ أَنْ يَكونَ لونُهُ أَخْضَرُ.

استَغْرَقَ إيجادُ مَتْجَرٍ لبيعِ الأقمشة وَقتًا لَا بَأْسَ بِهِ. عَليهِ أَنْ يَعدُوَ في طَرِيقِ عَوْدَتِهِ إِلَى صَخْرة النُّسور كي يحضُرَ في المَوْعِدِ المُحَدَّدِ لِوجْبَةِ الغَدَاءِ.

– لَيسَ لَدَيَّ قماشُ جينزٍ أخضرُ اللّون، قال الرّجلُ الواقِفُ خَلْفَ المِنْضَدَةِ. لَدَيَّ فقط مِنَ اللونينِ؛ الأزرق والأسود.

– هَل تَسْتَطِيْعُ أَنْ تُحْضِرَ لِي اللوْن الأخضر في ما بَعْد؟ سَأَلَ تشارلز.

– لَا، قَالَ الرَّجُلُ.

– أَمْرٌ غَرِيبٌ جِدًا حَقِيقَةً، قَالَ تشارلز. المَسْأَلَةُ بَسِيطَةٌ وَتَتَعَلَّقُ فَقَط بـ . . .

– أَنْتَ! قَالَ الرَّجلُ. هَلْ سَتَشْتَري القمَاشَ أَمْ لَا؟ سوفَ أُقْفِلُ المتْجَرَ بَعدَ لَحظَاتٍ فَقدْ حَانَ وقْتُ الغَدَاءِ.

تَعجَّبَ تشارلز لِذلِكَ الأمرِ . مَا هَذَا المَتْجَرُ الَّذي يُقفِلُ أبْوابَهُ في وَقْتِ الغَدَاءِ؟

– سَأَخذُ القُمَاشَ الأزرَقَ . سَأكتفي بمتْرٍ وَاحِدٍ مِنهُ .

تحرَّكتْ خَلفَهُ سيِّدتَان مُنشغلتَان بقُماشٍ أَصفَرَ اللَّونِ . ظَنَّ تشارلز أنَّهُ قُماشُ سَتائرَ . أكثرُ ما فعلتاهُ هُو الهَمْسُ . وَضَعَتْ كُلٌّ منهُمَا رأسَهَا إلى جَانب رأس الأخرى ، وتحدَّثتْ كلتَاهُمَا بِلا انقطَاعٍ . شَعْرُ إحْدَى السَّيِّدتين رماديُّ اللون ، وبدا لونُ شَعْرِ الثَّانيةِ مَائِلًا إِلى الأزرَقِ . أراد تشارلز أنْ يضحك بأعْلى صوْته . لَا بُدَّ مِنْ أَنَّ السَّيِّدةَ صَبَغتْ شعرَها لِتوِّها . ألَمْ تلاحِظْ أنَّ المادَّة الَّتي صبغتْ بِهَا شَعرَهَا حَوَّلَتْهُ إلى الأزرَقِ؟

– سَوفَ أَعُودُ بَعْدَ لحَظاتٍ ، قَالَ الرَّجلُ الواقِفُ خلفَ المنضَدَةِ . أخذَ معهُ قُمَاشَ الجينزِ وَاختَفَى خَلفَ سِتارةٍ .

نظَرَ تشارلز إِلى السَّيدتين ثَانيَةً ، وَرَأَى أَنَّهُمَا انغمَستَا في الهَمزِ وَاللمزِ ثَانيةً ، ثُمَّ تَذكَّرهُمَا . إِنَّهما السَّيِّدتَانِ اللتَانِ وَقفتَا أَسفَلَ صَخْرةِ النُّسورِ يَومَ وُصولِهِمَا ، واللتانِ قَالَتَا إِنَّ لَا أَحَدَ يتمتَّعُ بِالأمَانِ في خليج الظِّلِّ .

خَطَا تشارلز خُطْوَةً إلى الخَلفِ بِطريقَةٍ غَيرِ مَلْحُوظَةٍ . أَرادَ أَنْ يَسْمَعَ الحَديثَ الَّذي دَارَ بينَ السَّيِّدتَينِ .

– مَا حَدثَ مُرَوِّعٌ فِعْلًا ، قَالَتِ السَّيِّدَةُ صَاحِبَةُ الشَّعرِ الأَزرَقِ .

– أَجَلْ ، فِعلًا ، قَالَتِ الأُخرَى . لَكنَّا كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَحْدُثُ ثَانيَةً ، أَلَيسَ كَذلِكَ؟

– بَلى ، نَعْرِفُ مُنْذُ البِدَايةِ أَنْ لَا أَحدَ مِنَّا يتمتَّعُ بِالأَمَانِ ، قَالَتْ

صَاحِبةُ الشَّعرِ الأَزرقِ . فَهناكَ حدثٌ جَديدٌ مِنْ هَذَا النَّوعِ في كُلِّ سَنَةٍ . . .
تَوقَّفَتْ عَنِ الحَدِيثِ ، وَرَفعَتْ نَظَرَهَا الَّذي وَقَعَ عَلى تشارلز والَّذي أَسرعَ بِدوْرِهِ ، وَتظَاهَرَ بِأَنَّهُ يَتفَحَّصُ قطْعَةً مِنَ القُمَاشِ .
تَحوَّلتِ عَينَا السَّيِّدةِ إِلى شَقَّينِ ضَيِّقَينِ ، وَخَفَضَتْ صَوتَهَا أَكثرَ ، حيثُ اضطرَّ تشارلز لِبذلِ قُصارَى جهدِهِ لِسمَاعِ ما قَالَتْهُ .
مَا الَّذي حَدَثَ يَا تُرى؟
– مَاذَا لَو لَمْ يَعْثُروا عليهِ؟ هَمَسَتِ السَّيِّدَةُ . سِفَان الصَّغيرُ المِسْكِينُ . مَاذَا لَو ضَاعَ إِلى الأَبَدِ!؟
بَدَتِ السَّيِّدةُ صَاحِبَةُ الشَّعرِ الرَّماديِّ ، وَكأَنَّهَا عَلى وَشَكِ الإِجهَاشِ بِالبكَاءِ .
– كَانَ يَجِبُ إِنهاءُ الأَمرِ تمامًا قبلَ الآنَ ، هَمَسَتْ . لَكنَّهُ مَا زَالَ مُسْتَمِرًّا .
سَمِعَ تشارلز حديثَهَا ، فَتسارعتْ دقَّاتُ قلْبِه .
– يَجِبُ أَنْ نَتَّصِلَ بِأَحَدِهِمْ ، بثتْ صاحبةُ الشَّعرِ الأَزْرَقِ كَلِمَاتِهَا . يَجِبُ أَنْ نُخْبِرَهُم بِحالِنَا هُنا .
هَزَّتْ صَاحِبَةُ الشَّعرِ الرَّمادِيِّ رَأسها بِعُنفٍ .
– لَا جَدوَى مِن ذلكَ ، هَمَسَتْ . إِنَّهمْ يَعْلمُونَ لَكنَّهمْ لَا يَكْتَرِثُوْنَ لِلأمرِ . يَظنُّونَ أَنَّهمْ قَامُوا بِكلِّ مَا فِي استطاعَتِهم القِيَامَ بِهِ .
أَومَأَتْ صَاحِبَةُ الشَّعرِ الأَزْرَقِ بِرأْسِها مُسْتَغْرِقَةً فِي أَفْكَارِهَا .
عَادَ الرَّجلُ مِنَ الدَّاخلِ يَحْملُ مترًا مِنْ قمَاشِ الجينز الأَزْرَقِ .
ارتَجَفَتْ يَدَا تشارلز عِندَمَا همَّ بِدَفْعِ ثمَنِ القمَاشِ . الحَدِيثُ الَّذي دَارَ

بينَ ألبا ودُوغلاس تعلّقَ بِأُناس مَفْقُودِينَ . هَل كَانَا يَتحَدَّثَانِ عَنْ سِفَان؟ وَهَل بُول هُوَ الشَّخْصُ الَّذي أَخْفَاهُ؟

حَدَّقَتِ السّيدةُ صَاحِبَةُ الشَّعر الأزرق بِتشارلز .

لَيتَهَا لَا تَتَذكَّرُهُ .

تَحَدَّثتِ السَّيِّدةُ الأُخرى إلى الرَّجل الوَاقِفِ خَلْفَ المِنضَدَةِ .

– هَل سَمعْت أخبارًا جديدةً عن سفان؟ قالَتْ .

هَزَّ الرَّجلُ رأسه نفيًا

– وَلَا حتّى كلمة واحدة ، قَالَ . ذَلك الطِّفلُ المِسْكِينُ . لَقَدْ مرّتْ أَربعةُ أيّام على اختفَائِه حتّى الآنَ .

تَنَهّدَتْ صَاحِبَةُ الشَّعرِ الرّماديِّ بِعمقٍ .

– الحِكَايةُ برمَّتِهَا مروِّعَةٌ ، قَالَتْ . أَلَنْ يَتركَنَا وَشَأنَنَا ذَلِكَ المعتوهُ؟ ذَا الرَّأسِ المَفْقُودِ ذَلِكَ؟

تَجَمَّدَ تشارلز في مَكَانِه .

– شَخْصٌ مَعْتُوهٌ وَرأسُهُ مَفْقُودٌ؟

– لَا تَتفَوَّهِي بِالحَمَاقَاتِ الآن ، بِوُجُودِ طِفْلٍ فِي المَتْجَرِ ، قَالَ الرَّجلُ .

– هَذِهِ لَيْسَتْ حَمَاقَاتٍ ، قَالَتْ صَاحِبَةُ الشَّعرِ الأزْرَقِ . أَنتَ تَعْلَمُ ذَلِكَ أَيضًا! عَلينا أَنْ نَحْمِيَ الأطْفَالَ مِنَ الكَثِيرِ مِنَ الأُمُورِ ، وَلَكِنْ لَيْسَ مِنَ الحَقِيقَةِ .

– كَيْفَ تُفرِّقِينَ بَينَ الحَقِيقَةِ وَالخَيَالِ؟ قَالَ الرَّجُلُ . أَنَا لَا أُؤمِنُ بِالأَشْبَاحِ .

– أَعْرِفُ الحَقِيقَةَ لِأَنَّني رَأيتُهُ ، قَالَتِ السَّيِّدةُ المُسِنَّةُ ، وَقَدِ ازدَادَتْ

تَوتُّرًا . لَمْ أَسْتَطِعِ النَّومَ في لَيْلَةٍ مَا فَوقَفْتُ في الشُّرفَةِ ، وَرُحْتُ أَنْظُرُ إِلى البَحْرِ . لَمْ أَنْدَمْ في حَياتِي عَلَى فِعْلٍ مَا كَمَا نَدِمْتُ عَلى ذَلِكَ . مَا رأيتُهُ كَانَ مُقَزِّزًا ، وَمُرَوِّعًا .

سَارَ تشارلز إلى الخَلْفِ بِاتِّجَاهِ البَابِ . لَمْ يَعُدْ يَرْغَبُ بِسَمَاعِ المزيدِ . لَكِنَّ المَرْأَةَ تَابَعَتْ حَدِيثَهَا .

– ظَهَرَ القَارِبُ مِن لَا مَكَان ، قَالَتْ . وُجِدَ هُنَاكَ مِنْ دُونِ سَابِقِ إنذارٍ وَحَسْبُ . أُقْسِمُ بِأَنِّي أفهمُ تمامًا مَا رَأَيْتُ . رَأَيْتُ المُنتَقِمَ ذَا الرَّأسِ المفقودِ ، وَحِيْدًا في القَارِبِ ، غَاضِبًا إلى دَرَجَةٍ جَعَلَتْهُ يَجْلِدُ المَاءَ بِمجذافَيهِ .

المُنْتَقِمُ ذُو الرَّأسِ المَفْقُود .

فَتَحَ تشارلز البَابَ ، وخرجَ إلى الشَّارعِ .

التَقَطَ أَنفاسَهُ بِعُمْقٍ . السَّيِّدتان المُسنَّتَانِ مَعْتُوهَتَانِ .

ركضَ طَوالَ طَرِيقِ عَودته إلى النيت فوقَ صَخْرةِ النُّسُورِ . كَانَ المَطَرُ يَنْهَمِرُ بِغزَارةٍ . فكَّرَ بالرَّجل الَّذي لا رأس لهُ . ليسَ هُنَاكَ أَشباحٌ بِالطَّبعِ . الجَمِيعُ يَعْلَمُ ذَلِكَ .

أَليسَ كَذلِكَ؟

يَبدُو جَليًا أَنَّ الولَدَ الَّذي يُدعَى سفان قد اختَفَى فِعلًا . مَنِ الَّذي أَخْفَاهُ يَا تُرى؟

الفَصلُ الثَّامنُ

– مَاذَا لو كَانَ بول هُوَ الفَاعِلُ ، قَالَتْ بوني عِندَمَا أَخْبرَهَا تشارلز بِمَا رَأَى ومَا سَمِعَ . مَاذَا لَو كَانَ هُوَ مَنْ أَخفَى سِفان؟

لَمْ يَقْتَنِعْ تشارلز بِذلِكَ .

– نَعَم ، قَالَ .

وَافَقَتْهُ بوني الرَّأيَ . لَيسَ مِنَ الحِكمَةِ اتِّهامُ بُول بِخَطْفِ طِفلٍ . . . لَيسَ قَبْلَ أَنْ يَعرِفَا المزيدَ عَنهُ ، إِنْ كَانَ هُنَاكَ سَبِيْلٌ لِمعرفَةِ المَزِيدِ عَنْهُ .

اتَّخَذَا قَرارًا بِالتَّحَدُّثِ مَعَ الجَدَّةِ فيفيان عَنِ الأَمرِ . تُرِيدُ بُوني طَرْحَ أَسْئِلَةٍ تَتعلَّقُ بِالقُبُورِ فِي المُنْتَزَه وَبِالمَنَارَةِ . أَرادَ تشارلز أَنْ يَسأَلَهَا عَنِ القِصَّةِ الفَظِيعَةِ الَّتي سَمِعَهَا فِي مَتْجَرِ القمَاشِ . قَدْ يَجرُآنِ أَيْضًا عَلَى طَرحِ أَسْئِلَةٍ تَتَعلَّقُ بِبُول . غَيرَ أَنَّ الجَدَّة فيفيان تَلَقَّت اليومَ بِالذَّاتِ عَدَدًا مِنَ الزِّيارَاتِ أَكبرَ مِنَ المعتَادِ . زَارتْهَا أَوَّلًا سيِّدةٌ مُسِنَّةٌ في وَقْتِ الغَدَاءِ . سَيِّدةٌ تُدعَى فِيرا ، وَتَتحدَّثُ بِصوتٍ عَالٍ لِلغَايَةِ . وَبِالكَادِ غَادَرتْ حَتَّى ظَهَرَ ضَيْفٌ آخَرُ هُوَ صَدِيقُ طُفُولَةِ الجَدَّةِ فيفيان ، وَبَقِيَ عِنْدَهَا طَوالَ فترة

بَعْدِ الظُّهْرِ.

انْتَظَرَ كُلٌّ مِنْ بُوني وتشارلز رَحِيلَ الضّيفِ بِفَارِغِ الصَّبرِ. أَرَادَا الحَدِيثَ مَعَ الجَدَّةِ فيفيان عَلَى حِدَةٍ، لَكِنَّ صَدِيقَ طفولَتِهَا لَمْ يُغَادِرْ حَتّى السَّاعَةِ الخَامِسَةِ.

– يَا لَهُ مِن يومٍ! ضَحِكَتِ الجَدَّةُ فيفيان عِندَمَا غَادَرَ. أَظنُّ أَنَّ عَلَيَّ أَنْ أَجْلُسَ في الصَّالُونِ لِفترةِ الآنَ.

تَبِعَهَا كُلٌّ مِنْ بُوني وَتشارلز في الحَالَ. أَغْلَقَتْ بوني البَابَ لِكَيلَا يَسْمَعَ حَدِيثَهُمْ أَحَدٌ.

– هَلْ حَدَثَ شَيءٌ ما؟ سألتِ الجَدَّةُ فيفيان بِقلَقٍ.

جَلَس كلٌّ مِن بُوني وتشارلز إلى جَانِبِهَا عَلَى الأَريكةِ.

– تَكلَّمِي أَنْتِ أَوَّلًا، قال تشارلز وَأَوْمَأَ برأسِهِ نَحْوَ بوني.

– لَدَينَا تَسَاؤُلَاتٌ حَوْل المنارة، قالتْ بُوني. وَحَوْلَ...

وَعندَهَا بِالذَّاتِ حَدَثَ أمْران في انٍ معًا. اوَّلًا حدث أَنْ رَأَتْ بوني بُول وَاقِفًا في الحَدِيقَةِ، عَلَى مَسافَةِ أمْتارٍ مَعْدُودةٍ من وراءِ النَّافِذةِ، فتلَعْثَمَتْ. ثُمَّ فُتِحَ بابَ الصَّالون، وَدخَلَتْ ألبا.

– لَدَيكِ زَائِرٌ، قَالَتْ بِطَرِيقَةٍ مُقْتَضبةٍ للجَدَّةِ فيفيان.

– زَائِرٌ؟ مُجَدَّدًا؟ قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان.

ظَهَرَ رَجُلٌ طويلُ القَامَةِ خَلفَ ألبا.

– أُوه يَا هنري! نَادَتِ الجَدَّةُ فيفيان، وَقَامَتْ مِنْ مَكَانِهَا. لَمْ أَتَخَيَّلْ قُدُومَكَ في هَذَا اليومِ بِالذَّات.

عَانقَتْهُ وَاسْتَدَارَتْ نَحوَ الأَريكَةِ

– يَا أَولادُ، هَذَا هنري، صَاحِبُ المَعْرَضِ الَّذي أَعْرِضُ فِيهِ لَوْحَاتي في القَرْيَةِ. لَقَدْ عَادَ لِتَوِّهِ مِنْ بَارِيس حَيثُ شَاهَدَ مَعْرَضًا فَنيًا رَائِعًا.

صَافَحَ هنري بوني وتشارلز. ابتَسمت الجَدَّةُ فيفيان، وَقَالَتْ:

– أَظُنُّ أَنَّ الأَسْئِلَةَ الَّتي تُريدَان طَرْحها تَحْتَمِلُ الانتِظَارَ إِلى يَوْمِ غَدٍ؟

ثُمّ رَأَتْ بُول في الحديقَة عبْر النَّافذة هي أيْضًا.

– أَلَنْ تَسْتَغلِّي الفُرْصة، وتتحدّثِيْ مع بُول عَنِ الخَيْلِ؟ قَالَتْ لِبوني.

– لَاحقًا، رُبّما، قالت بُوني بِصَوْتٍ مُنْخفضٍ.

ثُمَّ غَادَرَت الجَدَّةُ فيفيان بِرِفْقَةِ هنري. ظَلَّ كُلٌّ مِنْ بُوني وتشارلز واقفَين في مَكانِهِمَا. ثُمّ استَكْشَفَتْ بُوني صَحِيفَةً علَى الطَّاوِلَةِ أَمَامَ الأَريكةِ.

– تشارلز، انظُرْ، قَالَتْ مُضْطَرِبَةً.

غَطَّتِ الصَّفْحَةَ الأوْلَى صُورَةُ طِفْلٍ صَغِيرٍ يَحْتَضِنُ دَبْدُوبًا أَزْرَقَ اللَّونِ. كُتِبَ تَحْتَ الصُّورَةِ: «أَيْنَ سِفَانْ؟»

صَعُبَ النَّومُ عَلَى بُوني في تِلْكَ الليلَةِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وُجُودِ الدُّمَى المَحْشُوَّةِ في سَرِيرِهَا. لَمْ تَجِدِ الجَدَّةُ فيفيان مُتَّسعًا مِنَ الوقتِ لِتُجِيْبَ وَلَو عَنْ سُؤَالٍ وَاحِدٍ. كَادَ كُلٌّ مِن بُوني وتشارلز يَنْفَجِرَانِ بِسَبَبِ مَا تَجَمَّعَ دَاخِلَهمَا مِنْ فُضُولٍ، فَهُمَا يُرِيدَانِ مَعْرِفَةَ كُلِّ شَيءٍ عَنِ القُبُورِ وَالطِّفْلِ المَفْقُودِ. وَلَا سِيَّمَا المُنْتَقِمِ ذِي الرَّأْسِ المفقُودِ، لَكِنَّ الأَسْئِلَةَ كُلَّهَا تَأَجَّلَتْ. بَقِيَ هنري في بَيْتِ الجَدَّةِ طَوَالَ المساءِ، ثُمَّ حَانَ مَوْعِدُ نَوم الجدَّةِ.

قَرَأَ كلٌّ مِنْ بوني وتشارلز كُلَّ كَلِمةٍ في الصَّحِيفَةِ، لَكِنَّهُمَا لَمْ يَجِدَا الكثِيرَ مِنَ المَعْلُومَاتِ. سِفان مَفْقُودٌ وَلَا أَحَدَ يَعثرُ عَلَى أَثرٍ لَهُ.

لَنْ تَفْلُتَ الجَدَّةُ فيفيان مِنهُمَا يَومَ غَدٍ ، فَكَّرتْ بوني . سَتَكُونُ مُجْبَرةً عَلَى الحَدِيثِ إِلينَا .

تَقَلَّبَتْ بوني قَلِقَةً فِي سَرِيرِهَا . خُيِّلَ إِلَيهَا أَنَّهَا سَمِعَتْ طَقْطَقَةً فِي كُلٍّ مِنَ السَّقْفِ وَالجُدْرَانِ . كَأَنَّ أَحدًا مَا يَتَمَشَّى فِي المَمَرِّ خارجَ غرفَتِهَا ذهابًا وَإيابًا . عَسَى أَلَّا يَكونَ ذَلكَ الأَحدُ بُول ، أَوِ الرَّجُلَ الَّذي لَا رَأْسَ لَهُ . . . لَكِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ غيرُ موجُودٍ ، بِالطَّبعِ ، إِنَّهَا تَتَوهَّمُ ، كَمَا أَنَّها تَعْلَمُ أَنَّها تَتَوهَّمُ . وَعَلَى الرَّغمِ منْ ذلكَ وَجَدَتْ صُعُوبَةً فِي أَنْ تغفُوَ .

لَيتَهَا تَتَقَاسَمُ الغُرْفَةَ مع تشارلز .

ثُمَّ خطَرَتْ لِبُونِي فِكْرةٌ . هيَ لَيْسَتْ مُجْبَرةً عَلَى أَنْ تَكُونَ وَحِيدَةً . فيني يَنَامُ في سَلَّتِهِ في الصَّالُون في الطَّابق السُّفليِّ . لَنْ يَغْضَبَ إِنْ ذَهَبَتْ وَاصْطَحَبَتْهُ إلى غُرْفَتِهَا

مُجَرَّدُ التَّفْكيرِ بِاسْتِضَافة الكلب في غُرفتها مَلأَتها بالدِّفء .

تَسَلَّلَتْ مِنْ غُرفَتِهَا عَلَى رُؤوسِ أصابع قدميها . دقَّت السَّاعَةُ مُشيرةً إِلى الواحِدَةِ . توقَّفَتْ بوني في مُنْتَصف الخطوة . لماذا يُصبحُ كُلُّ شَيءٍ مُخيفًا في الظَّلَامِ؟ ابتلَعَتْ رِيقَهَا وَدَخَلَتْ إلى الصَّالون . لَمْ تجرُؤْ عَلَى إِنَارةِ المَصَابِيحِ ، بَلْ ظَلَّتْ تَتَحَرَّكُ في العَتْمَةِ . تدفَّقَ نُورُ القمرِ مِنْ خِلالِ النَّوافِذِ . رَفَعَ فيني رَأسَهُ فِي الحَالِ حِينَ سَمِعَ خُطاهَا . تثاءَبَ لَكِنَّهُ بَدَا سَعِيدًا لِرؤيَتِهَا . تَحَرَّكَ ذَنَبُهُ إِلى الأَمامِ ، وإلى الخلفِ ، وَارتَطَمَ بحافَةِ السَّلَّةِ الَّتي تمدَّدَ دَاخلَهَا .

– شْشْش ، هَمَسَتْ بوني ، وَوَضَعَتْ إِصبَعَهَا فَوقَ شَفَتَيْهَا .

جَعَلَ هَذَا فيني أَكْثَرَ فَرَحًا . قَامَ مِن مَكَانِهِ ، وَأوشَكَ عَلَى الإِطَاحَةِ بِمَزْهَرِيَّةٍ مِنْ شِدَّةِ مَا لوَّحَ بِذَنَبِهِ .

– أوه ، لَا ، هَمَسَتْ بُوني .

أَمْسَكَتْ بِالعقْدِ الَّذي يُحِيطُ بِعُنُق فيني ، وَقَادَتهُ إلى خَارِجِ الغُرفَةِ . شُدَّ فيني بِقوَّةٍ للسيرِ بِاتِّجاهِ البابِ الخارجيِّ . . . شُدَّ بِقوَّةٍ وَحزم .

– لَا ، لَنْ نَخْرُجَ مِنَ البيت في وقْتٍ مُتأخِّرٍ كَهذَا ، هَمَسَتْ بوني .

لَكِنَّ فيني عَنيْدٌ ، وقَوِيّ حدثتْ براثنُهُ الأَرْضَ الخَشَبِيَّة الصُّلْبَة عِندَمَا شُدَّ بِقوَّةٍ للسير باتِّجاه الباب .

مَاذَا لَو كَانَ بحاجةٍ إلى الخُروج كي يتبوَّل؟

نَظَرَتْ بوني حولها بَحْثًا عَن قَيدهِ . أَلَمْ تراهُ مُعلَّقًا في الرِّوَاقِ عِنْدَ البَابِ الخَارِجِيِّ؟ أَنارَتْ مِصْبَاحًا صَغِيرًا مُثبَّتًا في الحائط كَي تَرَى . وَوَجَدَتْ فِعْلًا القَيْدَ مُعلَّقًا عَلَى خطَّافٍ فِي الجِدَارِ . تَنَفَّسَتِ الصُّعدَاءَ ، وَهِيَ تَشْبُكُ القَيدَ بِالعقدِ المُحِيطِ بِعُنقِ فيني .

– سَنَخْرُجُ قَليلًا كَي تتبوَّلَ فَقَط ، حَسنًا؟ همستْ في أُذنِهِ . حَسنًا؟ قَالَتْ ثانيةً ثُمَّ أَدارَتِ المِفتَاحَ في القفلِ ، وَفَتَحتِ البَابَ .

استَقْبَلَهَا هَوَاءُ الليلِ البَارِدِ . كَانَ المُنْتَزَهُ غَارِقًا في الظَّلَامِ خَاوِيًا أَمَامَهُمَا . نَدِمَتْ بوني عَلَى خُرُوجِهَا لِدرجةٍ جَعَلَتهَا تَرْغَبُ في البُكَاءِ . لِمَاذَا نَزلتْ إِلَى الطَّابِقِ السُّفليِّ كَي تُحْضِرَ فيني؟ كانَ بِوسْعِهَا أَنْ تَطْرُقَ بَابَ غُرْفَةِ تشارلز بَدلًا مِنْ ذَلِكَ . وَأَنْ تَطْلُبَ مِنْهُ السَّمَاحَ لَهَا بِافْتِرَاشِ الأَرْضِ في غُرْفَتِهِ ، لَكِنَّ الأَوَانَ قَدْ فَاتَ عَلَى ذَلِكَ الآنَ .

شَدَّ فيني قَيْدَهُ كَالمَعْتُوهِ . لَمْ يَكُنْ بِيدِ بوني حِيْلَةٌ لإِيقَافِهِ ، وَعَجِزَتْ عَنْ مُقَاوِمَتِهِ . لَمْ تجْرُؤْ عَلَى إِفْلَاتِ القَيْدِ مِنْ يَدِهَا . لِذَلِكَ أُجْبِرَتْ عَلَى

العَدْوِ بِالسُّرعَةِ ذَاتِهَا الَّتي عَدَا بِهَا فيني حَولَ المَنْزِلِ . عَدَتْ خَلْفَهُ بِقَمِيْصِ النَّوْمِ حَافِيَةَ القَدَمَينِ .

– تَوقَّفْ! هَمَسَتْ بوني . تَوَقَّفْ!

لَمْ تَجْرُؤْ عَلَى مُنَادَاتِهِ بِصَوْتٍ عَالٍ . لَو فَعَلَتْ لَأيْقَظَتْ أَلْبَا ودُوغلاس مِنَ النَّومِ . ثُمّ إِنَّهَا مَا تَزالُ خَائِفَةً مِنْ وُجُودِ بول في المُنْتَزه .

لِمَاذَا وَقَفَ خَارِجَ النَّافِذة سَابِقًا؟

أَرجُو أَلَّا يُدْرِكَ أَنَّنا نعْلَمُ بأَنَّهُ إِنْسَانٌ خَطِيرٌ ، فَكَّرتْ بوني .

ظَنَّتْ فِي بَادِئِ الأَمْرِ أنَّ فيني سَيَقودُهَا إِلَى المَنَارةِ ، لَكنَّهُ انعَطَفَ ، وَأَسْرَعَ بِاتِّجَاهِ حَافَّةِ الجَرْف الصَّخريِّ بَدَلَ ذَلِكَ . لَهَثَتْ بوني ، وَتَمَسَّكَتْ بِشِدَّةٍ بِقَيْدِ الكَلْبِ حِين عدتْ فوْقَ العُشْبِ المُبَلَّلِ بِالنَّدَى . إِذَا رَمَى الكَلْبُ بِنَفْسِهِ عِنْدَ حَافة الهاوية ستُجْبرُ عندَهَا عَلى إفلَاتِ قَبْضَتِهَا عَنِ القيدِ . وَإِلَّا سَتَتْبَعُهُ إِلَى مياه البحر أسْفل الجَرف الصَّخريِّ لِتلقَى حَتْفَهَا هُنَاكَ .

– تَوقَّفْ!

المَسَافَةُ الَّتِي تَفْصلُهُمَا عَنِ المنزل الان طويلةٌ إلى درَجَةٍ جَعَلَتْهَا تَجْرُؤُ عَلَى أَنْ تُنَادِيَهُ بِصَوتٍ عَالٍ . تَوقَّف فيني عنْد مجْمُوعَةٍ مِنَ الأَدْغَالِ ، وَنَبَحَ بِصَوْتٍ مَكْبُوتٍ كَأَنَّهُ يُحَاوِلُ أنْ يقُول لها :

– «هُنَا يَا بوني! هَذَا مَا أَرَدْتُ أَنْ تُشاهدي!»

كَانَتْ بُوني مُرْهَقَةً تَمَامًا . شَعَرَتْ بِالْبَردِ ، وَتَصَبَّبَتْ عَرَقًا فِي آنٍ مَعًا . اقْشَعَرَّتْ ذِرَاعَاهَا وَسَاقَاهَا . لَهَثَتْ هِيَ وفيني بِالمقدَارِ نَفْسِهِ . جَلَسَتِ القُرْفُصَاءَ ، وَوَضَعَتْ ذِرَاعَهَا حَوْلَهُ .

– إِذَا عَدَوْتَ ثَانِيَةً، سَأَضْطَرُّ إِلى أَنْ أَتْرُكَكَ، قَالَتْ. هَلْ تَفهَمُ ذَلِكَ؟
تَذَمَّرَ فيني، وَعَفَرَ التُّرابَ بِبَرَاثِنِه. كَانَتِ الشُّجيراتُ عَالِيَةً، بِعلوِّ قَامَةِ بوني تَقرِيبًا. وَفي الأَسْفَلِ تَعالَى هَديرُ البحْرِ. سَمِعَتْ بوني صَوْتَ الأَمْواجِ تَتَلاطَمُ مَعَ الصُّخُورِ. مترٌ واحدٌ فصَلَ بينَهما وَبينَ حَافَّةِ الهَاوِيَةِ.
لَكِن مَا الَّذي أَرَادَ فيني أَنْ تَراهُ هُنا؟
جَرَّبَت بُوني أنْ تسيرَ حَولَ مَجْمُوعةِ الأَدْغال. رَمَشَتْ غَيرَ مُصدِّقةٍ مَا رَأَتْه عَيناهَا. خلفَ الأَدْغَالِ، عِنْدَ حَافَّةِ الهاوِيةِ تمامًا، وَجَدَتْ مرفقًا آليًا ضَخْمًا يُغطِّيهِ الصَّدَأُ. وَإِلى جَانبِ المرفقِ الآليِّ وَجَدَتْ وعَاءً ضَخْمًا مَصْنُوعًا مِنَ التَّنكِ يُغَطِّيهِ الصَّدَأُ أَيضًا. اقترَبَتْ بوني مِنَ المرفقِ الآليِّ وَالوعَاءِ وَتفحَّصَتْهُمَا. وفي نِهَايَةِ المَطَافِ وَجَدَتْ نَفْسهَا مُجْبَرَةً عَلَى أَنْ تَتَمَدَّدَ عَلى بَطْنِهَا؛ لِتَنْظُرَ مِنْ فَوقِ حَافَّةِ الهَاوِيَةِ.
وَأُصِيبَتْ بِالذُّهولِ.
هَذَا غَيرُ مَعْقُولٍ. الوعَاءُ وَالمرفقُ الآليُّ عبَارَةٌ عَن مصْعَدٍ يُمكِنُ إنزالُهُ مِنْ صَخْرةِ النُّسورِ إِلى أَسفَل.
في اللحظَةِ ذَاتِهَا انتَشَرَ فوقَهَا وَفوقَ فيني شُعاعٌ مِنَ الضَّوءِ أَصْفَرُ اللَّونِ. خَفَضَتْ بوني رأسَهَا لَكِنَّ الضَّوءَ مَرَّ بِهَا وَاخْتَفَى. الذُّعرُ الَّذي شَعَرَتْ بوني بِهِ جَعَلَهَا تَرْتَجِفُ. قَدْ يَكُونُ مَصْدَرُ ذَلِكَ الضَّوءِ مِنْ مِصبَاحٍ يَدَويٍّ ضَخْمٍ؟ مَاذَا لَو كَان بول يَبْحَثُ عَنهَا!؟ ثُمَّ أَدْرَكَتْ أَنَّ الضَّوءَ لَمْ يَنْبَعِثْ مِنْ مِصْبَاحٍ يَدَويٍّ. إِنَّهُ شُعَاعٌ ضَخْمٌ، أَضْخَمُ من أَنْ يَنبَعِثَ مِن مِصْبَاحٍ يَدويٍّ. رَفَعَتْ رَأْسَهَا تَحتَ وَطْأَةِ الفُضُولِ، وَرَأَتْ شُعَاعًا جَديدًا لِلضَوءِ يَدُورُ في المَكَانِ.

ارتَجَفَتْ مَذْهُولَةً حِينَ رَأَتِ المَصْدَرَ الَّذي انتَشَرَ مِنْهُ الضَّوءُ .
إنَّه المَنَارَةُ .
هُنَاك نُورٌ يَنْبَعِثُ مِنَ المنَارةِ .

الفَصلُ التّاسعُ

تَحَدَّثتْ بُوني في البِدَايَةِ بِسُرْعَةٍ جَعَلَتْ تشارلز بِالكَادِ يفْهَمُ مَا قَالَتْهُ .

– لكِنِ انتَظِرِيْ قَليلًا ، قَالَ . لَقَدِ استَيقَظْتُ مِنَ النَّومِ لِتوِّيْ .

قَامَ وَجلَسَ في السَّريرِ بَيْنَمَا كَانَتْ بُوني تَشُدُّ بِلحَافِهِ .

– أَنتَظِرُ؟ لَقَدِ انتظرْتُ بِمَا فيهِ الكفَايةُ في الحَقيقَةِ . انتظرْتُ طَويلًا جِدًّا! لَكنْ يبدُو أَنَّكَ لَنْ تستيقِظَ أَبدًا .

نَظَرَ تشارلز إِلى السَّاعَةِ ، إِنَّهَا تُشيرُ إِلَى السَّابِعَةِ وَالنِّصفِ صَبَاحًا .

– أَلَمْ تَنَامِي؟ هَلْ سَهِرْتِ طَوَالَ الليلِ؟ قَالَ نَعِسًا .

– تَقريبًا ، قَالَتْ بوني ، لَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَهِمُّ ؛ لِأَنِّي وَجدْتُ شَيئًا الليلةَ المَاضِيةَ .

– الليلَةَ المَاضِيةَ؟ لَكِنْ مَا . . .

قَاطَعتْهُ بوني :

– اسمَعْنِي الآنَ . . . هَذَا مَا حَدَثَ .

وَهكَذَا ، أَخْبَرَتْهُ كَمْ كَانَتْ خَائِفَةً مِنَ الظَّلامِ ، وكَيفَ ذَهَبَتْ

لِتصْطَحِبَ فيني إلَى غُرفَتِهَا . فَتَحَ تشارلز فَاهُ دَهْشَةً حِينَ أخبرَتْهُ بِأنَّها خَرجَتْ وَركَضَتْ في المُنْتَزَه أثْناءَ الليلِ . وَخَطَرَ لَهُ أنَّهُ يُفَضِّلُ المَوْتَ عَلى الخُرُوجِ إلَى المُنْتَزَه وَحِيدًا في مُنْتَصَفِ الليلِ . ذَلِكَ مِنَ الأمورِ الَّتي يَسْتَطِيعُ البَوحَ بِهَا لِبوني ، وَلَكِن لَيسَ لِوالِدِه ؛ لِأنَّ وَالِدَهُ سَيُفكِّرُ عِندَهَا أنَّ تشارلز جَبَانٌ .

– المَنارةُ تُضِيءُ! قَالَت بُوني . لَمَعَ نُورُهَا ثَلاثَ مَرّاتٍ . أتعلَمُ مَا أعنِي ، إنَّ شُعَاعَ نُورِهَا مَرَّ مِن فوقنا ثَلاثَ مَرّاتٍ ، ثُمَّ إنَّ هُناكَ مِصعَدًا .

ظَهَرَتْ عَلامَاتُ التَّجهُّم عَلى جَبْهَةِ تشارلز عِندَمَا تَحدَّثَتْ عَنِ المصعَدِ . لَمْ يَفهَمْ مَا عنتْهُ بالضبطِ .

– أَظُنُّ أنَّهُ بالإمكان إدارةُ المرفق الآليِّ لِرَفعِ وَإنزالِ الوعَاءِ عَلَى طُولِ حَافَّةِ الجَرفِ الصَّخريِّ ، قالتْ بوني أي يُمكِنُ استخدَامُهُ كَمصعَدٍ .

– لَكِنْ لِمَاذَا؟ مَنْ يُريدُ فعل دلك؟ سأل تشارلز .

– عَلينَا أنْ نَتحدَّثَ إلى جدّتي فيفيان اليوْم ، قالتْ بوني بِحَزمٍ . إنْ أتاهَا زُوّارٌ سَوفَ نَجعلُهُمْ يَعودُون أدراجهُم .

تَحدَّثَتْ بوني وَكَأنَّهَا هِيَ وَتشارلز مَنْ يملُكانِ القرارَ في المَكَانِ .

وَفِي كُلِّ الأحوالِ ، أومَأَ تشارلز برأسه مُوافقًا .

– عَلَينَا أنْ نَفعلَ ذَلِكَ ، نعمْ ، قال .

ثُمَّ نَهَضَ مِنْ سَريرِهِ وَارتَدَى مَلَابِسَهُ .

– لَكِنْ يَا طِفلَتِي العَزيزَة ، أَلَمْ تنامِي الليْلَةَ المَاضِيَةَ أبَدًا؟

نَظَرَتِ الجَدَّةُ فيفيان إلَيهَا بِقَلَقٍ ؛ وكذلك فعلَ تشارلز حِين رَآهَا . بَدَتْ بوني مُرهَقَةً ، لَكِنَّ بَريقًا كَانَ يَشعُّ مِنْ عَينَيهَا .

جَلَسُوا في المطبَخِ يَتناوَلُونَ وجبةَ الفَطورِ. لَمْ يَحضرْ أَيٌّ مِنْ ألبا ودوغلاس بَعدُ، وَلَمْ يَحضرْ بُول أيضًا.

تَمَلْمَلَ تشارلز في مَكَانِهِ مُضطَرِبًا. مَازالا لَا يعرفَانِ مَا هُوَ السِّرُّ العجيبُ الَّذي يَتعلَّقُ ببول وَبالمَنَارَة.

– ضَميرِيْ يُؤنِبُني قَليلًا، قَالَتِ الجَدَّة فيفيان. لَمْ أَجِدْ حَتَّى الآنَ وَقتًا أَقضِيهِ مَعكُمَا.

– الحقيقةُ هِيَ أَنَّكِ لَمْ تَكُونِي عَلَى عِلم بقدُومنا، قَالَتْ بوني.

تَناوَلَتِ الخبزَ المُحَمَّصَ وَكريمَةَ الشُّوكُولَاتَه؛ طعامٌ لا يُمكنُ أَنْ يُسمحَ لَهُمَا بِتنَاوُلِه في بَيتِهِمَا.

– لَكنِّي قُلْتُ إنَّ بِوسعكُمَا البقَاءَ هُنَا، قَالَتِ الجدَّةُ فيفيان. يَجبُ أَنْ يعنيَ هَذَا شَيئًا. أَنْ نقومَ بِنشاطَاتٍ مُشوِّقَةٍ مَعًا.

قَضَمَ تشارلز قَضمَةً كَبيرَةً مِنْ شَطِيْرةِ السُّجُقِ الَّتي كانَتْ في يَدِهِ.

– حَسَنًا، لَدَينَا بَعضُ الأَسئِلَةِ الَّتي نَوَدُّ طَرحَهَا، قَال بِحَذَرٍ.

لَقدْ ضَاقَ ذَرعًا بِسمَاعِ الكِبارِ يَتحدَّثونَ عَنِ الأَشياء الَّتي كَانَ عَليهِم أَنْ يَقومُوا بِهَا أَو يَقولُوهَا. أَلَا يستطيعونَ فِعلَ مَا يَقولُونَهُ بَدلَ الحديثِ عَنهُ وَحَسبُ؟

بَدَتِ الجدَّة فيفيان مَهْمُومَةً.

– هَلْ تُواجِهَانِ مَشاكِلَ مِنْ نَوعٍ مَا؟ قَالَتْ.

نَظرَ كُلٌّ مِنْ تشارلز وبوني إلى الآخرِ.

– لَا، هِيَ لَيستْ مَشاكِلَ حَقيقيَّةً، قَالَت بوني مُتردِّدَةً. لَكنَّا نَتساءَلُ حَولَ المَنَارةِ. إنْ كَانَ بِإمكانِنَا أَنْ نَدخلَهَا، وَننظرَ إِليهَا مِنَ الدَّاخِلِ.

لَمْ يَفْهَمْ تشارلز لِمَاذَا بَدأَتْ بِالحديثِ عَنِ المنارَةِ . مَا يريدُهُ هُوَ الحديثُ عَمَّا قَالَتْهُ السَّيِّدتانِ المُسنَّتانِ فِي مَتجَرِ القُماشِ ، وَيريدُ أَنْ يَعرفَ مَا هِيَ شَواهِدُ القُبورِ العَجيبَةِ تِلكَ الَّتي رَأَتهَا بوني .

– فَهِمْتُ ، قَالَتِ الجدَّةُ فيفيان ، وَتَنفَّسَتِ الصُّعَدَاءَ . كَمَا قُلْتُ لَكُمَا عِندَ قُدومِكُمَا . المنارَةُ قَديمَةٌ . لَمْ تَعملْ مُنذُ زَمَنٍ طَويلٍ ، وَلِأَنَّهَا مَهجورةٌ مُنذُ سنَواتٍ طَويلَةٍ ، يُشكِّلُ دُخولُهَا خَطَرًا عَلى الحياةِ . قَدْ يتكسَّرُ السُّلَّمُ الخَشَبيُّ دَاخِلَهَا فِي أَيَّةِ لحظةٍ . وَأَرضيَّةُ الغرفَةِ أَعلَاهَا ، تَتَأَرجَحُ فِي مَكَانِهَا . لَقَدْ طَلَبْتُ مِنْ دوغلاس أَنْ يتفحَّصَ المنارَةَ ، واتفقْنَا عَلى إِقفَالِهَا .

تَذكَّرَ تشارلز شَكْلَ القفلِ ، وَكَمْ هُوَ جَديدٌ . هَلِ استبدلَ دوغلاس القفلَ عِندَمَا تَفحَّصَ المنارة لحساب الجدَّةِ فيفيان؟

– لَكنَّهَا مَا زَالَتْ تُرسلُ أشعَّة صوئها فِي الليلِ ، قَالَتْ بوني . كَيفَ تُنيرُ المَنَارَةَ إِنْ لَمْ يَكنْ هُناكَ منْ يستخدمُها؟

ابتَسَمَتِ الجَدَّةُ فيفيان .

– لَا بُدَّ مِن أَنَّكَ حَلُمْت ، قالتْ لمْ تُرسلْ تلك المَنارَةُ إِشارَتَهَا الضَّوئيَّةَ مُنذُ عددٍ هَائِلٍ مِنَ السَّنوات ، وليس فقط مُنذ بناءِ المنارةِ الجَديدَةِ فِي القَريَةِ المُجاورَةِ ؛ قَريَةَ أُونغسريد . ولا أظنُّ أَنَّهُم يَستخدِمُونَ المَنَارَةَ الجَديدَةَ أَيضًا فِي هَذهِ الأَيَّامِ . فالقوارِبُ تجدُ طَريقَهَا إِلى المِينَاءِ مِنْ دونِ الاستِعَانَةِ بِضَوْءِ المَنَارَةِ .

– هَلْ يُوجَدُ مِيناء هُنَا فِي قَريَةِ خليجِ الظِّلِّ؟ سَأَلَ تشارلز الَّذي لَمْ يَرَ مِيناءَ القريَةِ .

أَومَأَتِ الجَدَّةُ فيفيان بِرَأسِهَا إِيجَابًا .

– يُوجَدُ مِينَاء قَديمٌ عِندَ طَرفِ القريَةِ . سَوفَ نَذهبُ إلى هُنَاكَ في أَحَدِ الأَيَّام .

– يَبدُو أَنَّ بوني لَا تَكترثُ لأمر الميناءِ إطلَاقًا .

– لَمْ أَكنْ أَحلُمُ عَلى الإطلَاق ، قالتْ . رَأيْتُ إِشَارَاتِ المنارةِ الليلَةَ المَاضِيةَ . ثَلَاثُ إِشَارَاتٍ مُتَتابعةً .

قَطَّبَتِ الجَدَّةُ فيفيان حَاجبَيهَا مُتعجِّبَةً .

– كَيفَ استطعْتِ رُؤيَتَهَا ، إِنْ سَمَحتِ لِي بِالسُّؤَالِ؟ قَالَتْ . نَافِذَةُ غُرفَتِكِ تَطلُّ عَلَى الجهَةِ الأَمَاميَّةِ لِلمنزِلِ ، إِنْ لَمْ تَخُنِّي ذَاكِرَتِي .

احمَرَّتْ وَجنَتَا بوني .

– لَمْ أَستَطِعْ أَنْ أَغفُو ، قَالَتْ . لِذَلِكَ نَزلْتُ إِلى الطَّابق السُّفليِّ لِاصطِحَابِ فيني إِلى غُرفَتي . عِندَهَا رَأيْتُ الإِشَارَاتِ الضَّوئيَّةِ لِلمنَارَةِ عِندَمَا مَررْتُ مِنْ جَانِبِ المطبَخِ .

– إِنَّهَا كِذبَةٌ جَيِّدَةٌ ، فَكَّرَ تشارلز . لَا بَلْ إِنَّ نِصفَهَا حَقيقَةٌ أَيضًا .

هَزَّتِ الجَدَّةُ فيفيان رَأسَهَا .

– انسَي ذَلِكَ الأَمرَ ، قَالَتْ . لَا بُدَّ مِنْ أَنَّكِ رَأيْتِ شَيئًا آخرَ . المَنَارَةُ تَفْتَقِدُ الحَياةِ مُنذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ ، وَلَا يَحدُثُ فِيهَا شَيءٌ عَلَى الإِطلَاقِ .

ابتَلَعَتْ بوني القَضْمَةَ الأَخيْرَةَ مِنْ شَطِيرَتِها ، وَبَدَأَتْ تُعِدُّ شَطِيْرَةً جَديْدَةً .

– أَعْرِفُ تَمَامَ المَعْرِفَةِ مَا رَأَتْهُ عينَايَ ، قَالَتْ . ثُمَّ إِنَّ هُنَاكَ مِصعَدًا قَدِيمًا يُمكِنُ تَحرِيكُهُ إِلى أَسفَلِ الجَرفِ الصَّخريِّ ، وَإِلى أَعلَاهُ بِواسِطَةِ مرفَقٍ آليٍّ .

أومَأَتِ الجَدَّةُ فيفيان بِرَأسِهَا .

– يُوجَدُ بِالطَّبعِ مِصعَدٌ هُنَاكَ ، قَالَتْ . لَكنَّهُ صَدِئٌ وَمُتَآكِلٌ ، وَلَا يُمكِنُ الثِّقَةُ بِهِ إطلَاقًا ، تَمامًا كَمَا الحَالُ بِالنِّسبَةِ إلى المَنارَةِ . أَرجُو أَلَّا تَذهَبَا إلى هُنَاكَ ثَانِيَةً . لَا أُرِيدُ أَنْ تَقتَرِبَا كَثِيرًا مِنْ حَافَّةِ الهاوِيَةِ .

رَأَى تشارلز أَنَّ بوني تَشتاطُ غَضَبًا فَقرَّرَ أَنْ يَتحدَّثَ عَنْ أَمرٍ آخرَ .

– هُنَاكَ مَوضُوعٌ آخرُ أَيضًا ، قَالَ . لَقَدْ سَمِعْتُ سَيِّدَتينِ تتحدَّثانِ في مَتْجَرِ القُمَاشِ في القَرْيَة .

– أَجَلْ!؟ قَالَتِ الجدَّةُ فيفيان .

شَابَ التَّوتُّرُ صَوْتَ تشارلز .

– لَقَدْ تَحدَّثَتَا عَنْ طِفلٍ مفقُودٍ ، قَالَ . وَعنْ رَجُلٍ لَا رَأْسَ لَهُ ، يَقودُ قَارِبًا أَثناءَ الليلِ .

تَنَهَّدَتِ الجَدَّةُ فيفيان بِعُمقٍ .

– وَيلٌ لي ، هَلْ بَدَؤُوا بترديد تلك الحماقات ثانيةً؟ قَالَتْ .

مَدَّتْ يَدَهَا لِتمسِكَ بِإبريق القهوه ، وملأَتْ فِنجانَها مُجدَّدًا .

– هُنَاكَ بَعضٌ مِنْ سُكَّانِ القرية الذينَ يَعتَقِدُونَ بِأَنَّ أَيَّ شَيءٍ قَابِلٌ لِلحدُوثِ هُنَا ، قَالَتْ . فَهُم يَعتقدُون مثلًا أَنَّ لَعنَةً أَصابَتْ خَليجَ الظِّلِّ .

عَبَسَتْ وَشَرِبَتْ قَهوَتَهَا .

– لَعنَةٌ؟ قَالَ تشارلز ببطءٍ .

– دَعْكُمَا مِنَ التَّفكيرِ المُفْرِطِ بذلِكَ ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان بِسرْعَةٍ . لَا تُفكِّرَا بِالأَمْرِ إطلَاقًا . أَنْ يُصَابَ المَرءُ باللعْنَةِ كَمَنْ يَصدُرُ بِحقِّهِ حُكْمٌ قَضائيٌّ . يَعني أَنَّ هُناكَ أَحدٌ مَا يُقَرِّرُ أَنْ يُحدِثَ أَمرًا مُروِّعًا لَهُ في المُستَقبلِ .

يَعتقِدُ البعضُ أَنَّ مُستقبَلًا مَشؤُومًا يَنتَظِرُ جَمِيعَ سُكَّانِ القريَةِ ، بِطَرِيقَةٍ أَو بِأُخرَى .

– وَقَدِ اختَفَى شَخصٌ مِنَ القريَة الآنَ؟ قَالَتْ بوني .

أَومَأَتِ الجَدَّةُ فيفيان برأسِهَا ببطءٍ .

– حَدَثَ ذلِكَ فِي اليَوم الَّذي سبقَ قُدومَكُمَا إِلى هُنَا ، قَالَت . لَقَدِ اختَفَى وَلَدٌ صَغيرٌ حين كان في رحلةٍ مع والدَيه . لَا أَحدَ يعلَمُ مَا الَّذي حَدَثَ لَهُ

ابتَلَعَ تشارلز طعامَهُ بصعوبَةٍ . تذكَّرَ السَّيِّدَتَينِ اللتَينِ التقَى بهما فِي مَتْجَرِ القُمَاشِ والخوفُ والاضطِرابُ في حَديثِهِمَا .

– وَالرَّجلُ الَّذي لَا رأسَ لَهُ؟ قَالَ .

– انْسَهُ ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان .

– لَا يُمكِنُنَا نِسيانُه . لَا بُدَّ مِنْ أَنَّكِ تَفهمِينَ ذلِكَ! قَالَتْ بوني .

–إِنَّهُ أُسطُورَةٌ ، خُرَافَةٌ ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . يَعتَقِدُ بعضُ النَّاس أَنَّهُ هُوَ السَّبَبُ في الأَحدَاثِ المُرعِبَةِ الَّتي تَقعُ في القَريَةِ ، أَنَّهُ هُوَ اللعنَةُ الَّتي أَصَابَتْهَا . يُقَالُ إِنَّهُ المنتقِمُ ذُو الرَّأسِ المفقُودِ .

وَضَعَ تشارلز شَطيرَتَهُ جَانِبًا .

– هُنَاكَ أَحْدَاثٌ مُرعِبةٌ تَقَعُ هُنَا إِذًا؟ قَالَ .

بَدَا مُشوَّشًا تَمَامًا .

– لَا! قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . أَو بالأَحرى نَعَمْ ، هُنَاكَ أَحداثٌ مُرعِبَةٌ ، لَكِنْ لَيسَ أَكثَرَ مِمَّا يَحدُثُ في أَيِّ مَكانٍ آخرَ . أُريدُ أَنْ تَسأَلَاني الآنَ عَنْ أَشياءَ أُخرَى . لَا أُريدُ الحديثَ عَنِ المنتقمِ ذِي الرَّأسِ المفقودِ .

نَظَرَ تشارلز نَظْرَةً جَانِبِيَّةً باتِّجاهِ بوني ، أَرَادَهَا أَنْ تَسْأَلَ عَنْ شَواهِدِ القبورِ الَّتِي شَاهَدَتْهَا .

نَظَرَتْ بوني إِلى شَطيرَتِهَا بِصَمْتٍ ثُمَّ قَالَتْ :

– هَلْ لَديكِ مَقْبرَةٌ خَاصَّةٌ؟ هُنَا في المنتَزَه؟

قَامَتِ الجَدَّةُ فيفيان مِنْ مَكَانِهَا .

– لَقَدْ وَجدتُمَا شَواهِدَ القُبُورِ إِذًا ، قَالَت . أَدَارَتْ لَهُمَا ظهرَهَا حِينَ بدَأَتْ تَغسِلُ الأَطْبَاقَ .

– رَأَيْتُهِمْ مِنَ العرزال ، قَالَت بوني .

– مِنَ العرزَالِ؟ قالت الجَدَّة فيفيان . تَعنينَ بُرجَ الحِراسَةِ القديمِ؟

– رُبَّمَا ، قَالَت بوني .

– أَظُنُّ أَنَّكِ تَعنينَ ذلك ، قالت الجَدَّةُ فيفيان . لقَدْ بَنَاهُ أَصْحَابُ المَنْزِلِ السَّابِقِينَ . كَانُوا يُحبُّون الصَّيد .

ثُمَّ نَفدَ صبرُ بوني .

– حدِّثِينَا عَنِ القبورِ ، قَالَتْ . إنَّها كثيرةٌ لِلغايةِ .

– بَل هِيَ قليلةٌ لِلغايةِ ، أودُّ أنْ أقول ، قالَتِ الجَدَّةُ فيفيان .

– مَنْ هُمْ أُولئِكَ الذينَ دُفِنُوا هُناكَ؟ سَأَلَ تشارلز .

– إِنَّهمْ أَفرادٌ مِنْ عَائلَةِ رووس ، قالت الجَدَّةُ فيفيان .

– مَنْ هُمْ؟ قَالَتْ بوني .

– هُمُ الذينَ بَنَوا هَذَا المنزلَ في يوم مَا .

– وَلَمْ يبْقَ مِنهمْ أَحدٌ عَلَى قَيدِ الحَياةِ الآنَ؟ قَالَ تشارلز مَذعُورًا ، وَوضَعَ شَطيرَتَهُ جَانبًا .

سمِعُوا عندَهَا البَابَ الخارجِيَّ يُفْتَحُ وَيُغْلَقُ . ثُمَّ سَمِعُوا صَوتَ ألبا وَهِيَ تُخاطِبُ فيني .

يَا للحَظِّ السَّيِّء!

لَمْ ينهَوا حديثَهُمْ بَعدُ . نَظرَ تشارلز إلى بوني . هَلْ يَجرُأانِ عَلى مُتابعةِ طَرحِ الأَسئلَةِ عَنْ مدرِّب الفروسيَّةِ في حُضورِ ألبَا؟ لَا يُريدَانِ أَنْ تُدرِكَ ألبا أَنَّهُمَا سَمِعَا الحديث الَّذي دَارَ بَينَهَا وبينَ دُوغلاس حَولَ بول . لَكنْ مِنْ جهةٍ أُحرى ، هِيَ الَّتي حَذَّرتْهُما مِنْ بول مُنذُ البدَايَةِ .

– أَجلْ ، لَقدْ فارَقُوا الحياةَ جميعًا ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . لَا غرابةَ في ذَلِكَ . كانَت عائلَةً صغيرةً قَديمةً .

– لَا بُدَّ مِن أَنَّ أَحدَهُم كَانَ عَلَى قَيدِ الحياةِ حينَ انتَقَلْتِ إِلى المنزِلِ؟ قال تشارلز . مَنِ الَّذي بَاعَكِ المنزِلَ؟

– اشتريتُهُ مِن عَمَّةٍ مُسنَّةٍ لَهمْ ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . سَكَنَتْ في المَنزِلِ الَّذي تَسكُنُه ألبا ودوغلاس إلى أَنْ تُوفِّيَتْ . وَكانَتْ قَدْ أَوصَتْ بأَنْ تُدفنَ إلى جانبِ أَقاربِهَا هُنَا في المنتزَهِ .

اقشعرَّ تشارلز . هُناكَ أَشياءُ غَريبَةٌ تحدُثُ فعلًا في صَخرَةِ النُّسورِ .

– هَلْ مَاتَ جَمِيعُ أَفْرَادِ عَائِلَةِ رُووس؟ قَالَ .

–لَا ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . لَكِنْ مَنْ بَقوا مِنَ العشيرَةِ غَادَرُوا خَليجَ الظِّلِّ . يَسْكُنُ بَعْضُهمْ في أُونغسريد حَاليًا .

– هَل سَيُدْفَنُونَ هُنَا أَيضًا بَعْدَ وَفَاتِهم؟ قَالَ تشارلز .

ضَحِكَتِ الجَدَّةُ فيفيان .

– آمَلُ أَلَّا يَحْصَلَ ذَلِكَ ، قَالتْ .

– لِمَاذَا اختَارُوا الانتِقَالَ مِنْ خَلِيجِ الظِّلِّ؟ قَالَتْ بوني .

نَظَرَتِ الجَدَّةُ بعيدًا .

– لِأنَّ عَائِلَةَ رُووس تَعرَّضَتْ لِحوَادِثَ مُخْتَلِفَةٍ هُنَا في خَلِيجِ الظِّلِّ . وَدَارَتْ خِلَافَاتٌ بَينَهُم وَبَينَ بَعْضِ سُكَّانِ القَرْيَةِ . لَا بُدَّ مِنْ أَنَّهُمْ رَأَوا أَنَّ حَياتَهُم في مَكَانٍ آخَرَ سَتَكُونُ أَفضَلَ .

اقتربَتْ خُطَى ألبَا مِنَ المطبَخِ .

رَمَقَ تشارلز بَابَ المَطْبَخِ بِنَظْرَةٍ سَرِيعَةٍ . مَا زَالَ لَدَيهِ أَسْئِلَةٌ عَنِ الأَحْدَاثِ الَّتِي تَعرَّضَ لَهَا أَفْرَاد عَائِلَةِ رُووس . لَا بُدَّ مِنْ أَنَّهَا كَانَتْ أَحْدَاثًا عَظِيمَةً تِلْكَ الَّتِي جَعَلَتْهُم يَخْتَارُونَ الانتِقَالَ مِنْ خَلِيجِ الظِّلِّ . . .

– هُنَاكَ قَبرٌ آخَرُ ، همستْ بوني . قَبرٌ لَم يُكتَبْ عَلَى شَاهِدِهِ شَيءٌ .

لَمْ تُجِبِ الجَدَّةُ فيفيان .

– قُولِي شَيئًا مَا! قالتْ بوني . من المدْفُونُ تَحْتَ الشَّاهِدِ الَّذي لَمْ يُكتَبْ عَلَيهِ شَيءٌ؟

دَخَلَتْ عِندَهَا أَلبا إِلَى المَطْبخ رفعتِ الجدَّةُ فيفيان نَظرَهَا أَخيرًا .

– لَا أَدْرِي فِي الحَقِيقَةِ ، قالتْ . كُلُّ مَا أَعْرِفُهُ أَنَّنِي حِينَ اشتَرَيْتُ المَنْزِلَ ، وَعدْتُ بِأَنْ أَدعَ القبْرَ وَشَأنَهُ ، وَهَذَا مَا أَنْوِي فِعلَهُ .

الفَصْلُ العَاشِرُ

قَبرٌ بِشَاهِدٍ لَا يَحْمِلُ اسمًا ، وَغيرُ مَسمُوحٍ إِزالَتُهُ . لَقدْ أَخافَ ذَلكَ بوني . رُبَّما مَنْ دُفنَ هُنَاكَ هُوَ المُنْتَقِمُ ذُو الرَّأسِ المفقُودِ؟ لَكِنَّ التَّفكيرَ بِذلِكَ مخيفٌ إلى درجَةٍ جَعلَتْ بوني تُقرِّرُ التَّوقُّف عَنْ ذَلكَ . حَال انتَهائِهمَا مِنْ تناوُلِ طعَامِ الفَطورِ أَسْرَعَا إِلى المُنْتزهِ ، وَتَسلَّقَا إِلى العرزَال . لَا يَمْتَلِكُ تشارلز مَهَارَةَ بوني فِيمَا يتعلَّقُ بِتسلُّقِ الأَشْجَارِ . لِحُسْنِ الحَظِّ جَفَّ جذعُ الشَّجرةِ أَثناءَ الليلِ ، وَلَمْ يَعُدْ مُبلَّلًا بِسَبَبِ المطَرِ . جَعَلَ ذلِكَ التَّسلُّقَ أَسهلَ حَيثُ لَا تَنزلِقُ أَيْدِيهُما مِنْ عَلَى الأَغْصَانِ حِينَ يُحاولَانِ الإمْسَاكَ بِهَا .

أَشَارَتْ بوني إِلى مَكَانِ المقبرَةِ حِينَ وَصلَا إِلى العرزَالِ .

– إِنَّهَا هُنَاكَ ، قَالَتْ ، وَقَدِ اتَّسَمَ صَوتُهَا بالجِدِيَّةِ .

حَدَّقَ تشارلز بالقبورِ .

– حَسَنًا ، قَالَ . أَليسَ غريبًا أَنْ يَحْتَفِظَ أحدٌ مَا بعدَدٍ مِنَ الأَمواتِ في حديقَةِ منزِلِهِ؟

– بَلى ، قَالَتْ بوني .

كَادَتْ تَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَرَ تِلْكَ المَقْبرَةَ . وَقَبْلَ كُلِّ شَيءٍ تَمَنَّتْ لَو أَنَّهَا لَمْ تَرَ ذَلِكَ الشَّاهِدَ الَّذي لَمْ يُكتَبْ عَليهِ شَيءٌ .

– لَمْ نَجِدْ مُتَّسَعًا مِنَ الوقتِ لِطرحِ الكثيرِ مِنَ الأَسْئِلةِ ، قَالَتْ بوني وَتنهَّدَتْ . أُرِيْدُ مَعْرِفَةَ المزيدِ عَنْ بول ، أُريدُ أَنْ أعرِفَ كَيفَ تعرَّفَتْ إِليهِ جَدَّتي فيفيان .

– رُبَّمَا عَلينَا أَنْ نتَّبعَ رأيَ ألبا ودوغلاس ، قالَ تشارلز . أَنْ نلزَمَ الهُدوءَ ، وَنبْتَعِدَ عَنْ طَريقِ الحميع . سَيَحلُّ ذَلِكَ المشاكلَ كُلَّهَا .

– لَكِنْ مَاذَا لَو لَمْ ينجَحا بِتوقيفِ بول عَنْ تنفيذِ مَآربِهِ؟ قَالَتْ بوني . قَدْ تَتَعَرَّضُ عِندَهَا جدَّتي فيفيان للأَذى . لَيسَ لَدينَا أدنى فِكرَةٍ عَمَّا يَدُورُ بينَهم . يَجِبُ أَلَّا نَعُودَ إلى البيت في نهايةِ الأسبوعِ القَادمِ . عَلَينَا أَنْ نبقَى هُنَا فَتْرَةً أَطولَ .

لَمْ يُجِبْهَا تشارلز . ثبَّتت مشبك شعرها ؛ لَمْ ترتَد قبَّعتَهَا اليومَ .

لَقَد تَلَقَّيَا اتِّصَالًا هَاتِفِيًا منْ والدتها وإبْنه مساء أمْس . تَحَدَّثَا مَعهُمَا مِن دونِ أَنْ يَذكُرَا لندنَ وَلَو بِكلمةٍ واحدةٍ ، لكنْ هَذا لا يعني أَنَّهمَا صَرَفَا النَّظَرَ عَنْ خُطَّةِ الانتقَالِ إلى لندن .

– مَا زلْتُ أَتساءَلُ عَنِ المنارَة ، قالتْ بوني .

خَفضَ تشارلز نَظرَهُ إِلى الأَرض .

– هَلْ أَنتِ مُتأكِّدةٌ مِنْ أَنَّكِ رأيْت نورَهَا؟ قَالَ . أَعنِي ، رُبَّمَا كُنْتِ مرهقةً؟

وَضَعَتْ بوني يدَيهَا عَلى خَصرِهَا .

– أعلَمُ بِالطَّبعِ إِنْ رَأيتِ نورَهَا أَو لَا ، قَالَتْ غَاضِبةَ . لَقَد أَضاءَتْ

كَمصبَاحِ بَدٍ عِملاقٍ . لَقَدْ مَرَّ شعاعُ نورِهَا مِنْ فوقِ العُشْبِ حَيثُ كنْتُ أجلسُ ، ثُمَّ تحوَّلَ نحوَ البحرِ .

– حَسنًا ، قَالَ تشارلز .

– مَاذا؟ أَلا تُصدِّقني؟ قَالَتْ بوني .

كَمْ تَكرَهُ حِينَ يَظنُّ النَّاسُ أنَّهَا تكذِبُ . تَكرهُ ذَلكَ حتّى وَإنْ كَانَتْ تَكذِبُ فِعلًا .

– بَلَى ، قَالَ تشارلز .

– فَكِّرَ بِمَا قَالَته السَّيِّدتَانِ المُسنَّتَانِ في مَتجرِ القُماش ، قَالَتْ بوني . مَا قَالتَاهُ عَنِ الوَلدِ . . . وَعنِ الرَّجلِ في القَاربِ .

– هَذَا مَا أَفعلُهُ بِالضَّبطِ ، قَالَ تشارلز .

لَوَّحتْ بوني بيدِهَا مُبعدَةً ذُبَابةً اقتَربَتْ مِنهَا كثيرًا .

– أَلَا تُريدُ مَعرفَةَ مَا يحدُثُ هُنَا؟ قَالَتْ . أَنَا أُريدُ ذلكَ . يَبدُو أنَّ خَلِيجَ الظِّلِّ مكانٌ مُريبٌ جِدًّا .

نَظرَ تشارلز بَعيدًا .

– وَهُنَا تكمنُ المُشكِلَةُ ، قَالَ تشارلز بِصوتٍ مُنخفِضٍ .

تشارلز هُوَ مَنْ أَتى بِفكرةِ مَا يُمكِنُهُمَا فِعْلهُ خِلال فترَةِ بَعدَ الظُّهرِ . لَقدْ جَلَسَا فِي غُرفتِهِ يُعانيانِ مِنَ المَلَلِ . رَسَمَتْ بوني حِكَايَاتِهَا المصوَّرَةَ وَرسَمَ تشارلز تَصميماتِ المَلَابِسِ . لَقدْ طَلَبتْ بوني مِنهُ أَنْ يَخِيطَ لَهَا تَنورَةً جَدِيدَةً ، وَهَكذَا فَعلَ . لَكنَّ أَحدَهُمَا لَمْ يكنْ في مَزاجٍ مُناسِبٍ لِلرسمِ أَوِ الخياطَةِ .

– قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان إِنَّ العَائلةَ الَّتي بَنَتِ المنزلَ تُدعَى عَائِلَةُ رُووس ، وَإِنَّ بعضَ أَفرادِ تلكَ العائلَةِ مَا زَالُوا يسكنونَ في أونغسريد . نَستَطِيعُ الذَّهابَ إلى هُناكَ . قَدْ يُخبرَنَا أَحدُهُم بِالمزيدِ عَنِ الأَحداثِ الَّتي أصابَتِ العائلةَ هُنَا .

– أَجلْ ، قَالَتْ بوني .

تَذكرتُ أَنَّ الحَافِلَةَ توَقَّفَتْ في أونغسريد عِندَمَا أَتتْ هِيَ وتشارلز إلى خَليجِ الظِّلِّ . لَمْ يعثُرا على لائحَةٍ بِأوقَاتِ مُرورِ الحَافِلَةِ ، لَكنْ لَا بَأسَ ، لَا بُدَّ مِن أَنَّ هُناكَ لائحةٌ عند موقفِ الحافلاتِ .

فَرِحتْ بوني بِمغادَرة صخرة النُسورِ لِبعضِ الوقتِ . لَنْ تَفتقدْهُمَا الجَدَّةُ فيفيان ؛ لِأَنَّهَا مَشغولةٌ جدًا . المشكلةُ الوحيدَةُ هِيَ فيني الَّذي أَتى يَعدُو كَي يتبعَهُمَا حِينَ انطلَقَا .

وَطبعًا ظهرَ بول أَيضًا . كان يحتذي حذاءً لركوب الخيلِ ؛ عَاليًا ، يُغطِّي ساقَيهِ ، وَيمسِكُ بسوطِ الخيل في يدِهِ . شَعرَتْ بوني أَنَّ رقبَتَها اقشعرّت حِينَ نَظرَتْ إلى السَّوط . لماذا يحملُه مَادامَ لَيسَ بِصحبَةِ الخيلِ؟ وَمنْ يَجلِدُ الحيوانَاتِ بِالسَّوطِ؟ . . . لَا يفعَلُ ذلِكَ إِلَّا شخصٌ لَئيمٌ .

– إِذَا أَردتُمَا اصطحَابَ الكلبِ معكُما ، عَليكُمَا أَنْ تَستَخدِمَا القيدَ .

– لَا نُريدُ اصطحَابَهُ ، قَالَت بوني . عَليهِ أَنْ يَبقَى هُنَا .

– يَبدُو أَنَّهُ لَمْ يَفهَمْ ذَلِكَ ، قَالَ بول .

وَهكَذَا مَدَّ يدَهُ ، وَأمسَكَ بِالعَقدِ الَّذي يُحيطُ بِعنقِ فيني .

– أَلَا تَسمَعُ مَا يَقولَانِ؟ لَا يُريدَانِ اصطحَابَكَ .

رَأَتْ بوني الحُزنَ بَاديًا عَلَى فيني ؛ لِذلِكَ رَمَتْ لَهُ بِقُبلَةٍ عَلى يَدِهَا مِنْ بعيدٍ .

– سَنعودُ قَريبًا ، قَالَتْ .

بَعدَ فواتِ الأَوانِ أدركَتْ أَنَّ بول ظَنَّ أَنَّهَا أَرسَلَتِ القبلةَ إليهِ . دُهِشَ لِذلِكَ لِدرجةِ أَنَّهُ تَسمَّرَ في مَكانِهِ . ثُمَّ نَسيَ أَنْ يَسأَلَهُمَا إلى أَينَ هُمَا ذَاهبَانِ .

– لَقدْ حَالَفنَا الحظُّ هَذهِ المرّة ، قَالَ تشارلز عِندَمَا خَرجَا مِنَ المنتزهِ .

– أَجْل ، قَالَتْ بوني . لَقدْ تَخلَّصْنا مِنهُ .

لَكنَّ كِليهِمَا نظرَ إلى الوراءِ مِرارًا في طَريقِهمَا إلى مَوقفِ الحَافِلَةِ .

يَقعُ مَوقِفُ الحَافلَةِ بالقربِ مِنْ مَتجرٍ يَبيعُ أَشْيَاءَ قَديمَةً . كُتِبَ عَلَى لَافتَةِ المَتجرِ بِأَحْرُفٍ ذَهبيَّةِ اللونِ «تُحفٌ قَديمَةٌ» . قَرَأَتْ بُوني قَائِمَةَ مَواعِيدِ الحَافِلَةِ ، وَأَدْرَكَتْ أَنَّ آخِرَ حافِلاتِ اليومِ إلى أونغسريد قَدْ فَاتَتْهمَا . لَنْ يَسْتَطِيعَا الذَّهَابَ إلى هُنَاكَ قَبْلَ صَبَاحِ اليومِ التَّالي .

– أمرٌ مُؤسِفٌ ، قَالَ تشارلز .

نَظَرَتْ بوني عَبرَ نَافِذَةِ المَتْجَرِ ، وَرأَتْ هُنَاكَ الكثيرَ مِنَ الأَغرَاضِ ، لَكنَّ لَوحَةً كبيرةً لَفتَتْ نظرَهَا .

– انظُرْ ، قَالَتْ . وَلَكزَتْ تشارلز في جَانِبِهِ .

ثُمَّ أَشارَتْ إلى اللوحَةِ .

– مَا بِهَا؟ قال تشارلز .

– أَلَا تَرَى؟ قَالَتْ بوني . مَا يَظهَرُ فِيهَا هُوَ منتزَهُ جَدَّتي فيفيان .

ظَهرَ في اللوحَةِ مَجمُوعَةٌ مِنَ النَّاسِ يَقفُونَ عَلَى السَّجَّادَةِ العُشْبِيَّةِ أَمامَ بَيتِ الجَدَّةِ فيفيان . وَفِي خَلفيَّةِ اللوحَةِ ظَهرَتِ المَنَارَةُ .

مَاذَا لَو كَانَ هؤلَاءُ هُمْ عَائلةُ رُووس؟

فَتحَتْ بوني بَابَ المتجرِ ، وَدَخَلَتْ ثُمَّ تَبِعَهَا تشارلز .

نظَرَ رجُلٌ مُسنٌّ إليهمَا حِينَ دَخَلَا .

– مَرحَبًا ، قَالَ .

– مَرحَبًا ، قَالَتْ بوني . لَدَيَّ سُؤالٌ حَولَ تِلكَ اللوحَةِ .

أَشَارَتْ إِلى اللوحة ، وَأومَأَ الرَّجلُ بِرأسِهِ .

– مَنْ هُم هَؤلاء الَّذين يظهرُونَ فِيهَا؟ قَالَتْ بوني .

نَظرَ الرَّجلُ إِلى اللوحة

– إِنَّهَا لَوحَةٌ عَائليَّةٌ ، قال . هذه عَائلَةُ رووس . يَجبُ أَلَّا تَكُونَ مَعروضَةً هُنَا في الحقِيقَةِ . فَهي لَيستْ للبيع .

ازدَادَتْ نَبَضَاتُ قَلبِ بوني نبضةً إضافيَّةً .

– هَلْ تَعلَمُ مَتَى رُسِمَتْ تلك اللوحةُ؟ قالَتْ .

– إِنَّهَا لَيْسَتْ قَدِيمَةً جِدًا كما يُخيَّلُ إِلينَا ، قَالَ الرَّجلُ . لَمْ يَمرَّ عَلَى رَسمِهَا أَكثَرُ مِن ثَلاثِينَ عَامًا .

عَبسَتْ بوني . مُنذُ ثلاثينَ عامًا مَضتْ وَجَدْتُها تَسْكُنُ عِنْدَ صَخْرَةِ النُّسورِ ، لَكنْ لَا أَثرَ لَهَا في اللوحَةِ .

– هَلْ أَنتَ مُتأكِّدٌ مِنْ أَنَّ اللوحَةَ لَيسَتْ أَقدمَ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَتْ بوني .

أَومَأَ الرَّجلُ بِرأسِهِ .

– لقد رُسِمَتْ بَعدَ مَراسِمِ دَفْنِ شَخْصٍ مَا ، قَالَ الرَّجلُ .

بِالطَّبعِ . لَقدْ رُسِمَتِ اللوحَةُ بَعدَمَا تُوفِّيتِ المرأَةُ الَّتي اشترَتْ مِنهَا الجَدَّةُ فيفيان البَيْتَ .

– هَلْ تَعرفُ الأشخَاصَ الذينَ يَظهرُونَ في اللوحَةِ؟ قَالتْ بوني .

فَكَّرتْ أَنَّ الرَّجلَ رُبَّما يعرفُ أكثر مِمَّا تعرفُهُ الجَدَّةُ فيفيان عَنْ مَصيرِ أفرادِ عَائلَةِ رُووس . لَكنْ يبدُو أنَّ الأمرَ ليسَ كَذلِكَ .

– لَا ، كَيفَ لي أَنْ أعرفَ ذَلِكَ؟ قَالَ الرَّجلُ غَاضِبًا . لَمْ يَعدْ أُولئكَ النَّاسُ يَسكنونَ هُنَا .

استغرَبَتْ بُوني ردَّةَ فِعلِ الرَّجلِ . لِماذَا يبدُو غَاضبًا إلى هَذَا الحَدِّ؟

سَارَ الرَّجلُ بِاتِّجاهِ البَابِ .

– إذًا لَمْ يَكُنْ لَكمَا غرضًا آخرَ ، عَليكُمَا المغادَرَة الآنَ ، قَالَ . لَديَّ أَشغَالٌ أُخرَى عَلَيَّ القيامُ بِهَا .

أَسرَعَ كُلٌّ مِنْ بوني وتشارلز في مغادَرةِ المتجَرِ . في اللحظَةِ الَّتي وَصَلَا فِيهَا إِلَى الشَّارِعِ ، أَغلقَ الرَّجُلُ البَابَ ثُمَّ أقفَلَهُ .

– يَا لَهُ مِنْ رَجلٍ غريبِ الأَطوَارِ ، قَالَتْ بوني .

لَمْ يُجبْهَا تشارلز . بَدَا وَكَأنَّهُ وَقفَ مَشغولًا بِالتَّفكيرِ بِأمرٍ مَا .

– مَا بِكَ؟ قَالَتْ بوني .

– لَا أَعلَمُ مَا بي بِالضَّبطِ ، قَالَ تشارلز . لَكنِّي شَعرتُ أَنْ . . . لَا بَأسَ ، لَا بُدَّ مِنْ أَنَّ الأَمرَ لَا يَعني شَيئًا .

– أَخبِرْني عَلَى أَيِّ حَالٍ ، قَالَتْ بوني بِفضُولٍ .

– أَجَل ، قَالَ تشارلز مُتمَهِلًا . لَكنِّي . . . هَلْ فَكَّرْتِ بِمَا يَرتَديهِ الرَّجلُ؟

هَزَّتْ بوني كَتفَيهَا .

– مَاذَا يَرتدِي الرَّجلُ؟ قَميصًا عَاديًا وَبنطَالًا عَاديًا ، وَقبَّعَةً قَبيحَةً .

– تِلكَ لَيسَتْ قُبَّعةً عَادِيَّةً بَل بِيريه . وَيظهَرُ في اللوحَةِ رَجُلٌ يَرتدِيْ وَاحدَةً مِثلَهَا بِالضَّبطِ .

الفَصلُ الحَادي عَشَرَ

إِنَّهُ اليومُ التَّالي لِلرحْلَةِ الَّتي فَشِلَتْ . شَعرَ تشارلز أَنَّ أَحداثًا كَثيرةً وَقَعَتْ دُفعَةً وَاحِدَةً ؛ المنتَقِمَ ذَا الرَّأسِ المفقودِ ، مُدَرِّبَ الفروسيَّةِ اللئيم ، وَالرَّجلَ الغَامِضَ في متجر التُّحفِ . ثُمَّ ذلِكَ الطِّفلَ المُختَفيَ الَّذي تَعرَّضَ لِحادِثَةٍ مَا ، رُبَّما ، أَو رُبَّما تعرَّضَ لِلاختِطَافِ . خَشيَ تشارلز أَنْ يكونَ الخَاطِفُ هُوَ بول . لَكنَّ السَّيِّدتَينِ اللَّتينِ التَقَاهُمَا في القَريةِ تحدَّثَتَا عَنِ المنتَقِمِ وَلَيسَ عَنْ أَحدٍ سِوَاهُ . وَهَذَا غَيرُ مَعقُولٍ . لَا يُوجَدُ أُنَاسٌ بِلَا رؤوسٍ . وَلَا حتَّى شَخص وَاحِد .

لِمَاذَا لَا تَعودُ الأُمُورُ كُلُّهَا إِلى أَحوَالِهَا العَاديَّةِ ثَانيةً؟

– لَا أَظنُّ أَنَّ لِتلكَ القبَّعةِ أَيَّةَ أَهميَّةٍ في الحقيقَةِ ، قَالَتْ بوني رُبَّما لِلمرَّةِ العَاشِرَةِ .

– يَا لَهَا مِنْ طَاقَةٍ عَلى التَّكرارِ تَتمتَّعِينَ بِهَا ، قَالَ تشارلز . لَيسَتْ قُبَّعةً بَل بِيريه . وَقَدْ قُلْتِ بِنفسِكِ إِنَّ الرَّجُلَ غَريبُ الأَطوارِ .

– أَجَلْ ، لَكنِّي قُلتُ ذَلِكَ ؛ لأَنَّهُ غَضِبَ جِدًّا عِندَمَا سَأَلْتُهُ عَنْ عَائِلَةِ

رُووس ، قَالَتْ بوني .

لَمْ يَتَّفِقَا حَولَ الرَّجلِ صَاحِبِ مَتجَرِ التُّحَفِ القَديمَةِ . فَكَّرَ تشارلز كَثيرًا في مَوضوعِ البيريه . وَأَنَّهُ كَانَ في اللوحَةِ رَجلٌ يَرتَدي وَاحدَةً تُشبهُ تمامًا تِلكَ الَّتي ارتدَاهَا الرَّجلُ في المتجَرِ . رَأى تشارلز أَنَّ مَعرفَةَ الرَّابِطِ بينهمُا أَمرٌ غَايةٌ في الأَهميَّةِ . هَلْ يَعرفُ الرَّجلُ في المتجر ذَلِكَ الرَّجلَ الَّذيْ ظَهرَ في اللوحَةِ؟ أَم أَنَّهُ هُوَ ذَاتُهُ بِبساطَةٍ؟ وَلمَاذَا لَمْ يُخبِرهُمَا بِذلِكَ في تِلكَ الحَالَةِ؟

– تَعالَ الآنَ ، قَالتْ بوني . سَتنطَلِقُ الحَافِلَةُ إِلى أونغسريد قريبًا .

كَانتِ الجَدَّةُ فيفيان مشْغُولةً كَعادَتِها . لِذلِكَ لَمْ يَجدَا أَيَّةَ صُعوبَةٍ في مُغادَرَةِ البيتِ سِرًا . انطلقت الحَافلَةُ باتِّجَاهِ أونغسريد بعدَ العاشرَةِ صَباحًا بِدقائِقَ ، وَلمْ تَشتَغرِقِ الرِّحلةُ سوى نصفَ ساعَةٍ تقريبًا . عِندَمَا وصَلَا ، كانَ هُناكَ مَوقفٌ وَاحدٌ للحافلة بالقريَة لينزلَا مِنهَا . سبَقَ وَبحثَ تشارلز في الإِنترنت ، وَوجَدَ بِضعة عناوين لأشخاصٍ مِنْ عائلَةِ رُووس . بحثَتْ بُوني ، ووجَدَتْ خَارِطَةً للقَرية .

– إِلى عندِ مَنْ نَذهبُ أَوَّلًا؟ قالتْ .

نظَرَ تشارلز حوَلَهُ . قَريَةُ أونغسريد أَصغَرُ مِنْ قريَةِ خَليجِ الظِّلِّ . وَفي حَوزَتِهمَا عَنَاوينُ لِستةِ أَشخَاصٍ .

– مَنْ منهُمْ يَسكنُ في العنوانَ الأَقربَ؟ سَألَ تشارلز .

– رجُلٌ يُدعَى غُوستاف . قَالَتْ بوني . غُوستَافْ رووس .

– لِنذهبَ إِلى هُناكَ إِذًا .

فَكَّرَ تشارلز بِأَنَّ رووس اسمٌ عَاديٌّ . رُبَّما هُناكَ عَائِلاتٌ عَديدَةٌ تُدعى

كَذلِكَ مِنْ دُونِ أَنْ تربطَهَا صِلةُ قَرابَةٍ . وَارِدٌ جِدًا أَنْ يذهَبَا إِلى شَخصٍ يَحملُ اسمَ عائِلَةِ رُووس مِنْ دونِ أَنْ يَكونَ عَلَى أدنى عَلاقةٍ بِصخرَةِ النُّسورِ .

وَجدَا بيتَ غوستاف رووس بسرعةٍ ، لَكنَّهُ لَمْ يكنْ في بيتِهِ لِلأَسفْ . وَلَا الشَّخص الثَّاني ، ولا الثَّالث ، لكنَّ الشَّخصَ الرَّابعَ كَانَ موجُودًا .

– صَخرَةَ النُّسور؟ قال الرَّجلُ الَّذيْ فَتحَ البابَ لَهُمَا . وَمِنْ أَينَ لِيْ أَنْ أَعلمَ أيَّ شَيءٍ عنها؟

تنهَّدَ تشارلز . جلسَا عَلَى مَقعدٍ عَامٍّ لِترتَاحَ أقدامُهُم مِن عَناءِ السَّيرِ . وَقدْ غطَّت الطَّيَاتُ كلًّا مِنَ الخارطَةِ وَقائمَةِ الأسمَاءِ .

– يَسْتَغرِقُ الأَمْرُ وَقتًا أَطوَلَ مِنَ اللازِمِ ، قَالَ تشارلز وَقَدْ ضَاقَ صَدرُهُ .

مَالَتْ بوني بِجَسَدِهَا عَلى ظَهرِ المَقعَدِ .

– لَيسَ لَدينَا أَشغَالٌ أُخرَى ، قَالَتْ . لَيسَ هُنَاكَ مَا يَمنَعُنَا مَنْ زِيارةِ بَقيَّةِ الأَسمَاءِ المَوجودَةِ في اللَائِحَةِ أيضًا .

نظَرَ تشارلز إِلى لَائِحَةِ الأَسمَاءِ وَإِلى الخَارِطَةِ .

– دَعينَا نَذهبُ إِلى هَذَا العُنوانِ ، قَالَ وَأَشَارَ إِلى أَحدِ الأَسمَاءِ عَلَى اللائِحَةِ ؛ إِلَى اسمِ «فَاطِمة رووس» .

لَمْ يَسْتَغْرِقْ إِيجَادُ بَيتِ فَاطِمَةَ أَكثرُ مِنْ عَشْرِ دَقَائِقَ . كَادَ تشارلز وَبوني يَعدُوَانِ إِلَى هُنَاكَ . لَديهمَا أَسئِلةٌ كَثيرَةٌ يَودَّانِ طَرحَهَا . هَذَا إِنْ وَجدَا صَاحِبَةَ الاسمِ في البيتِ . وَهَذَا إِنْ كَانَتْ وَاحِدَةٌ مِنْ عَائلةِ رووس المَعنيَّةِ .

عندَمَا وَصَلَا إلى المَنزلِ شَاهدَا امرَأَةً طَويلَةَ القَامَةِ ذاتَ شَعرٍ أَسوَدَ في الحَديقَةِ، تَقومُ بِرَيِّ الزُّهورِ في مَسكَبَةٍ.

توقَّفَ كُلٌّ مِن تشارلز وبوني عِندَ سِياجِ الحَديقَةِ.

- هَالُو؟ قَالَتْ بوني.

التَفَتَتِ المَرأَةُ إليهِمَا.

- أَجَلْ؟ قَالَتْ.

رَاوَحَتْ بوني في المَكَان الَّذي وَقَفَتْ فِيهِ مُرتَبِكَةً.

- هَلْ أَنتِ فَاطِمَةُ؟ قالتْ.

- نَعمْ، وَمَنْ أَنتُما؟

وَضَعَتِ المَرأَةُ إبريق الرَّيِّ جانبًا.

- اسمِيْ بوني وَهَذَا أخي غيرُ الشَّقيقِ تشارلز، قَالَتْ بوني. هَلْ تَسْمَحِينَ لَنَا بِالدُّخولِ؟

أَومَأَتْ فَاطمة بِرأسِهَا، وتنفَّس تشارلز الصُّعداء.

- مَا الحِكايَةُ؟ قَالَت فَاطمةُ عندما فُتحتْ بوابةُ الحديقةِ، ووَقَفَ كُلٌّ مِن تشارلز وبوني في حَديقَتِهَا.

- المَنْزِلُ فوقَ صَخرَةِ النُّسورِ، قال تشارلز.

- والمَنارَةُ، قَالَتْ بوني.

تَحَوَّلَ وَجهُ فَاطِمَةَ في الحَالِ وَصَارَ مُتجهِّمًا.

- مَنْ أَرسَلَكُمَا إلى هُنَا؟ قَالَت.

احمرَّتْ وَجنَتَا تشارلز.

- لَمْ يُرسِلنَا أَحدٌ، قَالَ بِصوتٍ مُنخَفِضٍ. لَقَدْ أَتينَا فَقَطْ مِن أَجلِ...

لَدَينَا بَعضُ الأَسئلَةِ الَّتي تَتَعلَّقُ بِعائِلَتِكِ ؛ عَائِلَةَ رووس . وَنتسَاءَلُ أَيضًا إِنْ كُنتِ تَعرفِينَ شَيئًا عَنِ المَنارَةِ .

التَزمَتْ فاطمَةُ الصَّمتَ لِلحظَاتٍ . أَطلَّتِ الشَّمسُ مِن خَلفِ الغيومِ ، وَلَمَعَ شعرُهَا الأَسودُ .

– لَا أَظنُّ أَنَّ لَديَّ الكثير لأقولهُ في هذا الأَمر ، قَالت في نِهايَةِ المَطافِ . أَمَّا المنارَةُ ، فَلَا أريدُ الحديث عنها نهائيًا . مِنَ الأفضَلِ أَنْ تبقى كَمَا هي الآنَ ؛ مُغلقَةً وَمطفأةً .

تَقدَّمَتْ بوني خطوةً نَحوَهَا .

– لَقَد رَأيتُهَا مُنَارَةً ، قَالَتْ .

عَادَتْ فَاطِمةُ حطوَةً إلى الوراءِ ، وَشحبَ لَونُهَا .

– لَا أريدُ أَنْ أَزجَّ بِنفسِي في شَيءٍ مِنْ هَذَا القَبيلِ ، قَالَتْ فَاطمةُ بِصوتٍ مُفعَمٍ بِالقسوَةِ . هَيَّا ، اذهَبَا!

شَعرَ تشارلز بِحرقَةٍ في مِعدَتِهِ تحتَ وَقْعِ الخوفِ . يَا لَها مِن فكرَةٍ سيِّئةٍ ، مَا الَّذي جَعلَهُمَا يزورَانِ امرأَةً مجهولَةً لَا يعلمَانِ عنهَا شَيئًا ، في بَيتِهَا؟

– تَعالَي ، قَالَ تشارلز ، وسَحبَ بوني مِن ذِراعِهَا .

تَبعَتْهُ بوني رُغمًا عَنهَا .

– لَا تَعُودَا إِلى هُنَا! نَادَتْ فاطمَةُ خَلفَهُمَا . وَأَخبِرَا مَنْ أَرسلَكُمَا أَنَّني أريدُ أَنْ يَظلَّ بَعِيدًا عَنِّي!

فَتحَتْ بوني البَوابَةَ ، وَخرجَتْ إِلى الطَّريقِ .

– يَا لَهَا مِن امرأَةٍ مَعتوهَةٍ ، هَمَسَتْ .

تَأمَّلَ تشارلز فَاطِمَةَ الَّتي ظَلَّتْ وَاقِفَةً ، وَقَد كَتَّفَتْ ذِرَاعَيهَا فوقَ صَدرِهَا

تَنظُرُ إليهِمَا بِغضَبٍ ،لَكنَّها لَيسَتْ غَاضِبَةٌ فَقَط ؛ فَاطِمَةُ خَائِفَةٌ أَيضًا ، بَلْ هِيَ خَائِفَةٌ جِدًا .

التَقَطَ أَنفَاسَهُ بِبطءٍ .

– أَلَا تَرينَ أَنَّكِ تَتَصَرَّفِينَ بِطريقَةٍ غَيرِ لَائقَةٍ الآنَ؟ قَالَ .

ابتَلَعَتْ فَاطِمةُ رِيقَهَا بِصعوبَةٍ ، وَبدَتْ عَليهَا عَلامَاتُ الارتبَاكِ . وَهكَذَا فعلَتْ بُوني أيضًا .

– مَاذَا تَعني؟ سَأَلَتهُ فَاطِمَةُ .

– أَعني أَنَّهُ لَيس من اللائِقِ أَنْ تَرفُضِي اطلَاعِي –أَنَا وبوني– عَلَى الخَطَرِ الكَامنِ في صَخرَة النُّسور وَخليجِ الظِّلِّ .لَسنَا مِن هُنَا ، لَا نَعرِفُ شَيئًا عَنِ الجَرفِ الصَّخريِّ ولا عن المَنارَة . لَكنَّ جَدَّةَ بوني . . . أَعنِي جَدَّتَنَا ، تَسكنُ هُنَاكَ . إذَا كَان المكانُ يُشكِّلُ خطَرًا عَليهَا نُريدُ مَعرفَةَ ذَلكَ ، ثُمَّ إِنَّه لَمْ يُرسلْنَا أَحدٌ إِليكِ في الحقيقة . لا أحد يعلمُ بوجودنَا هُنا سِوانَا .

هَبَّتْ نسمةُ ريحٍ جَعلتْ شعر فاطمة يلوحُ في الهواءِ .

شَعرَ تشارلز بالفخرِ ؛ لأنَّ ما قام به الآن عَملٌ شُجَاعٌ لَمْ يَقُمْ بِمثلِهِ مُنذُ زَمنٍ .

– مَن هِيَ جَدَّتُكُمَا؟ قَالَتْ فاطمةُ .

– اسمُهَا فيفيان ، قَالَتْ بوني .

أَرخَتْ فاطِمَةُ يَدَيهَا ، فَبدَا وَكأنَّهَا وَقعَتْ عَن صَدرِهَا .

– المرأَةُ الَّتي اشتَرتِ المنزِلَ مِن عمَّةِ أَبي ، قَالَتْ . هَل تُريدَانِ أَنْ تخبِرَاني بِأَنَّهَا مَا زَالتْ تَسكنُ هُنَاكَ؟ أَليسَ لَديهَا مَا يكفِي مِنَ الحكمَةِ لِيجعلَهَا تنتقِلُ إِلى مكانٍ آخَرَ؟

هَزَّتْ بوني رأسَهَا نَفيًا .

– السَّكنُ عندَ صَخرَةِ النُّسورِ يَروقُ لَهَا ، قَالَ تشارلز .

بَدتْ فاطِمَةُ وَكأنَّهَا تَتَساءَلُ بَينهَا وَبينَ ذَاتِهَا . ظَلَّتْ وَاقفَةً تُفكِّرُ هَكذَا لِفترَةٍ طَويلَةٍ .

– حَسنًا ، قَالَتْ في مَا بعدُ . تستطيعان الدُّخولَ مَعي إِلى البيتِ ، وَسوفَ أَقصُّ عَليكُما مَا أعرفُهُ عن الأمرِ .

الفَصلُ الثَّاني عَشرَ

جَلسُوا عَلَى الشُّرفَةِ . فوق مقاعد عَاليةٍ جِدًا ، جَعلَتْ كُلًا مِن بوني وَتشارلز يَعجَزُ عَنْ أَنْ يَطَأَ الأرص بقدميه . شَعرَتْ بوني بِالخوفِ وَالفضُولِ في آنٍ مَعًا . لَمْ يعلَمْ أَيٌّ مِنهُمَا ما هى التّفاصِيلُ الَّتي سَيسمَعُهَا بَعدَ قَليلٍ .

لَمَسَتْ أَصابعُ فَاطمةَ البروش المُثبّت فوق صدر بلوزتهَا .

– وُلِدْتُ في البيتِ الواقع فوق صحرة النَّسور ، قالَتْ . كَانَتْ مَحضَ صُدفَةٍ ؛ وُلِدْتُ بِسرعَةٍ فَائقةٍ ، ولمْ تجدْ أُمِّي مُتّسعًا مِنَ الوقتِ لِلذهَابِ إِلى المُستَشفَى .

– كَمْ سَكنْتِ هُنَاكَ؟

– انتقلْنَا مِنَ المنزِلِ عِندَمَا كُنتُ في سِنِّ العَاشرَةِ . عَمَّةُ أَبي بَقيَتْ وَحدَهَا هُنَاكَ .

نَظَرَتْ فَاطِمَةُ حَولَهَا كَأَنَّهَا تَنتَظِرُ أَنْ يَأتِيَ أَحدٌ مَا مُتَسلِّلًا إِلى دَاخلِ الحَديقَةِ . اختَفَتِ الشَّمسُ خَلفَ غِطاءِ الغُيومِ ثَانيةً ، وَصَارتِ الرِّيحُ أَكثرَ بُرودَةً .

– قَالَتْ جَدَّتي فيفيان إِنَّ عَمَّةَ والِدكِ بَقيَتْ في صَخرَةِ النُّسورِ حتَّى بَعدمَا بَاعتِ المنزِلَ ، قَالَتْ بوني .

– هَذَا صَحيحٌ ، قَالَتْ فاطِمةُ .

– ثُمَّ إِنَّهَا أَرادَتْ أَنْ تُدفَنَ هُناكَ أيضًا ، في المَقبَرةِ الصَّغيرَةِ .

ارتَدَتْ فَاطمَةُ سُترَةً كانتْ مُلقاةً عَلى ظَهرِ الكُرسيِّ .

– يُوجَدُ شَاهدُ قبرٍ لمْ يُكتَبْ عَليهِ شَيءٌ ، في المَقبَرةِ ، قَالَتْ بوني .

– حَقًا؟ قالتْ فاطمةُ أمرٌ عَجيبٌ . ثُمّ لَمْ تُضفْ شَيئًا آخرَ .

لَمْ تَكنْ بِدايَةُ الحدِيثِ مُشجِّعَةً .

– أَلَا تَسْتَطِيعينَ إِخبَارَنَا بِالسَّبَبِ الَّذي جَعلَ عَائِلتَكِ تَنتَقلُ مِنْ صَخرَةِ النُّسورِ؟ قَالَ تشارلز .

ثُمَّ انتظَرَا . جَعلَتِ الرِّيحُ لِأوراقِ الشُّجيراتِ أَسفَلَ الشُّرفَةِ حفيفًا . كَأنَّ تلكَ الشُّجيرَاتِ هَمسَتْ لِبعضِهَا بعضًا .

– كَمَا سَبقَ وَأَخبرْتُكُمَا ، انتقَلْنَا مِنْ هُناكَ في السَّنةِ الَّتي أَكملْتُ فِيهَا سَنتي العَاشِرةَ . كَانَتِ السَّنةَ الأَكثرَ حُزنًا في تَاريخِ عَائلَتي .

مَالَتْ بوني إِلى الأَمامِ كَي تَسمعَ بِوضوحٍ أَكثرَ .

– مَا الَّذي حَدَثَ؟ هَمسَتْ .

– تُوفِّيَ أَخي إِسكيل . كَانَ يَلعبُ في الحَديقَةِ ، وَاختَفَى عَن عَينَيِّ المُربيَةِ . سَقَطَ بَعدَ ذَلِكَ عَن حَافَّةِ الجَرفِ الصَّخريِّ ، وَغرِقَ في البَحرِ .

حَاولَتْ بُوني أَنْ تلتَقِطَ أَنفاسَهَا . لَقَدْ مَاتَ أَحدٌ مَا عِندَ صَخرَةِ النُّسورِ إِذًا . لَقدْ مَاتَ هُنَاكَ طِفلٌ .

– لَمْ يُعثَرْ عَليهِ أَبدًا ، قَالَتْ فَاطِمَةُ . انتقلْنَا مِنْ هُنَاكَ بَعدَ مُرورِ بِضعَةِ

أَشهر .

لَمْ تَجِدْ بوني مَا تَقولُهُ .

– هَلْ تَعلمينَ مَا الَّذي حَدَثَ؟ سَأَلَ تشارلز . أَعنِي ، هَلْ تَعلمينَ مَا كَانَ مَصيرهُ؟

– قَامُوا بِالبحثِ عَنْ جُثَّتِهِ لِأيَّامٍ وَأَسَابِيعَ ، قَالَتْ فَاطِمَةُ . لَكنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوهَا . وَاستَسلَمُوا في نِهايَةِ المَطَافِ . قَالُوا إِنَّ البحرَ أَخذَهُ . لَكنَّ عَمَّةَ أَبي لَمْ تُصدِّقْ ذَلِكَ . ولَمْ يُصدِّقْ بَعضُ سُكَّانِ القَريَةِ ذَلِكَ أَيضًا .

تَوَقَّفَتْ بوني عَن التَّنفُّس . رَاحَتْ تَترقَّبُ مَا سَتقولُهُ فَاطِمَةُ بَعدَ ذَلِكَ .

– مَا الَّذي ظَنَّتْهُ عَمَّةُ والدك؟ قَالَتْ بوني .

تَسارَعَتْ حَرِكَةُ الرِّيحِ . تعالَى حَفيفُ أَورَاقِ الشُّجيراتِ أَكثَرَ ، وَتَعالَتْ أَيضًا أَصواتُهَا الهامسةُ .

– كَانَتْ تَظنُّ أَنَّ الرَّجل دا الرَّأس المفقُود هُو الَّذي أَخذَهُ ، قَالَتْ فَاطِمَةُ . المُنتَقمَ ؛ المُنتَقِمَ ذا الرَّأس المفقود .

غَرقَتِ الشُّرفةُ بِالسُّكون هدأت الرِّيحُ تمامًا ، وَتوقَّفَتِ الشُّجيرَاتُ عَنِ الهمسِ .

– المُنتَقِمُ؟ ذُو الرَّأسِ المفقودِ؟ قالَتْ بوني .

إِنَّهَا المرَّةُ الثَّانيةُ الَّتي يُذكَرُ أَمَامهمَا ، ذَلِكَ الرَّجلُ الَّذي لَا يَملِكُ رَأسًا . الرَّجلَ الَّذي يُدعى المُنتَقِمَ . وَالَّذي ادَّعَتِ السَّيِّدتَانِ المسنَّتَانِ في القَريَةِ أَنَّهُ المَسْؤُولُ عَنِ اختفَاءِ سِفَان .

– كَانَ المُنتقِمُ في البِدَايةِ رَجُلًا عَاديًا جِدًا ، يَقطُنُ في قَريَةَ خَليجِ

الظِّلِّ مَع عَائِلتِهِ ، قَالَتْ فاطمةُ . كَانَ ذلِكَ منذُ زَمَنٍ بَعيدٍ جدًّا . في فترةٍ مَا مِنَ القرنِ التَّاسع عَشَرَ . كَانَ يُدعَى أُولف في الحَقيقَةِ ، لَكن لَا أحدَ تَقريبًا يَتذكَّرُ ذَلكَ الآنَ . كانَ صَيَّادًا يَخرُجُ إلى عَرضِ البَحرِ عَلَى مَتنِ قَارِبِهِ للصيدِ . ثُمَّ لا يَعودُ إلَّا في المَسَاءِ بَعدَ حُلولِ الظَّلامِ .

فَركَتْ فَاطِمةُ يَدَيهَا .

– هَلْ وَقفْتُمَا مَرَّةً على صَخرَةِ النُّسورِ وَنَظرْتُمَا إلى البَحرِ؟ سَألَتْ .

أَومَأَ كُلٌّ مِن بوني وتشارلز بِرأسِهِ إيجَابًا . مَا زَالَتْ بُوني تَتَذَكَّرُ ذَلِكَ الخوف الَّذيْ أصَابَها حِينَ نَظَرَتْ مِن فَوقِ حَافَّةِ الجَرفِ الصَّخريِّ .

– إِنَّهُ بَحرٌ خَطيرٌ ، قَالَتْ فَاطِمةُ . الرِّيحُ تَعْصِفُ عَاتِيةً غَالِبًا وَالتَّيَّارَاتُ كَثيرَةٌ . لَا أَحدَ يستطِيعُ السِّبَاحَةَ هُنَاكَ . إنْ وَقعَ المَرءُ في البَحرِ ، سَيكونُ مَصيرَهُ الغَرقُ حتمًا . كَانَ عَلَى الصَّيادِينَ وعَلَى كُلِّ مَن أَتى إلَى هُنَاكَ عَلَى مَتنِ قَاربٍ أَنْ يَتوخَّى الحَذَرَ . إِذَا اقترَبُوا أكثرَ مِنَ اللازِمِ مِنَ الصَّخرَةِ ، يُؤدِّي ذَلِكَ إِلى تَحطُّمِ قَوارِبِهم . لِذلِكَ كَانتِ المَنارَةُ غَايَةً في الأَهميَّةِ بِالنِّسبَةِ إِليهم . كَانُوا يَعجزُونَ عَنْ دُخولِ المِينَاءِ في الظَّلامِ لَولَا وُجودُ المَنارَةِ . لِذلِكَ ، عِندَمَا يَحلُّ الظَّلامُ كُلَّ يَومٍ ، كَانَ عَلَى حَارسِ المَنارَةِ أَنْ يَصْعَدَ إلى أَعلَاهَا لِيُضيءَ أَنوارَهَا . يُدرِكُ عِندَهَا البَحَّارَةُ والصَّيادون مَوقِعَ الصَّخرَةِ لِيتحَاشَوا الاقترَابَ مِنهَا عِندَ تَوجُّهِهِم نَحوَ المِينَاءِ .

نَظرتْ فَاطِمةُ حَولَهَا نظرَةً مُفعمَةً بِالقَلقِ ، لَكنَّهَا لَمْ تَرَ أَحدًا .

– لَكنْ في مَسَاءِ يَومٍ مَا ، لَمْ تُضِئْ أَنوارُ المَنارَةِ . لا أَحدَ يَعلَمُ مَا الَّذي حَدَثَ بِالضَّبطِ يَومَهَا ؛ إِنْ أُصيبَ حَارسُ المنارَةِ بِالمرَضِ ، أَو وَقعَتْ لَه حَادِثةٌ مَا . لَمْ تُرسِلِ المَنارَةُ نُورَهَا في كُلِّ الأَحوالِ ، وَأدَّى ذَلِكَ إِلى

فَاجِعَةٍ ؛ لِأنَّ حَالَ الطَّقس سَاءَ جِدًا في تِلكَ الليلةِ . عِندَمَا بَدأتِ الرِّيحُ تَشتدُّ ، لَجَأتِ القَوارِبُ كُلُّهَا إلى الميناءِ قَبلَ حُلولِ الظَّلام ، وَقَبلَ أَنْ تَحلَّ العَاصِفَةُ . عَادَتِ القواربُ كُلُّهَا مَا عَدَا وَاحِدًا .

– قَارب المُنتقِم ، هَمَسَتْ بوني .

– بِالضَّبطِ ، قَالَتْ فاطمةُ . قَدْ تَفهمونَ لَو أَخبرتُكمْ بِأنَّ زوجَته وَابنَهُ أُصيبَا بِمَرَضٍ مَا في ذلكَ الحينِ . كَانتِ العَائلَةُ تُعاني مِنْ نَقصٍ في المَالِ ، وَنقصٍ في الطَّعَام . أحدُ أقَاربي المُسنِّين يومَهَا ؛ ألبرت رووس ، طَلبَ مِنَ المُنتقم خِدمَةً ؛ أَنْ يَأخذ معَهُ أحدَ المُساعدينَ في قَاربِهِ إلى جزيرَةٍ عَلَى مَسافَةٍ لَا بأسَ بِهَا في عُمق البحر . كَانَ عَليهِمَا أَنْ يَتسلَّمَا صُندوقًا في تِلكَ الجَزيرَةِ ، وَيعودَا به إلى خليج الظِّلِّ . لَم يَتسنَ لَهُ مَعرفَةَ مَا يَحتويهِ الصُّندوقُ وَمُنعَ مِن طَرح الاسئلة . كُلُّ مَا طُلبَ مِنهُ القيامُ بِهِ هُوَ أَنْ يُحضِرَ الصُّندوقَ وَيأتي به إلى بيت قريبي . غادَر الرَّجلُ بِرفقَةِ المُساعِدِ في الصَّباحِ . يَجبُ أَنْ تَتذكَرا أنّ النّاس كانُوا يُبحرُون بقوارِب صَغيرةٍ في تِلكَ الأيّامِ . لَمْ يَكُنْ يَملُكُ المنتقمْ شراعًا ولا مُحرِّكًا لقاربهِ يُساعِدُه عَلَى الإبحَارِ . وَعندَمَا تَشتدُّ الرِّيحُ يُصبحُ التّجديفُ صَعبًا . استغرَقَ الوصولُ إلى الجَزيرةِ وَقتًا طَويلًا جِدًا . وَأدركَ الرّجلان أنّهمَا لَنْ يَتمكَّنا مِنَ العودَةِ إلى خَليجِ الظِّلِّ قَبلَ انتِهَاء العَاصِمة . لذلكَ طَلبَ المنتَقِمُ مِنَ المقيمِينَ في الجَزيرَةِ أَنْ يَسمحُوا لَهمَا بِقضَاء الليلِ هُنَاكِ ؛ كَي لَا يُضطرَّا إِلَى الإبحَارِ وَسطَ العَاصِفَةِ .

– وَهَلْ سَمَحُوا لَهمَا بِذلِكَ ، قَالَ تشارلز .

– لَا ، لَمْ يَسمَحُوا لَهمَا . صَرخَ الرَّجلُ الَّذي سَلَّمَهُ الصُّندوقَ مبيِّنًا

أَنَّ عَليهِ أَنْ يَأخُذَ الصُّندوقَ وَيغادِرَ الجَزيرَةَ في الحَالِ ؛ فَعلَيهِ إِيصَالُ الصُّندوقِ إِلى خَليجِ الظِّلِّ بِأسرعِ وَقتٍ مُمكِنٍ وَمهمَا كَلَّفَ الأمرُ . لِذلِكَ أَبحرَ المنتَقِمُ بِقَارِبِهِ في عَرضِ البَحرِ ثَانيةً بِرفقَةِ المسَاعِدِ . عَلَى الرَّغمِ مِنَ الأَمواجِ العَاتِيةِ ، وعَلَى الرَّغمِ مِنَ الرِّيحِ وَالمَطرِ . وَعِندَمَا اقتَرَبَا مِنْ صَخرَةِ النُّسورِ أَخيرًا ، كَانَ الظَّلامُ دَامِسًا .

– لَمْ تُرسِلِ المنَارَةُ نُورهَا في تِلكَ الليلَةِ!!! قَالَ تشارلز وَقدْ جَحظَتْ عَينَاهُ .

– بِالضَّبطِ ، في تلكَ الليلَةِ بِالذَّاتِ ، لَمْ تُضَأْ أَنوارُ المَنارَةِ . ارتطَمَ القَارِبُ بِالصُّخورِ وَتحطَّمَ . إِنَّهَا قِصَّةٌ مُروِّعَةٌ في الحَقيقَةِ .

كَادَتْ بوني تَعجَزُ عَنِ التقَاطِ أَنفَاسِهَا .

– يَا لِلفظَاعَةِ! قَالَتْ .

– مَاذَا حَدثَ لِلمنتَقِم؟ سَألَ تشارلز .

– لَقدْ مَاتْ ، قَالَتْ فَاطِمةُ .

– وَمَاتَ مُساعدُهُ أَيضًا؟ سَأَلَتْ بوني .

هَزَّتْ فَاطمَةُ رَأسَهَا نَفيًا .

– لَا ، قَالَتْ . كَانَتْ نَجاةُ المُساعِدِ أَشبَهَ بِمعجِزَةٍ ؛ لِأنَّهُ أَوَّلُ مَن نَجَا مِنْ حَادِثَةٍ مُماثِلَةٍ . وَلَا أَظنُّ أَنَّ أَحدًا نَجَا مِنْ حَادِثَةٍ مثلِهَا مِنْ بَعدِهِ . نَجحَ في الوصولِ إِلى اليَابِسةِ أَسفَلَ صَخرَةِ النُّسورِ ، ثُمَّ جَلسَ في وعَاءِ المِصعَدِ ، وانتَظرَ حلُولَ الصَّباحِ .

ارتَجَفَ كُلٌّ مِن بوني وتشارلز . إِنَّهُ المِصعدُ! ووعَاؤُهُ اللذانِ وَجدَاهُما في الحَديقَةِ .

– غيرُ مَعقُولٍ ، قَالَتْ بوني . المصعَدُ القَديمُ مَازالَ موجُودًا ، لَكنَّهُ مَوجُودٌ أَعلَى صَخرَةِ النُسورِ .

– هَذَا صَحيحٌ ، قَالَتْ فَاطِمَةُ . هُوَ عِبارَةٌ عَنْ قَدرٍ كَبيرٍ مِنَ التَّنكِ يُمكِنُ رَفعُهُ وَخفضُهُ بِواسطَةِ مرفَقٍ آلِيٍّ ، إلَى أَعلَى الجَبلِ وَأسفَلِهِ . استُخدِمَ في المَاضِي لِرفعِ الأَشياءِ الثَّقيلَةِ إِلى المَنزلِ . إِذْ إِنَّهُ يُوجَدُ شَاطِئٌ صَغيرٌ أَسفلَ الصَّخرَةِ . كَانَ يَحدُثُ أَنْ تَأتِيَ القَوارِبُ إلَى هُنَاكَ بِأَشياءَ تحتَاجُهَا عَائِلَةُ رووس . وَكانَ ذلكَ مُمكنًا فَقطْ عِندَمَا تَسكُنُ الرِّياحُ . وَإلَّا تحطَّمَتِ القوارِبُ فَوقَ الصُخور وقَدْ نسيَ أحدٌ مَا رَفعَ المصعَدِ إِلَى أعلى فِي تِلكَ الليلَةِ . عِندَمَا حَلَّ الصَّباحُ أخيرًا وَرُفِعَ المصعدُ ، عُثِرَ عَلَى المُساعِدِ . كَانَ يَرتَجِفُ مِنَ البردِ وَالذُّعرِ .

ابتلَعَتْ بوني رِيقَهَا .

– هَلْ كَانَ مَذعُورًا بِسبب اضطراره للانتظار طويلًا قَبلَ أَنْ يَمدَّ لَهُ أَحدٌ يَدَ العونِ؟ قَالَتْ .

– إِلَى حَدٍّ مَا ، لَكنَّ أكثر ما أثار ذُعرَهُ هُوَ المنتَقِمُ . عِندَمَا لَمْ يَرَ المنتقِمُ نُورَ المَنارَةِ عَلَى الرَّغم منْ أنّهما جَذَّفَا طَويلًا ، أَدرَكَ أَنَّ نورَهَا لَنْ يُضَاءَ . كَانَ المنتَقِمُ مُتأكِّدًا مِنْ أنَّ أحدًا مَا قَامَ بِإطفَاءِ نُورِ المَنارَةِ . وَبمَا أَنَّ المَنارَةَ تقَعُ فوقَ صَخرَةِ النُسورِ ، كانَ مُتأكِّدًا أَيضًا مِنْ أَنَّ لِأحَدِ أَفرَادِ عَائِلَةِ رووس يَدًا في ذَلكَ ، إِضافَةً إِلى أَنَّ أَلبرتْ هُوَ مَنْ طَلَبَ مِنهُ إِحضَارَ الصُّندوقِ مِنَ الجَزيرَةِ . عِندَمَا أَدركَ المُنتقِمُ أَنَّهمُا لَنْ يَنجَوا مِنَ الغرَقِ ، اشتَاطَ غَضبًا ؛ لِأَنَّه أَدرَكَ أَنَّ عَائلَتَهُ لَنْ ترى الخَلاصَ مِنْ دُونِهِ . لِذلِكَ تَوعَّدَ وَأقسَمَ بِأنْ يَنتَقِمَ انتقَامًا وَحشيًا . وَأقسَمَ بِألَّا ينعمَ أَحدٌ مِنْ سُكَّانِ

خَليجِ الظِّلِّ بِالأمَانِ قَبلَ أَنْ ينتَقِمَ وَيحقِّقَ ثَأرَهُ . وَأقسَمَ أَنْ يُعاقِبَ سُكَّانَ القَريَةِ جَميعًا طَالَمَا ظَلَّتْ عَائِلَةُ رووس مِنْ سُكَّانِهَا . لِهذَا لُقِّبَ بَاسمِ المُنتَقِم .

شَعرَتْ بوني أَنَّ نَبضاتِ قَلبِها تسارَعَتْ .

– سَمعَ تشارلز حَديثًا دارَ بينَ سيِّدتينِ مُسنَّتينِ عَنْ رَجُلٍ لَا رأسَ لَهُ ، قَالَتْ . وَأَنَّ ذَلكَ الرَّجلَ يَخرُجُ بِقارِبِهِ أثناءَ الليلِ . ثُمَ إِنَّكِ قُلتِ لِتوِّكِ إِنَّ . . .

– لَا بُدَ مِنْ أَنَّهمَا كَانتَا تَتحدَّثَانِ عَنِ المنتَقم ، قَالتْ فَاطِمةُ . لَكنِّي لَستُ أَدرِي إِنْ كَانَ الحدِيثُ عَنْ هَذَا التَّفصيلِ ذَاتِهِ مُنَاسِبًا الآنَ .

رَمقَ كُلٌّ مِن بوني وتشارلز الآخرَ بِنظرَةٍ سَريعَةٍ . كُلٌّ مِنهُمَا مُتحمِّسٌ . كُلٌّ مِنهُمَا يُريدُ مَعرفَةَ كُلِّ شَيءٍ ، كُلِّ شَيءٍ .

– أَخبرِيْنَا ، قَالَ تشارلز . أَخبرِيْنَا مَا الَّذي حَدثَ لِرأسِهِ؟

نَظرَتْ فَاطمَةُ بَعيدًا .

– قَالَ المسَاعِدُ إِنَّ مَوجَةً عَظيمَةً قَلبَتِ القَارِبَ ، وَرمَتْ بِالمنتَقمِ نَحوَ الصُّخورِ . حَطَّ عُنقُهُ عَلَى حَافَّةِ صَخرَةٍ حَادَّةٍ جِدًا وَ . . . انفصَلَ عَنِ الجَسَدِ .

حَدَّقَتْ بوني بِفَاطِمَةَ .

– الرَّأسُ بِكامِلِهِ؟ هَمَستْ . هَلِ انفصَلَ الرَّأسُ بِكامِلِه عَنِ الجَسدِ؟

أَومَأَتْ فَاطمَةُ بِرأسِهَا بِصمتٍ .

– رَآهُ المُساعِدُ يَختَفي فِي مِياهِ البَحرِ . مُنذُ ذَلِكَ الحينِ لَمْ يَهدَأ المنتَقِمُ . لِذلِكَ مَا زَالَ النَّاسُ يَرونَهُ فِي البَحرِ . كُلُّ مَنْ رَآهُ يَروي الأَمرَ

ذَاتَهُ ؛ أَنَّ المنتَقِمَ يُجذِّفُ بِحركَاتٍ ثَقيلَةٍ بَطيئَةٍ ، وَأَنَّه لَيسَ كَامِلًا ، وَمَا زَالَ يَفتَقِدُ رَأسَهُ .

الفَصلُ الثّالِث عَشَرَ

إنَّهَا الحِكَايةُ الأَفظَعُ الّتي سَمعَهَا تشارلز في حَياتِهِ كُلِّهَا عَلَى الإطلَاقِ . ظَلَّ فَاتِحًا فاهُ يَستَمِعُ إلى أن صَمتتِ فَاطِمَةَ في نِهايَةِ المَطَافِ .

– لَقَدْ عَاقَبَ سُكّانَ القريَةِ جَميعًا عَلَى ذَنبٍ ظَنَّ أَنَّ عَائِلَةَ رووس هِيَ الّتي اقترفَتهُ؟ قَالَ تشارلز بِبطءٍ .

أومَأَتْ فَاطِمَةُ بِرأسِهَا إيجَابًا .

– رَأَى أَنّهُ لَا بُدَّ مِنْ مُعاقَبَةِ عَائِلَةِ رووس بِأَسرِهَا ، وَأَنَّ عَلَى العَائِلَةِ مُغَادَرَةَ خَليجِ الظِّلِّ . وَأَنَّ عَلَى سُكّانِ القَريةِ إيجَادُ الشّخصِ الّذي أخفَى حَارِسَ المَنَارَةِ وَمعَاقبتُهُ أَيضًا . هَذا مَا قَالَهُ المُساعِدُ . لَكنَّ أَحدًا لَمْ يَجرُؤْ عَلَى طَردِ عَائِلَةِ رووس مِنَ المِنطَقَةِ .

– لَكِنْ هَلْ كَانَ أَحدُ أَفرَادِ عَائلَةِ رووس مَسؤُولًا عَنْ إِنَارَةِ المَنارَةِ في تلكَ اللّيلَةِ؟ قَالَتْ بوني .

– لَمْ يَتسَنَ لَنَا مَعرِفَةُ ذَلِكَ ، قَالَتْ فَاطِمَةُ . حَارِسُ المَنارَةِ لَا يَنتَمِي إِلَى عَائِلَتِنَا لَكنّهُ كَانَ يَسكنُ في مَنزلِ حَارِسٍ بِالقربِ مِنَ المَنارَةِ . لَا بُدَّ

مِنْ أَنَّكمَا رَأيتُمَا الكوخَ الخَشبِيَّ الصَّغيرَ. اختفَى الحَارِسُ فِي تِلكَ الليلَةِ وَلَمْ يَعدْ أبدًا. لَيسَ لَدَيَّ أدنَى فِكرَة عَمَّا حَدثَ لَهُ. لَكنَّ المنتقِمَ ألقَى بِالذنبَ كُلِّه عَلَى عَاتِقِ عَائِلتِنَا.

فَكَّرَ تشارلز فِي الكوخِ الخَشبِيِّ بِالقربِ مِنَ المَنَارَةِ. فكَّرَ بالترمُس أيضًا. شَعرَ بِالخوفِ إلى دَرجَةٍ جَعلتهُ يَعجَزُ عَنِ الجُلوسِ بِهدُوءٍ.

– لِماذَا اعتقَدَ المنتَقمُ أَنَّ أَحدًا مَا عَمِلَ عَلَى أَنْ تَبقَى المَنارَةُ مُطفَأَةً في تِلكَ الليلَةِ؟ قَالَتْ بوني.

كَتَّفَتْ فَاطِمَةُ ذِرَاعيها فوقَ صَدرِهَا.

– بِسببِ الصُّندُوق الَّذي نقلَهُ، قَالَتْ. ظَنَّ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ حَاولُوا مَنعَ وُصُولِ الصُّندُوقِ إلى خليج الظِّلِّ.

– لَكِنَّ ألبرت رووس هُو الَّذي طلب منهُ إحضَارَ الصُّندوقِ إلى هُنَاكَ، قَالَ تشارلز.

– نَعم، الأَمرُ غَريبٌ طبعًا، أليس كذلك؟ قالتْ فَاطِمَةُ. وَلَا أَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ صَحيحًا. لَا أحَد يعلمُ ما الَّذي كَانَ فِي الصُّندوقِ وَلَا أَحدَ يَعلَمُ مَنِ الَّذي أَطفَأَ نَورَ المنارة. وعلى الرَّغمِ مِنْ ذَلكَ يُعاقِبُ المنتَقِمُ الجَميعَ.

– وَلِهذَا... عِندَمَا تُوفِّيَ أَخوكِ الصَّغيرُ...، بَدأَتْ بوني بِحذَرٍ.

– ...ظَنَّ وَالدَايَ أَنَّ المنتَقِمَ ذا الرَّأسِ المَفقُودِ هُوَ الَّذي أَخذَهُ، قَالَتْ فَاطِمَةُ. لِهذَا انتَقَلْنَا مِنْ خَليجِ الظِّلِّ. حَتَّى لَا يَأخُذَ المزِيدَ مِنَّا.

جَلسُوا صَامِتينَ لِبرهَةٍ. أَدرَكَ تشارلز أَنَّ عَليهِمَا المُغَادرَةَ خِلالَ دَقَائِقَ مَعدودَةٍ. وَشَعرَ أَنَّ العودَةَ إلَى خَليجِ الظِّلِّ أَمرٌ لَمْ يَعُدْ يَروقُ لَهُ الآنَ.

– نَظنُّ أَنَّ أمرَ المَنارَةِ مُريبٌ بَعضَ الشَّيءِ ، قَالَ . أيْ أَنَّ هُناكَ شَخصٌ مَا يَدخُلُهَا أَحيانًا . ثُمَّ إِنَّنَا رَأينَا ترمُسَ قَهوةٍ في كُوخِ حَارسِ المَنارَةِ مُنذُ أيَّامٍ فَقطْ . وَهنَاكَ قفلٌ جَديدٌ عَلَى بَابِهَا .

– القَهوَةُ هِيَ الشَّرابُ الأَمثَلُ لِمَنْ يُريدُ أَنْ يَسهرَ ، قَالَتْ فَاطِمَةُ .

– مَاذَا؟ قَالَتْ بوني .

– لَا شَيءَ ، أَجَابَتْ بوني بسرعَةٍ . إِنَّني أُثرثِرُ فقط .

رَمَشَتْ عَينَا تشارلز . القهوَةُ هِيَ الشَّرابُ الأَمثَلُ لِمَنْ يُريدُ أَنْ يَسهرَ . لَا بُدَّ إِذًا مِنْ أَنَّ مَنْ أَنَارَ الضَّوءَ في المَنارَةِ في منتصَفِ الليلِ ، شَربَ القَهوةَ لِكيلَا يَنامَ .

– مَاذَا حَدثَ لِلمنَارَةِ بَعدَ تِلكَ الليلَةِ؟ قَالَتْ بوني . مَنِ الَّذي عَمِلَ بِهَا بَعدَ اختِفَاءِ الحَارِسِ؟

– لَا أَحدَ ، قَالَتْ فَاطِمَةُ . أَو بِالأَحرَى ، قَامَ رِجَالُ عَائِلَةِ رووس بِالتَّناوبِ عَلَى إِنَارتِها خِلَالَ الأَسابِيعِ الأُولَى الَّتي تَلَتِ الحَادِثَةَ . لَكِنْ في الوَقتِ ذَاتِهِ بُنِيَتْ مَنارَةٌ جَديدَةٌ هُنَا في أونغسريد . يوجَدُ هُنَا صَخرَةٌ أَقلُّ عُلوًّا مِنْ صَخرَةِ النُّسورِ لَكنَّهَا تَظهَرُ لِلعيانِ بِكلِّ وُضوحٍ مِنْ جِهَةِ البحرِ . عِندَمَا اكتمَلَ بِناءُ المَنارَةِ الجَديدَةِ ، أُقفِلَتِ المنارَةُ القَديمَةُ في الحَالِ . قِيلَ إِنَّ نُورَهَا لَنْ يَشعَّ أَبدًا بَعدَ ذَلِكَ ، حَتَّى لَا يَعودَ المنتَقِمُ إِلى هُناكَ .

أُصيبَ تشارلز بِالذُّعرِ . لَقَدْ شَاهدَتْ بُوني نُورَ المَنارَةِ مُضَاءً!

ثُمَّ قَالَتْ بوني ذَلِكَ .

– رَأيتُ نُورَ المَنارَةِ بِأُمِّ عَينَيّ ، هَمَستْ .

– هَلْ أَنتِ مُتَأكدَةٌ مِنْ أَنَّكِ لَستِ وَاهِمَةً؟ قَالَتْ فَاطِمَةُ .

أَومَأَتْ بوني بِرأسِهَا إيجَابًا .

هَزَّتْ فَاطِمَةُ رَأسَهَا .

– يَجبُ أَنْ تُغادِرَا ذَلِكَ المَكانَ في الحَالِ ، قَالتْ . عَليكُمَا مُغادَرَةُ خَليجِ الظِّلِّ حَالًا مَهمَا كَلَّفَ الأَمرُ . وَتوقَّفَا عَنْ طَرحِ هَذَا الكمِّ مِنَ الأسئِلَةِ . الأَمرُ غَايَةٌ في الخُطُورَةِ .

أَرادَ تشارلز أَنْ يَسأَلَ عَنْ سَببِ الخطورَةِ الكامِنَةِ في إِعادَةِ إِنَارَةِ المنارَةِ ، لَكنَّ بوني سبقَتهُ في الحَديث .

– قَالَتْ جَدَّتي فيفيان إنَّ الأحدَاثَ تَقعُ في كُلِّ مَكانٍ ، قَالَتْ بَصوتٍ يُشبِهُ الهمسَ . أَيْ أنَّ الأحداثَ لَا تَقَعُ في خَليجِ الظِّلِّ فَقَط . وَأَنَّنا لَا نَستطيعُ إِلقاءَ اللومِ عَلى المنتقم في كُلِّ مَا يحدُثُ . هَذَا إِنْ كَانَ المنتقِمُ مَوجُودًا حَقًّا .

– بِالطَّبعِ لَا يُمكِنُنَا إلقاءُ اللوم عليه في كُلِّ ما يحدُثُ ، قَالَتْ فَاطِمَةُ . لَكنْ عِندَمَا يَختَفي النَّاسُ ينتابني دائمًا شُعورٌ بالرِّيبَةِ .

فَكَّر تشارلز ثَانيةً بِمَا قَالَتهُ السَّيِّدتان في مَتجَرِ القُمَاشِ .

– يَبدُو أَنَّ طِفلًا صَغيرًا اختفى منْ خَليجِ الظِّلِّ حَديثًا ، قَالَ بِصوتٍ هَشٍّ .

احتدَّتْ فَاطِمَةُ كَثيرًا عِندَ سَماعِ ذلِكَ .

– اللهمّ نَجِّنَا يَا ربُّ ، قَالَتْ .

– هَلْ تَعتقِدينَ أَنَّ المنتَقِمَ وراءَ اختفَائِهِ؟

حَدَّقَتْ فَاطِمَةُ في عَينَيّ بُوني مُباشَرةً .

– بِكلِّ تَأكيدٍ ، قَالَتْ .

– لَكِنْ هَلْ يُعقَلُ ذَلِكَ؟ قَالَ تشارلز. لَمْ يَبقَ مِنْ عَائِلَةِ رووس أَحدٌ في قَرِيَةِ خَليجِ الظِّلِّ. مَا السَّببُ في عَدَمِ رِضاه حتَّى الآنَ؟

خَفضَتْ فَاطِمَةُ صَوتَها حِينَ تَحدَّثَتْ.

– هَذَا لَيسَ صَحيحًا تَمامًا، قَالَتْ مازالَ أَحدُ أفرادِ عَائِلَةِ رووس يَسكنُ في خَليجِ الظِّلِّ. وَهو لا يُؤمنُ بحكَايَةِ المُنتَقِمِ ذِي الرَّأسِ المَفقُودِ. إِنَّهُ يَرفضُ الانتقَالَ مِن القريةِ.

استحوَذَ الفُضولُ عَلى تشارلز.

– مَنْ هُوَ؟ قَالَ.

– إذَا أَخبرتُكُمَا، عَليكُمَا أَنْ تَعدَانِي بِأَلَّا تَذكُرَا الأمرَ وَلَو بِكَلمَةٍ وَاحِدَةٍ لِأَيِّ إِنسانٍ، قَالَتْ فَاطِمَةُ. هَلْ تَعِدَانِي بِذَلِكَ؟

وَعدَ كُلٌّ مِن تشارلز وبوني فَاطِمَةَ بِذلِكَ.

– لَنْ نُخبرَ أَحدًا بِالأمرِ، قَالَتْ بوني. لَكنَّا قَدْ نَبحَثُ عَنهُ أَو نَذهَبُ إِليهِ لِمعرفَةِ المزيدِ. حَسنًا؟

فَكَّرَتْ فاطِمةُ بِالأَمرِ لِلحظَاتٍ.

– حَسنًا، قَالَتْ بَعدَ ذَلكَ. يُمكنُنَا الاتفَاقُ عَلى ذَلكَ. مَنْ يَدرِي، رُبَّمَا سَبَقَ والتَقَيتُمَا بِخَالي؛ اسمُهُ روبرت.

هَزَّ تشارلز بِرأسِهِ نَفيًا وَقَدِ اعترَتْهُ خَيبَةُ الأَمَلِ.

– لَمْ يسبِقْ أَنِ التقَينَا بِشَخصٍ يُدعَى روبرت، قَالَ.

– أَينَ يَسكُنُ؟ سَأَلَتْ بوني.

– عِندَ مَوقِفِ الحَافلَاتِ بِالضَّبطِ، وَسطَ خَليجِ الظِّلِّ، قَالَتْ فَاطِمَةُ. لَديهِ مَتجَرٌ لِبيعِ التُّحفِ القديمَةِ هُنَاكَ.

– الرَّجلَ الَّذي يرتدي البيريه! قَال تشارلز بِصوتٍ عَالٍ لَاإراديٍّ . لَنْ يَجدَا أَيَّةَ صُعوبَاتٍ في العثورِ عَليهِ ثَانيَةً .

ضَحكَتْ فَاطِمةُ .

– روبرت يَرتدِي بيريه دَائِمًا تَقريبًا لِذلِكَ أَظنُّ أَنَّكُمَا عَلَى حَقٍّ ، قَالَتْ .

لَكنَّ هُنَاكَ أَمرًا مَا لَا بُدَّ لِتشارلز مِنْ مَعرفَتِهِ ، أَمرًا أَهمَّ بِكثيرٍ .

– هَل أَنتِ مُتأكدةٌ منَ الأمرِ الآخَرِ الَّذي قُلتِهِ سَابِقًا؟ قَالَ . هَلْ أَنتِ مُتأكِدةٌ مِنْ أَنَّ المُنتقمَ هُو المسؤُولُ عَنِ اختفَاءِ ذَلكَ الصَّبيِّ؟

– مُتأكِدَةٌ إِلى أَقصى حَدٍّ ، قَالَتْ فَاطِمَةُ .

نَظرَ تشارلز بِحذرٍ إِلى بُوني .

– لَكنَّنَا . . . ، قال . لكنّنا سمعنا أَنَّ مَنْ فَعلَ ذَلِكَ هُوَ ربَّمَا شَخصٌ آخَرُ . إِنَّ الفَاعِلَ رُبَّمَا رَحَلَ لتَوّه حدًا .

لَمْ يَرغَبْ بِالإفصَاحِ عن اسم بول ، لكنَّهُ رأى أَنَّ بوني فَهمَتْ مَا يَقصُدُ .

– قَدْ يكونُ ذَلِكَ صَحيحًا جدًا ، قَالَتْ فَاطِمةُ . لَا بُدَّ مِنْ أَنَّكُمَا تُدركَانِ أَنَّ المنتقمَ ذَا الرَّأسِ المفقُود لَا يَأخُذُ ضَحايَاهُ بِنفسِهِ . لَديهِ مَنْ يُساعِدُهُ فِي خَليجِ الظِّلِّ . لَديهِ هُناكَ مُساعِدَانِ اثنَانِ ، لَا أَكثرُ وَلَا أَقلُّ .

فتَحَ تشارلز فَاهُ مَذهولًا . مُساعدَانِ! هَذَا هُوَ الخَيطُ الَّذي يَربِطُ أَطرَافَ الحكَايَةِ إِذًا . بُول هُوَ مُساعِدُ المنتَقِمُ . لَكنْ مَن هُوَ المُساعِدُ الآخَرُ إِذًا؟

– بَدأْتُ أَشعرُ أَنَّ هَذِهِ الحِكايَةَ مُرعِبَةٌ جِدًا ، قَالَتْ بُوني .

– لِأَنَّهَا حِكَايَةٌ مُرعِبَةٌ لِلغَايَةِ فِعلًا ، قَالَتْ فَاطِمَةُ .

بِالكَادِ وَجدَ تشارلز مَا يَكفِي مِنَ الجُرَأةِ كَي يَنظُرَ إِليهَا . لَكنَّهُ شَعرَ أَنَّهُ مُجبَرٌ عَلَى سُؤالِهَا :

– لِمَاذَا لَا تَفعَلينَ شَيئًا حِيالَ الأمْر؟

خَيَّمَ الظَلامُ على عَينَيَ فَاطِمَةَ .

– مَاذَا تَعنِي؟

– لِمَاذَا لَا تُحاوِلِينَ إنقاذَ النَّاسِ في خَليجِ الظِّلِّ؟ قَالَ تشارلز .

– لِأنَّنِي لَا أَظنُّ أنَّ ذَلِك مُمكِنٌ ، قَالَتْ فَاطِمَةُ بِهدُوءٍ . وَلَو حَاوَلْتُ لَصدَّقَتْ قِلَّةٌ قليلَةٌ مِنهُمْ فَقَطْ مَا أَقُولُ . لَقَدْ سَمِعْتَ بِنفْسِكَ النَّاسَ يَتحدَّثُونَ في القَريَةِ عَنِ الأَمرِ . وَاعلَمْ أَنَّ هُنَاكَ مَن رَأَى المُنتَقِمَ ذَا الرَّأسِ المَفقُودِ بِأمِّ عَينِهِ ، لَكنْ يَبدُو أَنَّ ذَلِكَ لَيسَ كَافِيًا . لَا يُمكِنُ إِيقَافُ المنتَقِمِ عَنْ تَحقِيقِ مَآربِهِ .

أَتى طَيرٌ مُحلِّقٌ ، ثُمَّ طَارَ بِسرعَةٍ أَكبر ، وَعَلى عُلوٍّ مُنخَفِضٍ فَوقَ رُؤوسِهِم .

خَفضَ تشارلز رَأسَهُ حِينَ اقتربَ الطَّيرُ مِنهُ كَثيرًا .

– عَليكُمَا أَنْ تُغادِرَا الآنَ ، قَالَتْ فَاطِمَةُ بِسرعَةٍ . وَإِلَّا سَيفوتُكُمَا مَوعِدُ الحَافِلَةِ .

نَعقَ الطَّيرُ ، وَطَارَ بِاتِّجاهِ شَجرَةٍ عَلَى مَسافَةٍ قَريبةٍ مِنهُم .

قَامَ تشارلز وبوني مِنْ مَكَانِهما مُسرِعَين .

– مَا بِهِ؟ قَالَتْ بوني ، وَنَظرَتْ إِلى الطَّيرِ .

– لَا شَيءَ في أَغلَبِ الظَّنِ ، قَالَتْ فَاطِمَةُ . لَكنْ لَا أَحدَ يعرِفُ وَلَا أَحدَ يَتمتَّعُ بِالأَمَانِ كُليًا حِينَ يَتحدَّثُ عِنِ المنتَقِمِ . عَليكُمَا أَنْ تَتذكَرَا

ذَلِكَ . يَجبُ عَليكُمَا تَوخِي الحَذرِ .

تَوقَّفَتْ لِثوَانٍ مَعدودَةٍ ثُمّ تَابَعتْ :

– لَا تَبحثَا عَنْ مُساعِدَي المُنتَقِم . فَهمُا خَطيرَانِ جِدًّا . غَادِرَا خَليجَ الظِّلِّ وَصخرَةَ النُّسورِ في أَسرَعِ وَقتٍ مُمكِنٍ! وَعليكُمَا أَنْ تَصطَحِبَا جَدَّتَكمَا أَيضًا . هُنَاكَ خَطرٌ عَظيمٌ يُحدِقُ بِ .

الفَصلُ الرّابع عَشَرَ

مَرّتِ الحَافِلَةُ وَأعَادَتهُمَا إلى خَليج الظِّلِّ. التزَمَتْ بوني وتشارلز الصَّمتَ تَمامًا أثناءَ طَريقِ العودَةِ. لَمْ تَكفَّ بوني عَنِ التَّفكيرِ بِمَا قَالتهُ فَاطِمَةُ. مَنِ الَّذي قَرَّر فِعلًا إطفَاء نُورِ المنارَةِ في الليلَةِ الَّتي تُوفِّي فيهَا المنتَقِمُ؟ مَا مُحتَوى الصُّندوقِ الَّذي أُوكِلَتْ إليهِ مُهمَةُ إحضَارِهِ مِنَ الجَزيرَة؟ وَمَنْ هُمُ المُساعِدَانِ اللذَانِ يُقدِّمانِ لَهُ يدَ العَونِ في تنفيذِ الانتقَام؟

بول هُوَ أحدُ المُساعِدَينِ، بُوني مُتأكِدَةٌ مِنْ ذَلكَ تَقريبًا. لَكِنَّ المُساعِدَ الثَّاني قَد يَكونُ أيَّ شَخصٍ. وَهذا أمرٌ مُرعِبٌ لِلغايَةِ. مَاذا لَو كَانَ المُساعِدُ الآخرُ هُوَ...

امتنَعَتْ بوني عَنِ التَّفكِيرِ بِالأمرِ. لَا، هَذَا غَيرُ مُمكِنٍ. غَيرُ مُمكِنٍ عَلَى الإطلَاقِ. لَيس مسمُوحٌ لَهَا أَنْ تفكِّرَ عَلى هَذَا النَّحوِ إطلَاقًا.

غَيرَ أنَّهَا فَكَّرتْ أكثرَ فَأكثرَ بِالمنتَقِم. بِمَا قَدْ يَحدُثُ لَو لَمْ يُوقِفْهُ أَحدٌ عَنْ مُتابَعَةِ مَسيرَةِ الانتقَامِ. وَمَاذَا لَو تَابَعَ مَسيرَةَ الانتقَامِ وَالثَّأرِ تِلكَ إلى الأبدِ؟

دَخلَتِ الحافِلَةُ إلى قَريَةِ خَليجِ الظِّلِّ وَتوقَّفَتْ أمامَ الواجِهَةِ الزُّجاجيَّةِ لِمتجَرِ التُّحَفِ. كانَ تشارلز عَلَى حَقٍّ فِيمَا يَتعلَّقُ بالبيريه الَّتي ارتدَاهَا الرَّجلُ. لَقَدْ أَدرَكَ أَهميَّتَهَا. وَهُمَا يَعلمَانِ الآنَ السَّببَ الَّذي مَنحهَا تِلكَ الأهميَّةَ؛ لِأنَّ الرَّجلَ الَّذي ارتدَى البيريه ظَهرَ فِي اللوحَةِ؛ لأَنَّهُ جُزءٌ مِنْ عَائِلَةِ رووس، وَلأنَّه يَعلَمُ أَكثرَ بِكثيرٍ مِمَّا تَظاهَرَ بِمعرفَتِهِ.

المتجَرُ مُغلَقٌ وَأنوارُهُ مُطفَأَةٌ. وَهنَاكَ لَوحَةٌ صَغيرةٌ مُعلَّقَةٌ عَلى البَابِ، كُتِبَ عَليهَا:

«سنَعودُ غَدًا»

تَحقَّقتْ بوني مِن الموعد الَّذي يَفتَحُ فِيهِ المَتجَرُ أَبوابَهُ؛ العاشِرةُ صَباحًا. سَتكونُ عِندَهَا هُناكَ، برفقة تشارلز.

سَارَا بِاتِّجاهِ صَخرَةِ النُّسور.

– أَينَ الطِّفلَ المُختَفي، في اعتقادك؟ قالَتْ بوني.

– لَستُ أَدرِي، قَالَ تشارلز. أو ماذا تَعنينَ بِأينَ؟ لَا بُدَّ مِنْ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ.

رَكلَ حَجرًا صَغيرًا مِنْ عَلَى الطَّريقِ، وَجَعَلَهُ يَطيرُ فِي الهَواءِ.

اقشعرَّتْ بُوني عِندَ سَماعِهَا مَا قَالَ.

– لَكنَّهم لَمْ يَجدُوهُ بَعدُ، قَالتْ.

لَمْ يُجِبْهَا تشارلز.

– هَلْ تَظنُّ أَنَّ جَدَّتي فيفيان تَعرِفُ كُلَّ هَذَا؟ قَالَتْ بوني.

– لَا بُدَّ مِنْ أَنَّها سَمِعَتْ شَيئًا مِنْ هَذَا القَبيل، قَالَ تشارلز.

تَمنَّتْ بوني لَو أَنَّهُمَا استَطَاعَا البَقَاءَ فَترةً أَطولَ عِندَ فَاطِمةَ، لَكنَّهَا

قَالَتْ إِنَّهَا لَا تَعرِفُ المزيدَ وَطَلَبَتْ مِنهُمَا أنْ يُغادِرَا . عَليهمَا أَنْ يَتحدَّثَا إلى أَشخَاصٍ آخرينَ ، مِثلَ خَالِ فَاطِمَةَ في مَتجَرِ التُّحَفِ . لَمْ تَفهَمْ بوني لِمَاذَا اختَارَ أَنْ يَبقَى في خَليجِ الظِّلِ . فَفِي ذَلِكَ ضَررٌ يَلحَقُ بالجَميعِ ، بِمَا فيهِم هُوَ أيضًا .

سَمِعَا فَجأةً صَوتًا عَميقًا يَقولُ :

– هَلْ قَضيتُمَا وَقتًا سَعيدًا قَبلَ ظُهرِ اليوم؟

التفَتَ كُلٌّ مِن بوني وتشارلز لِيجدَا بُول وَاقفًا أمامَهُمَا .

خَافَتْ بوني إِلى دَرجَةٍ جَعلتهَا عَاجِزَةً عِنِ النُّطقِ .

– أَجلْ ، شُكرًا ، تَلعثَمَ تشارلز .

منذُ مَتى بُول هُنَاكَ؟

هَل يَعلَمُ يَا تُرى أَنّهمَا كَانَا في أونغسريد؟

– جَيِّدٌ جِدًا ، قَالَ بول .

ثُمَّ سَارَ في طَرِيقِهِ ، مَارًا بِهِمَا ، مِن دُونِ أَنْ يَنطُقَ بِكلمَةٍ .

تَنفَّستْ بُوني الصُّعدَاءَ ، لَكنْ للحظَاتٍ قَصيرَةٍ فَقط . ثُمَّ دَبَّ فِيهَا الخَوفُ ثَانيةً ؛ لِأَنَّهَا عَجِزَتْ عَنْ أَنْ تَكُفَّ عَنِ التَّفكيرِ بِمساعِدَيّ المُنتَقم . أَدرَكتِ الآنَ مَعنَى الحَديثِ الَّذي دَارَ بينَ أَلبا ودوغلاس . لَقدْ كَانَا مُحقَّانِ تَمَامًا ؛ بُول رَجلٌ خَطيرٌ لِلغايَةِ . تُريدُ بُوني الآنَ مَعرفَةَ أَمرٍ وَاحِدٍ لَا غيرَ ؛ مَن هُوَ المسَاعِدُ الثَّاني لِلمنتَقم؟

لَمْ يسرَّ أَحدٌ بَعودَتِهمَا إِلى البيتِ كَما سُرَّ فيني . رَاحَ يَنْبحُ وَيَعوي حَتَّى كادَ البيتُ يَقعُ تَحتَ وَطأَةِ صوتِهِ . التقَتْ بِهمَا الجَدَّةُ فيفيان عِندَ البابِ .

– أَينَ كُنتُمَا؟ قَالَتْ بِصوتٍ مُفعَمٍ بِالقلَقِ . ظَنَنْتُ أَنَّكمَا ذَهبْتُمَا لِلتَمشِّي قَليلًا في القَريَةِ .

وَضَعتْ بُوني يَديهَا في جَيبَيّ بِنطَالِهَا تَحتَ وَطأةِ الخَجَلِ .

– جَلسْنَا في مَقهًى وَتناولْنَا شيئًا مِنَ الحلوَى ، قَالَتْ . أَرجُو أَنْ تُسامِحينَا . لَقدْ مَرَّ الوقتُ وَنسينَا أَنْ ننظرَ إلى السَّاعَةِ .

هَزّتِ الجدَّةُ فيفيان رأسَهَا .

– سَنقومُ يومَ غَدٍ بنشاطٍ مَا مَعًا ، قَالَتْ بِصوتٍ حَازِمٍ . لَا يُمكِنُ أَنْ تَمرَّ هَذهِ الفترَةُ عَلَى هَذَا المنوال سَوفَ تعودَانِ إلى بيتِكُمَا في وَقْتٍ قَريبٍ .

لَقَدْ مَرّتِ الأَيّامُ بِسرعةٍ . مرّتْ بِسرعَةٍ رَهيبَةٍ .

أَسرَعَتْ بُوني برفقَة تشارلز إلى الطّابقِ العلويِّ . دَخلَا غُرفَةَ تشارلز ، وَأغلَقَا البابَ خلفهمَا

هُناكَ فِكرَةٌ ظَلَّتْ عَالقَةً في رأسِ بوني . فكرةٌ جيدَةٌ وَسيِّئةٌ في آنٍ مَعًا . هي ربَّمَا فِكرَةٌ خَطيرَةٌ ، لَكنَّها مُهمَّةٌ أيضًا . إنَّهَا ترفُضُ العودَةَ إلى البيتِ قَبلَ أَنْ تُصبحَ الجَدَّةُ فيفيان في أمانٍ . ليسَ لَديهَا ثِقَةٌ بِأنْ يَنجحَ كُلٌّ مِن ألبا ودوغلاس في التَّغلُّبِ عَلَى الظُّروفِ كُلِّهَا بِمفرَدَيهِمَا .

– مَاذَا لَو أَنَّ ذَلكَ الصَّبيَّ الصَّغيرَ مَازالَ عَلَى قَيدِ الحياةِ؟ قَالَتْ بوني . مَاذَا لَو كَانَ مُختَفيًا وَليسَ مَيتًا؟ أَعني أَنَّهُ قَدْ يَكونُ أَسيرًا في مَكانٍ مَا .

تَأمَّلَهَا تشارلز .

– مَا الَّذي تُريدينَهُ حَقًا؟ قَالَ .

تَنفَّسَتْ بوني بِعمْقٍ .

– عَلينَا أَنْ نَفعلَ كَمَا قَالَتْ أَلبا وَكَمَا قَالَ دوغلاس ، قَالَتْ . عَلينَا أَنْ نُخرِّبَ العملَ الَّذي يقومُ بِهِ بُول والُمساعِدُ الثَّاني ، وَعلينَا أَنْ نَجِدَ سِفان ، ثُمَّ عَلينَا أَنْ نُوقِفَ المنتَقِمَ عَنْ مُتَابَعَةِ مَسيرَةِ الانتقَامِ .

الفَصلُ الخَامِس عَشَرَ

لَمْ يَكنْ فِهمُ تَفكيرِ بوني صعبًا . إنْ عَثَرَا عَلَى الطِّفلِ المُختَفي ، وَنجَحَا في رَدعِ المُنتَقِمِ ، سَتنعَمْ قريةُ خليج الظِّلِّ بالأمَانِ ، وَعندَهَا لَنْ تُصَابَ الجَدَّةُ فيفيان بمكرُوهٍ .

لَكنْ كَيفَ لَهمَا أنْ يقوما بذلك؟

لَقدْ فَكَّرَ تشارلز بذلك كثيرًا . طوال فترةِ ما بَعدَ الظُهرِ حتَّى مُنتَصفِ الليلِ أوَّلًا ، ثُمَّ طَوالَ فترَة صباح اليوم التَّالي . تَقلَّبَ في سَريرِه . لَمْ يَكنْ مُتعوِّدًا عَلَى القلَقِ والسَّهرِ . بَلْ كانَ تشارلز دَائِمًا يَتمتَّعُ بِنومٍ مُريحٍ . بوني هِي الَّتي اعتَادَتْ عَلَى السَّهرِ والنَّشاطِ أثنَاءَ الليلِ .

تَناوَلَا وَجبَةَ الفطورِ عِندَ الثَامنةِ صَباحًا بِصحبَةِ الجَدَّةِ فيفيان الَّتي كَانَتْ تَتَمتَّعُ بِمزاجٍ رَائِعٍ .

– خَطرَ لي أنَّنا نَستَطِيعُ الذَّهَابَ إلى الميناءِ وَتناوُلِ وَجبَةِ الغَدَاءِ هُناكَ اليومَ . قَالَتْ . مَا رَأيكُمَا بِذلِكَ؟

– جَيِّدٌ ، قَالَتْ بوني .

أومَأ تشارلز برأسِهِ مُوافِقًا .

رَنَّ عندَهَا جَرسُ الهَاتِفِ .

– بِحقِّ السَّمَاءِ ، مَنِ الَّذي يَتَّصلُ في هَذَا الوقتِ المبكِّرِ؟ قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان .

– أَبي بِالتَّأكيدِ ، قَالَ تشارلز .

وَقَدْ كَانَ عَلَى حقٍّ . أجابت الجَدَّةُ فيفيان ، وَنَاوَلَتْ تشارلز سَمَّاعَةَ الهَاتِفِ بَسرعَةٍ .

– كَيفَ حَالُكُم؟ قَالَ وَالدُهُ .

– بخير ، قَالَ تشارلز .

– جَميلٌ ، جَميلٌ ، قَالَ والدُهُ .

لَمْ يَعدْ صَوتُهُ يَتَّسمُ بِالغضَبِ ، بَلْ إِنَّهُ أَقرَبُ إِلى الحُزنِ . تَمَنَّى تشارلز لَوْ أَنَّ وَالدَهُ لَمْ يتَّصِلْ .

– مَاذَا تَفعلَانِ خِلالَ النَّهارِ؟

– نَفعلُ أَشياءَ كثيرةً ، قَالَ تشارلز .

– سَوفَ نَلتَقي قَريبًا . سَآتي بَعدَ يَومِ غَدٍ لِأعيدَكُمَا إِلى البيتِ ، قَالَ .

تَجمَّدَ تشارلز في مَكانِهِ لِأنَّهُ لَا يريدُ فِعلًا العودَةَ إِلى البيتِ . إِذَا اضطرَّا إِلَى مغادَرَةِ خَليجِ الظِّلِّ ، سِيغَادِرَانِ إِلى مَكانٍ آخرَ ، وَليسَ إِلى البيتِ .

– لَستَ أَنتَ صَاحِبَ القَرَارِ في هَذَا الأَمرِ ، قَالَ .

تَعجَّبَ وَالدُهُ لِمَا قَالَهُ .

– هَل بوني هِيَ مَنْ عَلَّمتكَ أَنْ تقولَ كَلامًا قَاسيًا كَهذَا؟ قَالَ . أَنَا صَاحِبُ القَرارِ طَبعًا! لَا تستطَيعُ فيفيان الاعتنَاءَ بِكُمَا لِأكثرَ مِنْ أُسبوعٍ

وَاحِدٍ فَقَطْ . عَليكُمَا أَنْ تَعودَا إِلى البيتِ بَعدَ ذَلِكَ ، حَالًا .

هَزَّ تشارلز رأسَهُ مُعترِضًا . نَظَرَتْ بوني إِليهِ بِقلَقٍ .

– تَستطِيعُ أَنْ تأتي كَما تُرِيدُ ، قَالَ تشارلز . لَكنَّا لَنْ نعودَ مَعكَ إِلى البيتِ . لَيسَ قَبلَ أَنْ تَعدُلَا عَنْ فِكرَةِ الانتِقَالِ إِلى لَندُن .

تَنهَّدَ وَالدُهُ .

– كُفَّ عَنْ هَذَا كُلِّه الآنَ . أَنتُمَا أَكبرُ سِنًا الآنَ ، وَلَا يَجوزُ أَنْ تَتفرَّغَا لِهذِهِ التَّصرُّفَاتِ الطُّفولِيَّة .

– صَاحِبُ التَّصرُّفات الطُّفولِيَّةِ هُوَ أَنتَ ، قَالَ تشارلز . لَا تَأْتِ إِلى هُنَا . لَا أُرِيدُ اللقاءَ بِك ثُم أنهى الْمُكالَمَةَ .

كَانَ جِسمُهُ كُلُّهُ يرتجِفُ . بدتْ عَلامَاتُ الإِعجَابِ جَلِيَّةً عَلى مَلَامح بوني .

– لَقَدْ عَالجْتَ الموقِف بطريقةٍ أنيقةٍ! قالتْ

أَمسَكَتِ الجَدَّةُ فيفيان بفنجان القهوة بيديها الاثنتين .

– عَليكَ أَنْ تُعامِلَ وَالدكَ بقدرٍ أكبر منْ رباطة الجأشِ ، قالَتْ .

– إِنَّهُ معتُوهٌ ، قَالَ تشارلز بغضب .

– لَا ، ليسَ معتُوهًا بِالطَّبعِ .

– لَا بَل هُوَ مَعتوهٌ بِالتَّأكيدِ ، قالتْ بوني .

– لَا ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . هُوَ لَيسَ مَعتُوهًا . إِنَّهُ حَزينٌ وَيعَاني تَحتَ وَطأَةِ الضُّغُوطَاتِ . هَذَا أَمرٌ مُختَلِفٌ تمَامًا .

عَمَّ الصَّمتُ فِي المطبَخِ . تَناوَلَ تشارلز رقَائِقَ الذُّرَةِ وَالحبُوبِ مَع الحليبِ ، وَتَنَاوَلَتْ بُوني شَطيرَتَهَا . فَكَّر تشارلز بِوالدَتِهِ . لَقَدِ اعتَادَ عَلى التَّفكِيرِ بِهَا

مَرَّاتٍ عَديدَةٍ يَوميًا ، وَفكَّرَ بِهَا أَكثرَ كُلَّمَا تصرَّفَ وَالدُهُ بِحمَاقَةٍ . لَقدْ تَغيَّرَ وَالدُهُ كَثيرًا بَعدَ مَوتِ وَالدَتِهِ . صَارَ أَكثرَ جَديَّةً ، وَيكادُ لَا يَضحَكُ أَبدًا مُنذُ ذَلِكَ الحينِ .

سَارَ فيني مُتهادِيًا ، وَاستَلقَى عند أَقدامِهِمْ .

– إِنَّهُ يُحبُّكُما ، قَالَت الجَدَّةُ فيفيان وابتسمَتْ .

ربتَتْ بوني عَلَى ظهر فيني .

تَعالَى صَوتُ صفيرٍ في الحديقَةِ . نظر تشارلز من النَّافِذَةِ . دوغلاس هُوَ الَّذي صَفرَ . لَقدْ فكَّرَ تشارلز بِهِ وَبِألبا كثيرًا أَثناء الليلِ . لِماذَا يَعرِفُ هَذَانِ الشَّخصَانِ بِالذَّاتِ الكثيرَ عَنْ بول؟

– مُنذُ مَتى يَعمَلُ دوغلاس وألبا هُنَا؟ سَألَ .

– مُنذُ زَمنٍ بَعيدٍ ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . لَقدْ جَاءَا بَعدَ مُرورِ أَقلِّ مِنْ أُسبوعٍ عَلَى انتقَالِي إِلى المنزِلِ ، وَقَدْ مَرَّ عَلَى ذَلِكَ مَا يزيدُ عَنْ خَمسَةٍ وَثلاثينَ عَامًا .

كَادَتْ بوني تَغصُّ بِلُقمَةٍ مِنْ شَطيرَتِهَا .

– عَن خَمسَةٍ وَثلاثينَ عَامًا! إِنَّهَا فَترَةٌ زَمنيَّةٌ طَويلَةٌ جِدًا!

– نَعم ، فِعلًا ، قَالَتِ الجَدَّةُ .

لَوَّحَ فيني بِذيلِهِ الَّذي رَاحَ يَرتَطِمُ بِقدَمي تشارلز .

– لِماذَا جَاءَا إِلى هُنَا بِالذَّاتِ؟ قَالَ تشارلز . أَعنِي ، أَينَ كَانَا يَسكُنَانِ قَبلَ مَجيئِهِمَا إِلى هُنَا؟

هَزَّتِ الجَدَّةُ فيفيان كَتفَيهَا .

– أَظنُّ أَنَّهمَا جَاءَا مِنْ سفارتهيد ، قَالَتْ . إِنَّهَا قَريَةٌ تَقعُ عَلَى مَسافَةٍ

مِئَةِ كيلومترٍ مِنْ هُنَا تقريبًا ، لَكنِّي لَا أَذكرُ الكثيرَ مِنَ التَّفاصِيلِ . أَعلَمُ أَنَّ أَحدًا مَا أَخبرَهُمَا بِأَنّني بِحاجَةٍ إِلى مُساعِدَينِ هُنَا في صَخرَةِ النُّسورِ . لِذلِكَ أَسرَعَا بِالمجيءِ حَتَّى لَا يَسبقَهُمَا أَحدٌ . لَمْ أَجدْ مُتَّسعًا مِنَ الوقتِ كَي أَضعَ إِعلَانًا في الصَّحيفَةِ بِخصوصِ الوظيفَتينِ . لَقَدْ كَانَا سَريعينِ لِلغَايَةِ .

حَكَّ تشارلز رأسَ فِيني خَلفَ أُذُنَيهِ .

– مَاذَا كَانَا يَعمَلانِ في سفارتهيد؟ قَالَ .

فَكَّر أَنَّهمَا مِنَ الشُّرطَةِ رُبَّمَا ، وَهَذَا يُفسِّرُ قُدرَتَهمَا عَلَى اكتشَافِ أَمرِ رَجلٍ مُحتَالٍ مِثل بول .

– أَظنُّ أَنَّهُمَا كَانا يعملان في مَصْنَعٍ ، قَالتِ الجَدَّةُ فيفيان .

يَا لِسوءِ الحَظِّ . لَيسا من الشُّرطَةِ .

– مَصنَعُ مَاذَا؟ قالتْ بوبي

الفُضُولُ يَعتريهَا أَيضًا بخصوص ألبا ودُوغلاس .

استغرَقَتِ الجَدَّة فيفيان بالضّحك .

– يَا لِهذَا العَدَدِ الكَبير من الأسئلَة ، قَالَتْ . مَا الَّذي يَجعلُكُمَا تَهتَمَّانِ إلى هَذَا الحَدِّ بِأَمرِ أَلبا ودوغلاس؟

هَزَّ تشارلز كَتفَيهِ .

– لِأنّنا لَا نَعرفُهمَا ، قَالَ . لكنَّهمَا يُعامِلانِنَا بلطفٍ بَالغٍ .

هَذَا أَقلُّ مَا يُمكِنُ قَولَهُ ؛ لِأَنَّ أَلبا تَطهُو طَعامًا لَذيذًا جِدًّا كُلَّ يَومٍ مُنذُ قُدومِهمَا . وَيبدُو دوغلاس سَعيدًا وَلطيفًا دَائِمًا .

أَمالَتِ الجَدَّةُ فيفيان رأسَهَا .

– أَتذكَّرُ الآنَ بِالضَّبطِ كيفَ حَدَثَ ذَلِكَ ، قَالَتْ . جَاءَا مِنْ سفارتهيد

بَعدَمَا أُقْفِلَ المَصنَعُ هُنَاكَ . كَانَ مَصنعًا لِلشمُوعِ . لَقدْ حَالفهُمَا الحَظُّ ؛ لِأنَّ إِقفَالَ المصنَعِ حَدثَ فِي الوقتِ الَّذي احتجْتُ فيهِ لِمساعِدَينِ .

مَدَّتْ يَدَهَا لِتمسِكَ بِإبريقِ القَهوَةِ .

– هَلْ لَديكُمَا المزيدُ مِنَ الأسئلة؟ قَالَتْ .

– لَا ، قَالَ تشارلز وبوني في آنٍ معًا

نَدِمَ تشارلز لِثوانٍ معدودةٍ . مِنَ الأفضَلِ أَنْ يُتابِعَ طَرْحَ مَا لَدَيهِ مِنْ أَسئِلَةٍ طَالَمَا سنَحَت الفرصَةُ لِذلِكَ الآنَ .

– وَمَاذَا عَنْ بُولْ؟ قَالَ . هَلْ جَاءَ مِنْ سفارتهيد هُوَ الآخرُ؟

ابتسمَتِ الجَدَّةُ فيفيان .

– لَا ، بُول يَسكُنُ فِي خَلِيجِ الظِّلِّ مُنذُ أَنْ وُلِدَ .

نَظَرَتْ إِلى بوني .

– يُحزِنُني أَنَّكِ لَمْ تَزورِي الإِسطبلَ وَلَو لِمَرَّةٍ وَاحدةٍ حتَّى الآنَ ، قَالَتْ . أَلَا يَروقُ بُول لَكمَا؟

احمرَّتَ وجنتَا كُلٌّ مِنْ تشارلز وبوني .

– بَلَى ، تمتَمَتْ بوني . كُلُّ مَا فِي الأَمرِ هُوَ أَنْ لَا رغبَةَ لَديَّ فِي ركوبِ الخَيلِ ؛ لِأَنَّهَا تَجعلُني أُفكِّرُ كثيرًا بِأُمِّي .

اسْتَرَقَ تشارلز النَّظَرَ إليهَا . بُوني نَجْمَةٌ سَاطِعةٌ فِي سَماءِ فَنِّ الكَذِبِ .

– أُوه ، إِنَّني أَفْهَمُ ذَلِكَ ، قَالَتِ الجَدَّةُ .

أَمسَكَتْ بِفنجَانِ قَهوَتِها .

– إِذَا كَانَ هَذَا مَا تَشعُرِينَ بِهِ فَمِنَ الأفضَلِ أَلَّا تذهَبي إِلى هُنَاكَ ، لَكِنْ تَذَكَّرِي أَنَّكِ تَسْتَطِيعينَ أَنْ تُغيِّري رَأيَكِ مَتى تُرِيدِينَ .

– شُكْرًا ، قَالَتْ بوني بِصوْتٍ مُنخَفِض .

– سَوفَ أَذهَبُ وَأعمَلُ قَليلًا ، وَسَوفَ أَراكُمَا فِي مَا بَعدُ ، قَالتِ الجَدَّةُ فيفيان .

انتَظَرَ كُلٌّ مِنْ تشارلز وبوني إِلى أَنْ صَارَا بِمفردَيهمَا في المطبَخِ .

– سَنهرَعُ إِلى مَتْجَرِ التُّحفِ سُرعَانَ مَا يُفتَحُ بَابُهُ ، أَليسَ كَذلِكَ؟ قَالَتْ بوني .

– بِالطَّبعِ ، قَالَ تشارلز . ثُمَّ عَلينَا أَنْ نَقُومَ بِمَا اقترَحْتِهِ أَنتِ فِي رَأْيِي ؛ عَلينَا أَنْ نَتَحَدَّثَ إِلى ألبا ودوغلاس عَنْ نِيَّتِنَا فِي مُساعَدَتِهمَا . لَنْ نَضطَرَّ عِندَهَا لِلقيامِ بِكلِّ شيءٍ بِأنفُسنا .

أَسرَعَتْ بوني ، وَأومأتْ برأسِهَا إيجَابًا .

– أَنْ نَكونَ مَجموعَةً من أربعة أشخَاصٍ أفضَلُ مِنْ أَنْ نكونَ شَخصَينِ فَقَطْ .

تصفَّحَ تشارلز الجَريدَةَ المُلقاة على طاولة المطبَخ . كَانَتْ فِيهَا مَقالَتَانِ عَنْ مَوضُوعِ اختفَاءِ سِفان . تظُنُّ الشُّرطةُ أَنَّهُ رُبَّمَا تَعرَّضَ لِحادِثَةِ غَرقٍ . لَقدِ اختَفَتْ آثَارُهُ كُلُّهَا عِندَ المِينَاءِ ؛ أيْ حَيثُ يَستطيعُ المنتَقِمُ أَنْ يَرسُوَ بِقارِبِهِ .

اقشَعَرَّ جَسَدُ تشارلز .

مَاذَا لَو رَغِبَ المنتَقِمُ فِي المزيدِ مِنَ الضَّحايَا؟ مَاذَا لَوِ اختَطَفَ مُساعِدَاهُ تشارلز أَو بوني؟ لَنْ يَعرِفَ أَحدٌ عِندَهَا شَيئًا عَنْ مَصيرِهِمَا .

الفَصلُ السَّادسُ عَشرَ

فِي الدَّقيقَةِ الخَامِسَةِ بَعدَ السَّاعَةِ العَاشرَةِ تَمامًا فَتحَ تشارلز وبوني بَابَ مَتجَرِ التُّحفِ . لَمْ يكُنِ البَابُ مقفَلًا لَكنَّ المتجرَ كَانَ خَاليًا مِنَ البَشرِ .

– هَالُو؟ قَالَتْ بوني .

هُناكَ أَغراضٌ مُكدَّسَةٌ فِي كُلِّ مَكانٍ .

خَلعَتْ قُبَّعتَهَا عَنْ رَأسِهَا حَتَّى لَا تقتَربَ مِنْ شَيءٍ وَتطيحَ بِهِ صُدْفَةً . شَعَرَتْ بِالاضْطِرَابِ فَجْأَةً . مَا الَّذِي يَنوِيَانِ قَولَهُ لِروبرت حَقًّا؟ هَلْ يَطلبَانِ مِنهُ الانتقَالَ إِلى خَارِجِ خَليجِ الظِّلِّ حتَّى تَنعمَ القَريَةُ بالطّمَأنينَةِ وَالأَمَانِ؟

لَمْ يَتحرَّكْ تشارلز مِنْ مَكانِهِ قَيدَ أُنْمُلَةٍ . لَا بُدَّ مِن أَنَّهُ يَخشَى أَنْ يَرتطِمَ بِغرَضٍ مَا ، وَيوقعَهُ هُوَ الآخرُ . نَظرَتْ بوني حولَهَا . رَأتْ أَنَّ اللوحَةَ الَّتي تُجَسِّدُ صَخرَةَ النُّسورِ قَدِ اختفَتْ مِنْ مَكَانِهَا .

– هَالُو؟ قَالَتْ بوني ثَانِيَةً .

أَخيرًا ، أَجابَهَا روبِرت الَّذي كَانَ يَقفُ خَلفَ مَكتَبَةٍ ضَخمةٍ . وَلَمْ يرتدِ البيريه هَذِهِ المرّة .

– مَاذَا؟ هَلْ عُدتُمَا؟ قَالَ بِهدُوءٍ .
لَقَد عَرفَهُمَا لِحسنِ الحَظِّ ، لكنَّهُ لَمْ يَبدُ سَعيدًا لِرؤيَتِهمَا .
– مَرحَبًا ، قَالَتْ بوني ، ثُمَّ سَألَت ، كَي تَتَأكَّدَ وَحَسْبُ :
– أَنتَ روبرت ، أَليسَ كَذلِكَ؟
رَفعَ الرَّجلُ حَاجبَيهِ تَعجُبًا .
– بَلَى ، قَالَ . كَيف أَستَطِيعُ مُسَاعَدَتكمَا؟
ابتَلَعَتْ بوني رِيقَهَا . لَمْ تتفِقْ هِي وتشارلز عَلَى مَا يُريدَانِ قَولَهُ .
– لَقَد التقينَا بأحد أقربائكَ البَارِحةَ ، قَالَت بوني بِصوتٍ مُنخَفضٍ .
لَقدِ التقَينَا بِفَاطِمَة ؛ لذلك نعرفُ الآنَ مَنْ أَنتَ .
وقفَ روبرت في مكانه لبرهةٍ وراحَ يَنظرُ إليهمَا . ثُمَّ سَارَ بعدَ ذَلِكَ بِخُطًى طَوِيْلَةٍ نَحوَ البَاب . أطلَّ برأسه إلى الخارج ، نظَرَ يُمنَةً وَيُسرَةً قَبلَ أَنْ يُغلِقَ البَابَ ثُمَّ يُقفلَهُ . وضع بعد ذلك لافتةً وَرَاءَ الوَاجِهَةِ . قَرأَتْ بُوني مَا عَليهَا مِنْ كَلمَاتٍ :
– «مُغلَقٌ . . . سَنعودُ بعد قليلٍ .»
عَادَتْ خُطوَةً إِلى الورَاءِ مُبتعِدَةً عَنْ روبرت . هَا هُمَا الآنَ ، وَحيدَينِ مَعَهُ في مَتجَرٍ مُقفَلٍ . وَلا أَحد يعرفُ مَكانَهمَا .
– مَا الَّذي تُريدَانِ مَعرفَتَهُ؟ سَألَ روبرت .
وقَفَ بِالقربِ مِنَ المَكتَبَةِ ثَانِيَةً . بَدَى الخَوفُ وَاضِحًا عَلَى مَلامِحِهِ .
استَرَقَتْ بوني النَّظَرَ إِلى البَابِ بِنظرَةٍ مُضطَرِبَةٍ .
– لِمَاذَا أَقفَلْتَ البَابَ؟ قَالَتْ .
– لِأنَّه لَا أَحد مِن سُكَّانِ القَريَةِ يَعرِفُ إِلى أَيَّةِ عَائِلَةٍ أَنتَمِي ، قَالَ

روبرت . وَأُرِيدُ أَنْ يَبقَى الأمرُ كَذلِكَ . لَقَدْ تَركَ كُلُّ أَفرَادِ عَائِلَةِ رُووس خَلِيجَ الظِّلِّ . أمَّا أنَا فَأُرِيدُ البَقَاءَ هُنَا .

سَرحَتْ أصابعُ بوني فوقَ قُمَاشِ قبَّعَتِهَا .

– قَالَتْ فَاطِمَةُ إنَّ النَّاسَ يَعتقدُونَ بأشْيَاءَ غَرِيبَةٍ تَتعلَّقُ بِعَائِلَتِكُمَا ، قَالَتْ بِصوتٍ مُنخَفِضٍ . وَفاطِمَةُ تَعتَقِدُ بتلكَ الأشَياءِ أيضًا .

– هَذَا بِالضَّبطِ مَا تَفعَلُهُ هي والآخَرُون . يَعتقِدُونَ وَيتوهَّمُونَ أشياءَ لَا تَمتُّ لِلوَاقِعِ بِصلَةٍ . وَأنَا أَرفضُ تمامًا التَّصرُّفَ تبعًا لِتلكَ الحَمَاقَاتِ . أَلَا تَرَيَانِ أَنَّهُ مِنَ الواضِحِ تَمامًا أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مُجرَّدُ افترَاءَاتٍ؟

– أَنتَ لَا تُؤمِنُ بِحكَايَةِ المنتَقِم ذِي الرَّأسِ المَفقُودِ إِذًا؟ قَالَ تشارلز . ارْتَجَفَ صَوتُه قَليلًا حِينَ قَالَ ذَلِكَ .

– لَا ، قَالَ روبرت . لَا يُوجَدُ أَشبَاحٌ بِلَا رؤوسٍ إلَّا في الأَسَاطِيرِ . لَكنْ في الحَقِيقَةِ لَا يَهمُّ إِطلَاقًا مَا أعتَقِدُ ؛ لِأنَّني لَا أَنوِي أَبدًا تَحمُّلَ مَسْؤوليَّة عَمَلٍ لَمْ أَقُمْ بِهِ .

– هَلْ تَعلَمْ مَنِ الَّذي أَطْفَأَ ضَوْءَ المَنَارَةِ في الليلَةِ الَّتي تُوفِّي فِيهَا المنتَقِمُ؟ قَالَ تشارلز .

– لَا ، قَالَ روبرت . وَاسمُه لَيسَ المنتقِمَ بَلْ أولف .

– لَكِنْ هَلْ تَظُنُّ أَنَّ الفَاعِلَ كَانَ مِنْ أَقربَائِكَ؟

– لَا يُمكِنُ مَعرِفَةُ ذَلِكَ ، قَالَ روبرت وَتنهَّدَ . وَفي الحَقِيقَةِ ، رُبَّمَا كَانَ الأمرُ مُجرَّدَ حَادِثَةٍ . كُلُّ مَا نَعرِفُهُ هُوَ أَنَّ حَارِسَ المَنَارَةِ أيضًا اختَفَى في تِلْكَ الليلَةِ . لَكنَّا لَمْ نَحْصَلْ في يَومٍ عَلَى تَفسِيرٍ لِذلِكَ .

– هَلْ كَانَتْ عَائِلَةُ رووس تَعرِفُ المُنتَقِمَ؟ قَالَتْ بوني .

– أُولف ، قال روبرت . وَلَا ، لَا أَظُنُّ أَنَّهم عَرفُوهُ . رُبَّمَا اشتَرُوا مِنهُ السَّمَكَ أحيانًا ، لَكنَّهُ لَمْ يكُنْ مِنَ الأَشخَاصِ الذينَ اعتَادَتِ العَائِلَةُ عَلَى لِقَائِهِم .

فَكَّرَتْ بوني وَفَكَّرَتْ . لَا بُدَّ مِن أَنَّ هُنَاكَ سَبَبًا جَعلَ المُنتَقِمَ يَتَّهِمُ عَائِلَةَ رووس بِإِعَاقَةِ حَارِسِ المَنَارَةِ عَنِ القِيامِ بِعَمَلِهِ .

– كَيفَ حَالُ فَاطمَةَ ، بالمَنَاسَبَةِ؟ قَالَ روبرت .

– إِنَّهَا بِخَيرٍ ، قالَتْ بوني .

حَكَّ روبرت ذَقنَهُ .

– قَلَّمَا نَلتقِيَ أنا وهِي ، قَالَ . إِلَّا فِي المَرَّاتِ الَّتِي أَزورُ فِيهَا أونغسريد .

– أَلَا تُرِيدُ فَاطِمَةُ المجيء إلى هُنا؟

– لَا ، قَالَ روبرت . لَمْ تأْتِ إلى هُنا مُنذُ ثلاثينِ عامًا ؛ أَيْ مُنذُ مَرَاسِمِ دَفنِ عَمَّتِنَا المُسِنَّةِ .

اقْشَعَرَّتْ بُوني عِندَمَا تَذكّرت المقبرةَ في مُنتَزهِ الجَدَّةِ فيفيان وَالقَبرُ الَّذي لَمْ يُكتَبْ عَلَى شَاهِدهِ شيءٌ .

– لِمَاذَا؟ قَالَتْ .

عَادَ روبرت خُطوَةً إِلى الوَرَاءِ ، مِنْ مَا أَثَارَ استغرَابَهَا .

– فِي الحَقيقَةِ ... ، قَالَ . فَاطِمَةُ تُؤمِنُ بِالكثيرِ مِنَ الهرَاءِ . فَهِيَ مُقتَنِعةٌ تَمامَ الاقتِنَاعِ بِحكَايَةِ المنتَقِم . وَيُخيَّلُ إِليهَا أَيضًا أَنَّهَا تَعرِفُ كَيفَ يُمكِنُ العُثورُ عَلَى مَا يُدعَى بِمُسَاعِدَيهِ . أَظنُّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ مَا يَمنَعُهَا مِنَ المَجيءِ إِلى هُنَا .

حَاولَتْ بوني أَنْ تَلتَقِطَ أَنفاسَهَا . لَمْ تَنبَسْ فَاطِمَةُ بِبنتِ شَفَةٍ فِي هَذَا الخُصوصِ .

– عَلينَا أَنْ نَعرِفَ ذَلِكَ أَيضًا! قَالَتْ . عَلينَا أَنْ نَعرِفَ هَوِيَّةَ الأَشخَاصِ المُرعِبينَ!

– انسَي الأمرَ ، قَالَ روبرت . إِنَّنِي لا أُرِيدُ أَنْ تُشيرَ أَصابعُ الاتِّهَامِ إِلى أَشخَاصٍ أَبريَاء . لا أُؤمنُ بِحكايَةِ المُنتَقِمِ أَصلًا . ثُمَّ تَأتي فَاطِمَةُ وَتَدَّعِي أَنَّهَا تَعرِفُ شَخصينِ مِنَ القَريَةِ يُقدِّمَانِ لَهُ يدَ العونِ .

نَظرَ كُلٌّ مِن بوني وتشارلز بِعينَينِ جَاحظَتينِ إِلى الآخرِ .

لِمَاذَا لَمْ تُخبِرْهُمَا فَاطمَةُ بِذلِكَ؟

خطَر لِبوني فِي الحَالِ الأمرُ الَّذِي خَطرَ لَهَا يَومَ أَمسِ ؛ بُول هُوَ أَحدُ مُسَاعِدَي المُنتَقمِ طَبعًا ، لَكنْ مَنِ الآخرُ؟ لَمْ تَستطِعْ بوني أَنْ تَمنَعَ الأفكَارَ السَّيِّئةَ كُلَّهَا مِنَ الظُّهورِ فِي رَأسِهَا هَذهِ المَرَّة .

عَسَى أَلَّا تَكونَ الجَدَّةُ فيفيان هِيَ المُساعِدُ الثَّاني لِلمنتَقِمِ .

الجَدَّةُ فيفيان الَّتي انتَقَلتْ إِلى صَخرَةِ النُّسورِ عَلَى الرَّغمِ مِنْ وجودِ المقبرَةِ فِي المُنتَزهِ . الجَدَّةُ فيفيان الَّتي يَروقُ لَهَا بول عَلَى الرَّغمِ مِنْ أَنَّهُ رَجلٌ لَئيمٌ .

أَوشَكَتْ بوني عَلَى أَنْ تَجهَشَ بِالبكَاءِ .

– مَاذَا لَو كُنتِ عَلَى خَطَأ؟ قَالَ تشارلز . مَاذَا لَو كَانَ مُسَاعِدَا المنتَقِمِ مَوجُودَين وَيشكِّلَانِ خَطرًا حَقيقيًا؟ يَجبُ عَلينَا فِي تِلكَ الحَالِ العثورُ عَليهِمَا .

هَزَّ روبرت رَأسَهُ .

– تَعلمَانِ مَاذَا؟ قَالَ . تَستطِيعَانِ الاتِّصالَ بِفَاطِمَةَ وَالتَّحَدُّثَ إليهَا . تَستطِيعَانِ سُؤَالَهَا عَنْ كَيفيَّةِ العثُورِ عَلَى المُسَاعِدَينِ . وَإنْ لَمْ تُرِدْ إخبَاركُمَا بذلِكَ ، عَليكُمَا عِندَهَا التَّوقفَ عَنِ الإلحَاحِ .

أَومَأَ كُلٌّ مِنْ بوني وتشارلز برأسِهِ صَامِتًا .

اعتَرَى التَّوترَ بُوني إلى دَرَجَةٍ جَعلَتهَا عَلَى وَشَكِ الانفجَارِ .

عَسَى أَلَّا تَكونَ الجَدَّةُ فيفيان هِيَ المُساعِدُ الثَّاني . تَستَطيعُ بوني أَنْ تَحتَمِلَ فِكرَةَ أَنْ يكونَ أيُّ شَخْصٍ آخرَ مُساعِدًا لِلمنتَقمِ ، إلَّا جدَّتَهَا .

الفَصلُ السَّابِع عَشَرَ

انتَشَرتْ رَائحَةُ فَطيرَةِ التُّفَاحِ في جَميعِ أنحَاءِ المَنزِلِ حِينَ عَادَا إلَيهِ .

– لَقَد خَبزَتْ ألبا ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . سَنَتنَاوَلُ الفَطيرةَ اللذِيذَةَ مَعَ القَهوَةِ حِينَ نَعودُ مِنْ رحلَةِ الغَداءِ .

– رَائِحتُهَا لَذيذَةٌ! قَالَتْ بوني .

أَدرَكَ تشارلز حِينَ سَمِعَ صَوتَهَا أَنَّهَا لَمْ تَعنِ مَا قَالَت . التزَمَتْ بوني الصَّمتَ تَمَامًا تَقريبًا طَوالَ طَريقِ عَودَتِهِمَا مِنَ القَريَةِ . وَفي نِهَايَةِ المَطَافِ أَجبَرهَا تشارلز عَلَى أَنْ تُخبِرَهُ بِمَا شَغَل فكرَهَا ، فَتَمتَمَتْ عِندَهَا شَيئًا عَنْ مَخاوِفِهَا مِنْ تَعاوُنِ جَدَّتِهَا مَع بُول ، عَنْ خشيَتِهَا مِنْ أَنْ تكونَ الجَدَّةُ فيفيان هِيَ المُساعِدُ الثَّاني لِلمنتَقِمِ . فَكَادَ تشارلز عِندَهَا أَنْ يَستغرِقَ في الضَّحكِ . ثُمَّ استعَادَ جِدِّيَّتَهُ .

– مِنَ الوَاضِحِ تَمَامًا أَنَّهَا لَيسَتِ المُساعِدَ الثَّاني ، قَالَ .

لَمْ تُجِبْهُ بوني .

تَاقَ تشارلز لِلقِيامِ بِتلكَ الرِّحلَةِ ؛ لِأَنَّهَا سَتمنَحهُما أُمورًا أُخرَى تُشغِلُ

فِكرُهمَا .

– هَلْ نَتمشَّى إِلَى هُناكَ؟ قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان عِندَمَا وَصلُوا إِلى الدَّرَجِ . أَمْ أَنَّكمَا تُفضِّلَانِ أَنْ نَستقِلَّ السَّيارَةَ؟

كَانَتِ السَّمَاءُ مُلبَّدَةً بِغيومٍ كَثيفَةٍ .

– نَستَطيعُ أَنْ نَتمَشَّى .

وَفَعَلُوا ذَلِكَ . ارتدَتِ الجَدَّةُ فيفيان بِنطَالًا بُرتقَاليَ اللونِ ، وَقميصًا أَبيضَ ، وَقُبَّعةً ، كَما فعلتْ بوني . كَانَ الشَّبَهُ بَينَهَا وَبينَ بوني وَاضِحًا تَمامًا لِلعيانِ أَحيانًا .

– عَلينَا الذَّهَابُ إِلى بيت فَاطِمَةَ ثَانيةً ، هَمَسَتْ بوني لِتشارلز . أَوْ أَنْ نَتَّصِلَ بِهَا . عَليهَا أَنْ تُخبرنا بطريقَة العثورِ عَلَى مُسَاعِدَي المُنتَقِم .

لَمْ يَستغرِقِ السَّيرُ إِلى الميناء وقتًا طويلًا . أَرتهُمُ الجَدَّةُ فيفيان المَكانَ الَّذي كَانَ مَرسًى لِلقَارِبِ الشِّراعيِّ الَّذي امتلكتهُ هي وَجدُّ بوني فِيمَا مَضَى .

– هَذَا هُو مَرسَى قَارِبنَا سابقًا ، لكنْ ذَلِكَ كَانَ مُنذُ زَمنٍ بَعيدٍ .

كَانَتِ الرِّيحُ قَوِيَّةً حيثُ أَجبرت بوني أَنْ تُمسِكَ بِقبَّعَتِهَا بِقوَّةٍ حَتَّى لَا تَطيرَ عَنْ رَأسِهَا .

– مَتَى تُوفِّي جَدِّي؟ قَالَتْ .

– في السَّنَةِ الَّتي سَبقَتْ وِلَادَتَكِ ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان .

نظَرَتْ إِلى البَحرِ طَويلًا . تَسبَّبَتِ الرِّيحُ بِأَموَاجٍ عَاليةٍ عَلَى الشَّاطِئِ .

– كَانَ يَعشَقُ الإِبحَارَ الشِّراعِيَّ ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . مِثل أُمِّكِ تَمامًا .

– هَلْ تُحبُّ أُمِّي الإِبحَارَ الشِّراعيَّ فِعلًا؟ سَأَلَتْ بُوني مُتَعجِّبَةً .

– أَجل ، طَبعًا ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . إِنَّهَا تُحِبُّ المَاءَ وَالمَرَاكِب ، وَالرِّيحَ . أَلَمْ تُعَانِ مِنْ دوارِ البحرِ إطلاقًا في صِغَرِهَا . أَلَا تملكُونَ قَارِبًا؟

ضَحِكَتْ بوني .

– لَا ، قَالَتْ . وَلَا أَظنُّ أَنَّ إِبّه يُرِيدُ امتلاكَ قَارِبٍ .

ضَحِكَ تشارلز مُتهكِّمًا . وَالدُهُ لَا يُحبُّ الاقترَابَ مِنَ المَاءِ . لَا يُحبُّ ذَلِكَ إِطلَاقًا .

جَلَسَتْ بوني على رصيفِ المِينَاءِ ، وَرَاحَتْ تُلَوِّحُ بِساقَيهَا اللَّتَينِ تَدلَّتَا نَحوَ البَحر . شعرَ تشارلز بِالحزنِ لِأَنَّها حُرِمَتْ مِنْ لِقَاءِ جَدِّهَا . عَلَى الرَّغمِ مِنْ أَنَّ جَدَّهُ وَجدَّتَهُ لِأَبيهِ يَسكنَانِ في مَكَانٍ بَعيدٍ لِلغَايَةِ ، إِلَّا أَنَّهُ يَلتَقي بهِما أَحيانًا ؛ لِأَنَّ وَالدَهُ حَرِيصٌ عَلَى ذَلِكَ .

– عَلَى فِكرَةٍ ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان بِبطءٍ . لَقَدْ فَكَّرْتُ بِأمرِ عَودَتِكُمَا إِلَى البَيتِ قَرِيبًا . أَلَا تَرغبَانِ بِالبَقَاءِ هُنَا لِبضعَةِ أَيَّامٍ إِضَافِيَّةٍ؟ أَستَطِيعُ الاتصالَ بِغابرييلا وَإِبّه في تِلكَ الحَالَةِ .

نَظَرَ كُلٌّ مِنْ تشارلز وبوني إِلَى الآخَرِ . إِنَّهمَا يُرِيدَانِ البَقَاءَ في كُلِّ الأَحوالِ . عَلَى الرَّغمِ مِنْ تَفاقُمِ الخَطَرِ المُحدِقِ بِهِمَا هُنَا . وَفي كُلِّ الأَحوَالِ ، لَا يُرِيدَانِ العَودَةَ إِلى البَيتِ .

– سَوفَ نَبقَى بِكلِّ سُرورٍ! قَالَتْ بوني .

ظَهرَ الفرحُ عَلَى مُحيّا الجَدَّةِ فيفيان وَكَأَنَّهُ شُعاعٌ مِنْ نُورٍ .

– كَمْ يُسعِدُني ذَلِكَ ، قَالَتْ . هَلْ تَشعرَانِ بِالجوعِ؟

أومَأَ كُلٌّ مِنْ تشارلز وبوني بِرأسِهِ إِيجَابًا .

مِعدَةُ تشارلز تُثيرُ الضَّجيجَ مُنذُ مَا يَزيدُ عَنِ النِّصفِ سَاعَةٍ بِسببِ الجوعِ .

– عَظيمٌ ، دَعونَا نَأكُل إذًا ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان .

رَافَقَتْهُمَا إلى مَطعَمٍ يُدعَى «المرسَاةُ الذَّهبيَّةُ» يَقعُ عَلَى الشَّاطِئ . جَلَستْ بُوني وَالجَدَّةُ عِندَ وُصُولِهمَا إلى المطعَمِ لَكنْ تشارلز اضطرَّ لِلذهَابِ إلى الحَمَّام .

– سَأعودُ في الحَالِ ، قَالَ .

دَلَّهُ نَادِلٌ عَلَى مكانِ الحَمَّامِ ، في نِهايَةِ مَمرٍّ ضَيِّقٍ يُغطِّي جُدرَانَهُ ورقٌ أَحمَرُ اللونِ . وَتدلَّتْ من السَّقفِ ثُريًّا تُنَارُ فِيهَا شُموعٌ حَقيقيَّةٌ . وَقفَتِ امرَأةٌ عَلَى كُرسِيٍّ تحت الثُّريَّا مُنهمِكَةً في تَبدِيلِ اثنتَينِ مِنَ الشُّموعِ . ابتَسمَتْ لِتشارلز حِين مرّ منْ جَانبِهَا .

رَأى تشارلز خَارجَ أبواب الحمَّامَات ثلاثَ خَرائِطَ قَديمَةٍ . قَرأَ بِسرعَةٍ مَا كُتبَ عَليهَا : خَليجُ الظِّلِّ ، أوبفسريد و سفارتهيد .

سفارتهيد ثانيةً . القريةُ الَّتي جاءتْ منها أَلْبا بِرفْقَةِ دُوغلاس . خَرجَ رَجلٌ مُسنٌّ مِنَ الحَمَّام وراح ينظرُ إلى الخارِطةِ هُوَ أيضًا .

– إنَّهَا قَريَةٌ جَميلَةٌ ؛ سفارتهيد ، قَالَ . هَلْ تَبحَثُ عِنْ شَيءٍ مُعيَّنٍ؟

أَومَأَ تشارلز برأسِهِ إيجَابًا .

– أَبحثُ عَنْ مَصنَعِ الشُّموع ، قَالَ .

عَبسَ الرَّجُلُ ، وَعقَدَ حَاجِبيه .

– لَا ، قَالَ الرَّجلُ . لَمْ يكُنْ في يَومٍ مِنَ الأيَّامِ مَصنَعٌ لِلشُّمُوعِ هُناكَ .

– لَكنِّي أَعرِفُ شَخصَينِ عَمِلَا في ذَلِكَ المصنعِ ، قَالَ تشارلز .

هَزَّ الرَّجلُ رأسَهُ نَفيًا .

– لَا بُدَّ مِن أَنَّهمَا أخطَأَا باسْمِ المَدِينَةِ ، قَالَ . صَدِّقنِي . أَعْرِفُ تَاريخَ

سفارتهيد القَرِيْبَ والبَعيدَ . لَقدْ سَكنْتُ هُنَاك مَع زَوجَتي لِمدَةِ عِشرينَ عامًا .

سَارَ الرَّجلُ في طَريقِهِ .

ظَلَّ تشارلز حَائِرًا لَا يَعرفُ كَيفَ يُفكِّرُ .

لَقَدْ قَالَ كُلٌّ مِنْ ألْبَا ودُوغلاس أنَّهمُا عَملَا في مَصنَعٍ للشمُوعِ في سفارتهيد .

عَادَ عِندَهَا الرَّجلُ إلى تشارلز .

– سَامِحنِي ، قَالَ . أتعلَمُ مَاذَا؟ لَقَدْ كَانَ هُنَاكَ مَصنَعٌ لِلشمُوعِ في سفارتهيد فِعلًا .

تَنفَّسَ تشارلز الصُّعدَاءَ . لَمْ يَكذِبْ كُلٌّ مِنْ ألبا ودوغلاس بِخصُوصِ أمرٍ تَافِهٍ كَهذَا بِالطَّبعِ .

– لَكنَّ المَصنعَ بُنيَ مِنذُ زَمَنٍ بَعيدٍ ، قَالَ الرَّجلُ .

– بَعيدٍ إلى أيِّ حَدٍّ؟ قَالَ تشارلز .

– مُنْذُ أكثَرَ مِن مِئَةِ عَامٍ ، قَالَ الرَّجلُ . لَقَدْ أقْفَلَ المَصنَعُ أبْوَابَهُ في بِدايَةِ القَرنِ العِشْرين .

ثُمَّ غَادَرَ مُجدَّدًا .

حَدَّقَ تشارلز بِالخَارِطَةِ .

لِمَاذَا قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان إنَّ ألبا ودوغلاس عَمَلَا في مَصنَعٍ أُغلِقَتْ أبوابُهُ مُنذُ مِئَةِ عَامٍ؟

الفَصلُ الثَّامِن عَشرَ

بَدأَ الأمرُ في اللحظَةِ الَّتي دخلُوا فيهَا مِنَ البَابِ .

– لَقَدْ حَالَفَنَا الحَظُّ فعلًا ، قالت الجَدَّةُ فيفيان .

ظَهرَتْ أَلْبَا في الرِّواق .

– لَقَد حَضَّرتِ الطَّاولة لتناول القهوة ، ووضعت الفَطيرَةَ عَليهَا .

– رَائِعٌ ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان ، واختفتِ مُتجهةً إلى الصَّالُونِ .

أَمسَكَ تشارلز بِذرَاعِ بوني ثُمَّ شدَّهَا .

– هُنَاكَ خَطَأٌ مَا ، هَمَسَ . ألْبا ودوغلاس لَم يَعْمَلَا في مَصنَعٍ لِلشمُوعِ في سفارتهيد ؛ لِأنَّ ذَلكَ المَصنعَ أغلَقَ أَبوابَهُ مُنذُ مِئةِ عَامٍ .

تجهَّم وَجهُ بوني .

– رُبَّمَا لَمْ يَعمَلَا هُنَاكَ بِالذَّاتِ ، قَالَتْ بِصَوْتٍ مُنخَفِضٍ . رُبَّمَا لَمْ تَسمعْ جَدَّتي فيفيان مَا قَالَا . أَو رُبَّمَا لَا يُريدَانِ أَنْ يُفصِحَا عَنِ المَكانِ الحَقيقِيِّ الَّذي عَمِلَا فِيهِ .

استرَقَتْ بوني النَّظَرَ إِلى أَلبا الَّتي كَانَتْ تَبتَسِمُ وَهي تَتَحدَّثُ إِلى الجَدَّةِ فيفيان .

- أتمَنّى أَنْ تُعجبَكُمَا الفَطيرَةُ ، قَالَتْ لِبوني وَتشارلز . سَتغادِرانِ قَريبًا وَتعودَانِ إِلى بَيتِكُمَا . لَا يَسعُنَا سوى الاعتنَاء بِكُمَا حَتّى تَرغَبَا في العودَةِ لِزيَارَتِنَا ثَانيةً .

قَطَّعَتِ الجَدَّةُ فيميان فطيرة التُّفَاحِ . كَانَ هُنَاكَ صَلصَةُ الكريمَةِ وَالفَانِيليا أَيضًا . جَلَسَ كُلٌّ من بوني وَتشارلز عَلَى الأَريكَةِ .

- سَوف نرى مَتى يُغادِرَان ، قَالَتِ الجَدَّة فيفيان ، وَغمَزَتْ لَهُمَا بعينيهَا .

تحجَّرَتِ ابتِسَامَةُ أَلبَا .

- لَكنَّكِ قُلتِ إِنَّهما سَيقيمَانِ هُنَا لِمدَّةِ أُسبوعٍ ، قَالَتْ .

- قُلْتُ ذَلِكَ في البِدَايةِ ، نَعَمْ . ولَكِنْ ، إِنَّني أُحبُّ فِعلًا وُجودَ الأَولَادِ مَعنَا هُنَا . سَأتحدَّثُ إِلى وَالِديهِمَا الليلَةَ . لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَسمَحَا لَهُمَا بِالبَقَاءِ فترَةً أَطولَ .

- أَفهَمُ ذَلِكَ ، قَالَتْ أَلبا بِاقتِضَابٍ وَغَادَرَتِ الصَّالُونَ .

نَظَرَتْ بوني طَويلًا نَحوَ الجِهَةِ الَّتي غَادَرَتْ مِنهَا أَلبا الصَّالُون . وَتَذكَّرَتْ مَا سَمِعَتْهُ مِن حَديثٍ دَارَ بَينَهَا وَبينَ دُوغلاس ؛ أَنَّ عَلَى بوني وتشارلز أَنْ يَعودَا إِلى بَيتِهِمَا بِأَسرَعِ وَقتٍ مُمكِنٍ . وَإِلَّا قَدْ يَتعرَّضَا لِخَطرِ الإِصَابَةِ بِمكرُوهٍ .

شَعرَتْ بوني بِأَلَمٍ كَأَلَمِ الطَّعنَاتِ في مِعدَتِهَا . لِمَاذَا لَمْ يَكتَرِثْ أَيٌّ مِنْ أَلبا ودوغلاس إِلَّا لِأَمرِ بوني وتشارلز؟ لِمَاذَا لَمْ يَذكُرَا الجَدَّةَ فيفيان؟ أَلَا

يُرِيدَانِ حِمَايَتَهَا أَيضًا؟

ثُمَّ وَقَعَ نَظَرُهَا عَلَى الصَّحِيفَةِ المُلقَاةِ عَلَى الطَّاوِلَةِ أَمَامَ الأرِيكَةِ . رَأَتْ فِي الصَّفحَةِ الأولى صُورَةً أُخرَى لِلصبيِّ المُختَفِي . يَظهرُ فِيهَا مُبتَسِمًا ابتِسَامَةً عَرِيضَةً وَيحمِلُ دُمِيَةَ دُبٍّ تَحتَ ذِرَاعِهِ . قَرَأَتْ بوني العنوَانَ فَوقَ الصُّورَةِ :

«لَا أَثرَ لِسفَان»

أَمسَكَتْ بِالجَرِيدَة وبدأَتْ تَقرَأُ . حِينَ قَرَأَتِ الجَرِيدَةَ فِي المَرّةِ المَاضِيَةِ ، كَانَتِ الشُّرطَةُ تَظنُّ أَنَّ سمان غَرِقَ . لَكِنَّ بوني لَمْ تُصَدِّقْ ذَلِكَ .

– بوني ، قَالَت الجدَّةُ ميفيان . ضَعِي الجَرِيدَةَ جَانِبًا ، لَو سَمَحْتِ . وَإلَّا لَنْ تَنَامِي الليلة

لَمْ تَستَمِعْ بوني لكلام جدَّتها واستمرَّتْ بِالقِرَاءَةِ . جَلَسَ تشارلز إِلى جَانِبِهَا وَقَرَأَ هُوَ أيضًا . إنَّها مُقَابلةٌ مع والدة سفان ، تَتكلَّمُ فِيهَا عَمَّا حَدَثَ .

«كَانَ مَوقِفًا فَظِيعًا . كَانَ هُنَاكَ معنا ، وبعدَ ثانيةٍ لَمْ يَكنْ هُنَاكَ . رَأَيْتُهُ يَعدُو بِاتِّجَاهِ الغَابَةِ وَنَادَيْتُهُ . توقَّف عندها ، وَجلَسَ عَلَى العُشبِ . عِندَمَا نَظَرْتُ ثَانِيةً ، كَانَ قَدِ اختَفَى .»

وَقَدْ نَشَرَتِ الصَّحِيفَةُ خَارِطَةً تُظهِرُ المَكَانَ الَّذي اختَفَى فِيهِ سِفان . قَامَتْ عَائلتُهُ بِنزهَةٍ إِلى مَرجٍ في الجِهَةِ الأُخرَى مِنَ المِينَاءِ ، إِلى مُحاذَاةِ الشَّاطِئِ ، وَبالقربِ مِنْ غَابَةٍ . كَانَتِ الشُّرطَةُ مُتأكِّدَةً تَقرِيبًا مِنْ أَنَّ سِفان عَدَا نَحوَ المَاءِ ، وَوقَعَ فِي البَحرِ .

– مَاذَا لَو عَدَا نَحوَ الغَابَةِ ثُمَّ اختُطِفَ هُنَاكَ ، قَالَتْ بوني .

– لَقدْ بَحثَتِ الشُّرطَةُ عَنهُ بِواسِطَةِ الكِلَابِ ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . تَعلمَانِ أَنَّ الكلَابَ تستَطيعُ أَنْ تَشمَّ رَائِحتَنَا في الأَمَاكِنِ الَّتي نَزورُهَا كَبَشرٍ . أَيْ أَنَّهَا تَقتَفِي أثرَنَا بواسطَةِ الرَّائحَةِ . غَير أَنَّ الكلابَ لَمْ تَجدْ أَدنَى أَثَرٍ لِلطفلِ بِاتِّجَاهِ الغَابَةِ ، وَهذا يَعني أَنَّهُ لَمْ يَكنْ هُنَاكَ .

رَنَّ جَرسُ الهَاتف ، وسارت الجدَّةُ فيفيان لِترفعَ السَّماعَةَ .

التَهمَ تشارلز لُقَيْماتٍ كبيرةٍ منْ فطيرَةِ التُّفَاحِ .

– إنَّهَا لَذيذَةٌ جدًا ، قال .

تَأمَّلَتْ بُوني الخارِطَةَ الَّتي نَشَرَتْهَا الصَّحيفَةُ وَقَرأَتِ النَّصَّ ثَانيةً . كَانَ هُنَاكَ أناسٌ آخرِينَ في المَرجِ عِندَمَا اختَفَى سِفان . تَودُّ بوني لَو تَعلَمُ مَنْ هُمْ .

تَابَعتْ بوني تَصفُّحَ الجَريدَةِ . قَرأَتْ مَقَالَاتٍ عَن أَشخَاصٍ آخرِينَ اختَفُوا مِنْ خَليجِ الظِّلِّ . يَختَفِي شَخصٌ كُلَّ سَنةٍ تَقريبًا هُنَاكَ . كَادَ شَعرُ بوني يَقفُ مِنْ شِدَّةِ ذُهولِهَا . ظَنَّتِ الشُّرطَةُ في أَغلَبِ الحَالَاتِ أَنَّ أُولئِكَ الأشخَاصَ قَدِ اختفُوا بِمحضِ إرادَتِهم . لَكنَّهُم في بَعضِ الحَالَاتِ كَانُوا مُتَأكِدينَ مِنْ أَنَّ شَيئًا مَا حَدثَ لِلشَخصِ الَّذي اختَفَى . كَمَا حَصلَ مُنذُ عَامَينِ ، حِينَ اختَفَتْ بِنتٌ في العَاشِرَةِ مِنَ العُمرِ ، تُدعَى فَاندِيلَا .

قَرأَتْ بوني بِدقَّةٍ . لَقدِ اختَفَتِ البِنتُ مِنْ مَطعَمٍ زَارَتْهُ هَي وَعَائِلتهَا مِن أَجْلِ تَناوُلِ وَليمَةِ عِيدِ الميلَادِ . لَمْ يَعرفْ أَحدٌ مَصيرَهَا . اختَفَتْ فَجَأَةً وَحسبُ . نَشَرَتِ الجَريدَةُ صُورَةً لِوالِدَتِهَا . «نفتَقدُهَا كُلَّ يومٍ» ، قَالَتِ الأمُّ لِلصحَفِي .

ثُمَّ بعدَ ذَلِكَ لَمحَتْ بوني شَيئًا آخرَ . التقَطَتْ أَنفاسَهَا ، وَلكزَتْ تشارلز .

– انظُرْ! قَالَتْ .

ثُمَّ خَفضَتْ صَوتَهَا بِسرعَةٍ .

– إنَّهَا أَلبَا!

أَشارَتْ إِلى إحدَى الصُّورِ الَّتي التُقِطَت في المَطعَمِ عِندَ اختفَاءِ البنتِ .

ظَهرَتْ أَلبا تجلِسُ إلى إحدَى الطَّاولَاتِ في خَلفيَّةِ الصُّورَةِ ؛ بَدَتْ وَحيدَةً .

نَظرَ تشارلز إِلَى الصُّورَةِ .

– أَرَى ذَلِكَ ، قَال . لَكنْ . . . مَاذَا يَعني جُلوسُهَا هُنَاكَ؟ أَعني ؛ إِنَّهَا تجلِسُ في مَطعَمٍ . لا بُدَّ من أَنَّهَا ذَهبَتْ إِلى هُنَاكَ كَي تَتَنَاولَ وَليمَةَ عِيدِ الميلَادِ .

ازدَادَ حَماسُ بوني .

– لِنتحدَّثْ إليهَا ، قالتْ . رُبَّما رأتْ شيئًا مَا ، شَيئًا نَسيَتْ أَنْ تَقولَهُ لِلشرطَةِ .

حَوَلَ تشارلز عَينَيهِ بنظرَةٍ إلى أَعلَى .

– بِالطَّبعِ لَمْ تَنسَ إِخبارَ الشُّرطَةِ بِأمرٍ مُهمٍّ ، قَالَ .

لَكنَّ بوني لَمْ تَستَمعْ إِليهِ .

– لَقدْ سَبقَ وَقرَّرنَا أَنْ نَتَحدَّثَ مَعَ أَلبَا ودوغلاس . لَيسَ هُنَاكَ مَانِعٌ مِنْ أَنْ نَفعلَ ذَلِكَ الآنَ .

مَازَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان مَشغُولَةً بِالمكَالَمَةِ الهَاتِفيَّةِ ، لِذَلِكَ لَمْ يَجِدَا صُعوبَةً في التَّسلُّلِ إِلى المطبَخِ .

– لَقدْ أَخفتُمَاني ، قَالَتْ أَلبَا ، وَضحِكَتْ عِندَمَا رَأتهُمَا .

كَانَتْ تَقفُ وَقَد أَدارَتْ ظَهرَهَا إِلى البابِ ، لِذَلِكَ لَمْ تَلحَظْ مَجيئَهُمَا .

لَمْ تَبدُ صَارِمَةً جِدًا كَمَا فَعلَتْ مِنْ قَبلُ ، أَي كَمَا فَعلَتْ حِينَ سَمِعَتْ أَنَّ إِقَامَةَ بوني وتشارلز قَدْ تَمتدُّ إِلى أَكثرِ مِنْ أُسبوعٍ .

احمرَّتْ وَجنتَا بُوني حِينَ نَاولتَهَا الجَريدَةَ .

– فِي الحقِيقَةِ ، لَدينَا تَساؤلٌ حولَ هذَا الأمرِ ، قَالَتْ .

اكتسبَتْ مَلامحُ ألبا جديّةً ، ووضَعتِ النَّظّارةَ عَلَى عَينَيهَا .

– ذَلِكَ الطِّفلُ المسكينُ ، قَالَتْ أَلبا . أَتمنّى أَنْ يَعثُرَ أَحدٌ عَليهِ قَريبًا .

– لَمْ نَكنْ نُفكِّرُ بِالطِّفلِ ، قَالَتْ بوني . بَلْ بِالبِنتِ ؛ فَانديلا ، البنتُ الَّتي اختفَت مُنذُ بِضعَةِ سنواتٍ .

ثُمَّ أَرتها الصُّورةَ فِي الجَريدَةِ .

– هَلْ كُنتِ هُنَاكَ حِينَ اختَفَتْ؟ قَالَتْ بوني بِصوتٍ مُنخفِضٍ . هَذهِ أَنتِ فِي الصُّورةِ ، أَليسَ كَذلِكَ؟

أَومَأَتْ أَلبا بِرأسِهَا بِبطءٍ ثُمَّ جَلَسَتْ .

– لِمَاذَا يَبحثُونَ عَنِ الصُّورِ القديمَةِ وَينشرُونَهَا دَائمًا؟ قَالَتْ .

– مَنِ الَّذي التَقطَ الصُّورَةَ؟ سَأَلَ تشارلز .

– صَحفيٌّ كَانَ فِي الجِوارِ صُدْفَةً ، قَالَتْ أَلبا . لَقَدْ أَدَّى اختِفَاءُ البنتِ إِلى ضجّةٍ عَارِمَةٍ . وَكَادَ وَالدَاهَا أَنْ يَنهارَا تَمامًا تَحتَ وَطأَةِ القَلَقِ .

– هَلْ رَأيتِ شَيئًا مَا؟ قَالَتْ بوني . هَلْ رَأيْتِ الشَّخصَ الَّذي أَخذَهَا؟

تَشنَّجَتْ أَلبا بِفعلِ المُفَاجَأَةِ .

– لَمْ أَرَهُ بِالطَبعِ ، قَالَتْ . وَإِلَّا لأَخبرْتُ الشُّرطَةَ بِذلِكَ . كُنتُ وَدوغلاس هُنَاكَ لِتناوُلِ وَليمَةِ عيدِ المِيلَادِ ، كَجميعِ مَنْ حَضرَ ، بالضَّبطِ .

تَنهَّدَتْ بوني وَشعرَتْ بِخيبَةِ أَمَلٍ . بِالطَّبعِ ، مِنَ البَديهِيِّ أَلَّا تَكونَ

لَدَى أَلبَا معلومَاتٌ ذَاتُ أَهميَّةٍ . تَنفَّسَتْ بِعمقٍ . عَليهَا أَنْ تُخبرَ أَلبا بِأَنَّهَا سَمِعَتِ الحَديثَ الَّذي دَارَ بَينهَا وَبينَ دوغلاس . وَعليهَا أَنْ تُخبِرَهَا أَنَّهَا وَتشارلز عَلَى استعدَادٍ لِتقدِيمِ يَدِ العونِ .

لَكنَّ أَلبَا هَمسَتْ في تِلكَ اللحظَةِ بِالذَّاتِ :

– هَلْ تَستَطيعَانِ حِفظَ سِرٍّ أَيُّها الولدانِ؟

حَدَّقَتْ بِهمَا بعينَيها الجَاحِظتَينِ .

– نَستَطيعُ ذَلكَ طبعًا ، هَمَسَ تشارلز .

نَظرَتْ أَلبا حَولها كأنَّها تَخْشَى أَنْ يَسمَعَ حَديثَهُمْ أَحدٌ مَا .

– لَقَدْ رَأيتُ فِعلًا شيئًا مَا ، هَمَسَتْ . رَأيْتُ شَيئًا لَمْ أُخبِرِ الشُّرطَةَ بِهِ . لَا بُدَّ مِن أَنَّكمَا تعلمان أنَّ المرءَ لَا يريدُ الإِشَارَةَ بِأَصَابعِ الاتِّهَامِ إِلى شَخصٍ مَا مِن دُونِ داعٍ . لكنْ .

حَبَسَتْ بوني أَنفَاسَها .

– تَحدَّثي! فكَّرتْ . تحدَّثي وَحسبُ!

– أَرَأَيتِ مَنْ كَانَ هُناكَ؟ هَمستْ بوني .

– بُول ، قَالَتْ أَلبَا . رَأَيتُ بُول خَارجَ المطعَمِ .

تَبادَلَ كُلٌّ مِنْ بوني وتشارلز نَظرَاتٍ سَريعَةٍ .

– بُول ثَانِيةً!

تَمَلْمَلَتْ بوني .

– في اليومِ الأَوَّلِ لإِقَامَتِنَا هُنَا ، قَالَتْ بِصوتٍ مُنخَفضٍ . عِندَمَا قَدَّمَتْ لَنَا وَالِدَتِي فيفيان الشَّايَ . يَومَهَا هَمسْتِ لِي أَنَّ عَلَيَّ تَوخي الحَذر مِن بُول . قُلْتِ إِنَّهُ شَخصٌ لَئِيمٌ .

أَومَأتْ أَلبَا بِرأسِهَا .
– قُلْتُ ذَلِكَ بِالطَّبعِ ، قَالَتْ . لِأَنَّ بُول رَجُلٌ خَطِيرٌ جِدًا .
– مَا الَّذي يَجعلُهُ خَطِيرًا؟ سَأَلَ تشارلز .
نَظرَ إِلى يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ مُستطلعًا المُحيط ، كَأَنَّهُ يَخشَى ظُهورَ بُول في أَيَّةِ لَحظَةٍ .
أَغمَضَتْ أَلبَا عَينيها ثُمَ فتحتْهُما ثَانيةً .
– إِنَّهُ يَقومُ باختطافِ النَّاسِ في خَليجِ الظِّلِّ ، قَالَتْ .
– لِمَاذَا؟ سَألَتْ بوني .
– لِأَنَّهُ لَئيمٌ ، قَالَتْ أَلبا . الأمرُ لَيسَ أَكثرَ تَعقيدًا مِن ذَلِكَ أَحيانًا .
يَقومُ بِاختِطَافِ الأَطفَالِ وَالكِبَارِ فَلَا يَعودُونَ أَبدًا .
– لَكنْ لِمَاذَا؟ سَأَلَتْ بوني ثَانيةً .
– هَذَا مَا لَا أَفهمُهُ ، قَالَتْ أَلبا . نَقومُ أَنَا ودُوغلاس بِكلِّ مَا في وسعِنَا مِنْ أَجلِ جَعلِ خَليجِ الظِّلِّ قَريةً آمِنَةً ثَانِيةً . لَكنَّهُ عَمَلٌ مَحفوفٌ بِالمَخَاطِرِ . لَمْ نَجرُؤْ حَتَّى عَلَى الإِفصَاحِ عَنِ اسمِ المَكَانِ الَّذي أَتينَا مِنهُ . لَا نُريدُ أَنْ يَعلَمَ بُول الكَثِيرَ عَنَّا . هَذَا مَا جَعلَني أَضطرِبُ حِينَ قَالَتْ فيفيان إِنَّ إِقَامَتَكُمَا هُنَا سَتزيدُ عَنْ أُسبوعٍ . أَظنُّ أَنَّهَا فِكرَةٌ سَيِّئَةٌ . بُول سَرِيعٌ وَقَوِيٌّ . لَستُ مُتأكِدَةً مِنْ أَنَّني أنا ودوغلاس قَادِرَانِ عَلى إِيقَافِهِ إِنْ أَرادَ استِهدَافَكُمَا .
أَصغَتْ بُوني جَيِّدًا إِلى الحَدِيثِ . لَقَدْ بَدَأَتْ تَفهَمُ تَفكِيرَ أَلبَا ودوغلاس أَكثرَ فَأكثرَ .
– لَمْ تَعمَلَا في مَصنَعِ الشُّموعِ في سفارتهيد إِذًا ، قَالَتْ .

انتَفَضَتْ ألبا حِينَ سَمِعتْ ذَلِكَ .

– مَصنَعُ الشُّموعِ؟ قَالَتْ . لَا ، لَقَدْ عَملنَا في مَصنَعٍ لِلسَمنِ . قُولي لِي بِحقِّ السَّمَاءِ ، مَنِ الَّذي تَحدَّثَ عَنْ مَصنَعِ الشُّموعِ؟

تَمَلْمَلتْ بوني فِي مَكَانِهَا .

– جَدَّتِي فيفيان قَالَتْ ذَلِكَ .

هَزَّتْ أَلبَا رَأسَهَا .

– أَظنُّ أَحيانًا أَنَّ فيفيان تُعاني مِنَ الطَّرشِ ، قَالَتْ .

– وَهذَا مَا ظَنَّتهُ بوني أيضًا .

– لِمَاذَا لَا تَتَّصِلان بالشُّرطة؟ قَالَ تشارلز . وَنُخبِرَهُم بِمَا تَعرِفَانِ؟

– ضَحِكَتْ أَلبا مُتهكِّمَةً .

– الشُّرطَة؟ الشُّرطة عقبة فِي الطَّرِيق لَا أَكثَر . ثُمَّ إِنَّهم لَا يُصدِّقُون أُناسًا عَاديِّينَ مِثلَنَا . صَدِّقاني ، لقدْ حاولْتُ . لكنَّهمْ يَقولُونَ إِنَّ مَا أَقولُهُ مُجرَّدُ أَوهَام .

استقَامَتْ بوني فِي مَكانها .

– لَا أُريدُ المُغَادَرَةَ ، قَالَتْ . لنْ أُغادِرَ قَبلَ أَنْ أَتأَكَّدَ مِنْ أَنَّ جَدَّتِي فيفيان فِي أَمَانٍ .

– أُوه ، لَا حَاجَةَ بِكَ إِلى القَلقِ عليهَا ، قَالَتْ أَلبَا . إِنَّهَا الأكثرُ أَمَانًا هُنَا .

– مَاذَا تَعنِينَ بِذلِكَ؟ قَالَ تشارلز .

– إِنَّهَا صَديقَةُ بُول . بُول يَختَطِفُ أُولَئكَ الَّذينَ لَا يَعرِفُهُمْ أَو الَّذينَ لَا يُحبُّهم ؛ أَمثَالي أَنَا وَدُوغلاس ، وَأَمثَالكمَا . صَدِّقَاني ، إِنْ بَقيتُمَا في صَخرَةِ النُّسورِ ، لَنْ ينتظِرَ طَويلًا قَبلَ أَنْ يَختَطِفكُمَا أَيضًا .

فَكَّرَتْ بوني لِبرهَةٍ .

– أَلَا تَظنِّينَ أَنتِ أَيضًا أَنَّ بُول هُوَ مُساعِدُ المنتَقِمِ ذِي الرَّأسِ المَفقُودِ؟ قَالَتْ بِصوتٍ مُنخَفض .

عَادَتْ أَلبَا خطوَةً إِلى الوراء حينَ سمعَتْ ذَلِكَ .

– المُنتَقِمُ ذُو الرَّأس المفقود!؟ قَالتْ . لَكنَّهُ غَيرُ مَوجُودٍ يَا طِفلَيَّ العَزيزَين . لَا يَتعدَّى ذلك كُلُّه حُدود الخُرافَةِ . أَلَا تَفهمَانِ ذَلكَ؟ لَا يوجَدُ مُنتَقِمٌ . الإنسانُ الوحيدُ الَّذي يُشكِّلُ خَطرًا عَلَى الآخرينَ في خَليجِ الظِّلِّ هُوَ بُول

الفَصلُ التَّاسِع عَشَرَ

هَبَّتْ عَاصِفَةٌ في خليج الظِّلِّ في ذَلِكَ المَسَاءِ؛ رَعدٌ وَبرقٌ وَمطَرٌ. وَقفَ تشارلز وراءَ النَّافِذَة وراح ينظرُ إلى أشعَّة البرقِ وَهي تَختَرقُ السَّماءَ مِرارًا. بَدَأَ فيني يَنبَحُ كُلَّمَا انفجر صوتُ الرَّعد. تربَّعتْ بوني عَلَى سَريرِ تشارلز.

– مَاذَا سَنفعَلُ الآن؟ قالتْ.

فَكَّرَ تشارلز. شَعرَ بِالخوف كُلَّما فكَّر ببول. لقدْ تأكَّدا الآنَ مِنْ أنَّ بول قَادِرٌ عَلَى فِعلِ أيِّ شَيءٍ.

– أَيِّ شَيءٍ تمامًا.

وَمَا زَالَا يَجهلَانِ تَمامًا هَويَّة المُساعد الثَّاني لِلمنتَقم.

فَكَّر تشارلز بِألبا ودوغلاس. هُناكَ أمرٌ آخرُ يُثيرُ قَلَقَهُ.

– يَبدُو أَنَّ أَلبَا ودوغلاس يُراقِبَانِ بُول مُنذُ زَمنٍ، قَالَ. يَعلمَانِ أَنَّهُ خَطيرٌ وَيحاوِلَانِ رَدعَهُ. لَكِنْ...

نَظَرَتْ بوني إليهِ مُتشوِّقَةً لِسَماعِ مَا لَديهِ مِنْ حَديثٍ.

– لَكنْ يَبدُو أَنَّهُمَا لَمْ يَنجَحَا في ذَلِكَ، قَالَ في نِهَايَةِ المطَافِ. أعنِي

أَنَّ سِفان اختَفَى مُنذُ حَوالَي أُسبوع . ثُمَّ تِلكَ البِنْتُ الَّتي اختَفَتْ مِنَ المطعَمِ يَومَ وَليمَةِ عِيدِ الميلَادِ . لَقَدْ فَشِلَ كلٌّ مِن أَلبا وَدوغلَاس في إِيقَافِهِ حَتَّى عِندَهَا ، عَلَى الرَّغمِ مِنْ أَنَّهمَا كَانَا حَاضِرَينِ عِندَ تَقديمِ وَليمَةِ الميلَادِ ذَاتِهَا .

أَومَأَتْ بوني بِرأسِهَا مُؤيِّدَةً كلامَهُ .

– مِنَ الأفضَل أنْ نبقى هُنا ، قَالتْ . أَظنُّ أَنَّ أَلبا عَلَى خَطَأ . إِنَّني أُؤمِنُ بِوجود المُنتقم ذِي الرَّأسِ المفقُودِ ، وَينتَابُني القَلَقُ عَلَى جَدَّتي فيفيان .

أَومأ تشارلز بِرأسِهِ .

إِنَّهُ مُتأكِّدٌ تَقريبًا مِنْ وُجودِ المنتَقمِ . وَإِلَّا مَا حَاجَةُ بُول إِلى كلِّ هَؤلاء الضَّحايَا؟

– عَلينَا أَنْ نَجِدَ الأَدلَّةَ ، قَالَ تشارلز . عَلينَا أَنْ نَجعلَ الآخرينَ جَميعًا يُدرِكونَ أَنَّ بُول يَختَطِفُ الأَطفَالَ .

عَضَّت بوني عَلَى شَفَتِهَا .

– كَيفَ نَفعَلُ ذَلِكَ؟ قَالَتْ . كَيفَ نَجعَلُ النَّاسَ يُدرِكونَ مَدَى فظاعَتِهِ؟ يَبدُو أَنَّ جَدَّتي فيفيان تَعتَقِدُ أَنَّهُ طَيِّبٌ إِلى أَبعدِ حَدٍّ .

– لِمَاذَا لَا نَتَّصِلُ بِفاطِمَةَ؟ قَالَ تشارلز . هِيَ تَعرِفُ رُبَّمَا مَا عَلينَا فِعلُهُ .

أَمسَكَتْ بوني بِهَاتِفهَا . بَحثَتْ قَليلًا فِيهِ إِلى أَنْ وَجدَتْ رَقمَ هَاتِفِ فَاطِمَةَ .

– سَأَتَّصِلُ بِهَا الآنَ ، قَالَتْ .

أَسرعَ تشارلز وَتحقَّقَ مِنْ أَنَّهُ لَا أَحدَ في الممرِّ يَستَرِقُ السَّمعَ . سَمِعَ

أصوَاتًا في الطَّابقِ السُّفليِّ . إنَّهَا الجَدَّة فيفيان تتحدَّثُ إلى شَخصٍ مَا ، دوغلاس رُبَّمَا . أَغلَقَ تشارلز بَابَ غُرفَتِهِ وجَلَسَ عَلَى السَّريرِ إلى جَانبِ بوني وَاضِعًا رَأسَه إلى جَانبِ رَأسِهَا كَي يتمكَّنَ كُلٌّ مِنهُمَا مِنْ سَماعِ فَاطِمَةَ وَالحَديثِ إليهَا .

سَمِعَا صَدَى رَنَّةٍ تِلوَ رَنَّةٍ مَنَ الهَاتِفِ .

– مَاذَا نَقولُ لها حينَ تُجيبُ؟ قَالَتْ بوني مُضطَرِبةً .

فَكَّرَ تشارلز بسرعَةٍ .

– أَرى أَنْ نَقولَ ما نُريدُ قولَهُ مُباشَرَةً ، قَالَ . أَيْ أَنَّنَا نُريدُ أَنْ نَعرِفَ هَويَّةَ مُساعِدَي المنتقم . أو أين نجدهُمَا .

أَجَابَتْ فَاطِمَةُ في تلك اللحظة .

– هَالُو؟

– هَالُو ، مَعكِ بوني ، وتشارلز لقدْ كُنَّا عندك يومَ أمسِ .

– هَذَا أَنتُمَا إِذًا ، قَالت فاطمةُ . يبدُو أنَّها ليستْ سَعيدةً بِاتصالِهمَا .

– لَقَدِ التقينَا بِخَالِكِ يوم أمس ، قالَتْ بوني . وَقَدْ قَالَ . . . لَقدْ قَالَ إِنَّ عَلينَا الاتصالَ بِكِ .

– لِمَاذَا؟ قَالَتْ فَاطِمَةُ .

نَظَرَتْ بوني إلى تشارلز بِقلقٍ .

تَنحنَحَ تشارلز .

– لَقدْ قَالَ لَنَا إِنَّكِ تَعلمِينَ أينَ نَجدُ مُسَاعِدَي المنتقِمِ . لَكنَّكِ لَا تُريدِينَ إِخبَارَنَا بِذلِكَ .

تَنفَّسَتْ فَاطِمَةُ بِعمقٍ . سَمِعَا ذَلِكَ عَبرَ الهاتِفِ .

- هُوَ لَا يُصدِّقُ مَا أَقُولُ عَلَى الرَّغمِ مِنْ كُلِّ شَيءٍ ، قَالَتْ . وَأَنتُمَا صَغيرَانِ جِدًّا وَلَا يَجوزُ أَنْ تَنخرِطَا في أَمرٍ كَهذَا .

اعتدَلَ تشارلز في جَلسَتِهِ . لَمْ يَنو السَّماحَ لَها بِالتَّهرُّبِ مِنهُمَا بِسهولَةٍ .

- يَسكُنُ في خَليجِ الظِّلِّ رجلٌ مُخيفٌ جدًّا ، قَالَ . مَاذَا لَو كَانَ هُوَ أَحدَ مُساعِدَي المنتَقم؟ نُريدُ معرفة ذَلِكَ في تِلكَ الحالَةِ .

سُمعَ صَوتٌ مُشوَّشٌ في الهَاتِفِ .

- كَانَ يَجبُ أَلَّا تَأتِيا إِلى هُنَا بَادِئَ ذِي بِدءٍ ، تمتَمَتْ فَاطِمَةُ . لَيسَ لَدَيَّ أَدنى فِكرَةٍ عَمَّا يَجبُ فِعلَهُ لِمسَاعدَتِكُمَا .

- بَلى ، لَديكِ فِكرَةٌ وَاضِحَةٌ عَن ذَلِكَ! أَخبرِينَا بِمَا تعرفِينَ!

- مِنْ فَضلِكِ؟ قَالَتْ بوني . مِنْ فَضلِكِ ، أَخبرِينَا بِمَا تَعرفِينَ .

حَبسَ تشارلز أَنفَاسَهُ .

التزَمَتْ فَاطِمَةُ الصَّمتَ .

- لِماذَا لَمْ تَحضُرِي إِلى خَليجِ الظِّلِّ طَوالَ ثَلاثِينَ عَامًا؟ قَالَتْ بوني .

وَتعجَّبَ تشارلز حِينَ أَجابَتْ فَاطِمَةُ .

- لَا شَكَّ أَنَّ السَّببَ في رَفضِي المَجيءَ إِلى خَليجِ الظِّلِّ وَاضِحٌ تمَامًا ، قَالَتْ فَاطِمةُ . لِأَنَّ ذَلِكَ قَد يُسبِّبُ الأذَى لِآخرِينَ . لَقدْ ذَهبْتُ يَومَ دَفنِ عَمَّةِ أَبي وَلَمْ أَعدْ إِلى هُنَاكَ مُنذُ ذَلِكَ اليومِ .

دَارَتِ الأَفكَارُ في رَأسِ تشارلز .

- قُولِي لَنَا ، كَيفَ نَتأكَّدُ مِنْ أَنَّ الشَّكَّ الَّذي يُراوِدُنَا تُجاهَ شَخصٍ مَا في مَحلِّهِ؟ كَيفَ نَتأكَّدُ مِن أَنَّنَا وَجدنَا مُساعِدَي المنتَقمِ؟ عَليكِ أَنْ

تُخبرينَا بِذلِكَ ؛ لِأَنَّنا لَنْ نَتوقَّفَ عَنِ البحثِ . لَنْ نُغادِرَ خَليجَ الظِّلِّ قَبلَ أَنْ نَعرِفَ الحقيقَةَ .

أَومَأَتْ بوني بِرأسِهَا مُوافِقَةً . لَنْ يَتخلَّى أَيٌّ مِنهمَا عَنِ الجَدَّةِ فيفيان وعَنِ الطِّفلِ المُختَفي .

رُبَّمَا فَهِمَتْ فَاطِمَةُ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهَا أَجَابَتْ في نِهَايَةِ المَطَافِ . وَكَان صوتُهَا يَرتَجِفُ .

– في الحَقيقَة ، عليكُما أَنْ تَفهَمَا بَادِئَ الأَمرِ أَنَّ مَساعِدَيِّ المنتَقِم لَيسَا شَخصَين عَاديَّين . لَقد عاشَا في الوقتِ الَّذي عَاشَ فيهِ المنتَقِمُ . عِندَمَا مَاتَ سَانداهُ ، إنَّهما يُساعدانه مُنذُ ذَلِكَ الحينِ عَلَى أَخذِ مَا يريدُ مِنَ الضَّحايَا ؛ ضَحيَّةً في كُلِّ عامٍ .

لَمْ يفقَهْ تشارلز مِنْ كلامِها شيئًا .

– كَيفَ عَاشَ مساعدا المنتقم في الوقت الَّذي عاشَ فيه ، وَمَازالَا عَلَى قَيدِ الحياةِ؟ لَقَد تُوفِّيَ مُنذُ ما يزيدُ عنْ مئةٍ وخمسينَ عامًا .

– هَذَا بِالضَّبطِ مَا أُحاولُ أنْ أقولَهُ لكُما ، قَالَتْ فَاطِمَةُ . المُسَاعِدَانِ لَا يَموتَانِ مِثلنَا ، وَلَا يَشيخَان أيضًا . طالما كانَ المنتَقِمُ بِحاجَةٍ إِلى العَونِ ، سَيبقَيانِ . يَبتَعدَانِ أَحيَانًا لفترةٍ ما عَنْ خَليجِ الظِّلِّ . وَعندَمَا يَعودَانِ يَتظَاهرَانِ بِأَنَّهمَا شَخْصَان آخرَان ، وَيتَّخذَانِ اسمينِ مُختَلفَينِ .

شَعرَ تشارلز بِتوتُّرٍ طَرأَ عَلَى معدته . الأَمْرُ يَزدَادُ سُوءًا ، إِلَّا أَنَّ هُناكَ أَمرًا إِيجَابِيًا . بوني لَيستْ بِحاجَةٍ إِلى القلقِ مِنْ أَنْ تَكونَ جَدَّتُهَا أَحدَ المُساعِدينَ . لَقَدْ رَأى تشارلز صُورًا لَهَا ، وَأدرَكَ أَنَّهَا كَانَتْ شَابَّةً في يَومٍ مَا ، وَأَنَّهَا أَكبرُ سِنًّا الآنَ .

– عَليكُمَا أَنْ تَعرفَا إِنْ كَانَ الشَّخصُ الَّذي تَشكَّانِ بِأمرِهِ هُوَ مَنْ يُنيرُ الضَّوءَ في المَنارَة، قَالَتْ فَاطِمةُ. المنتَقِمُ يَحتَاجُ إِلى العَونِ كَي يَصِلَ إِلى اليابِسَةِ.

أَشرَقَتْ مَلامِحُ بوني.

– هَذَا مَا رَأيتُهُ إِذًا، قَالَتْ. تلكَ الليلَة، حِينَ أُضيئَتْ أنوارُ المَنارَة.

– قَدْ يَكونُ الأمرُ كَذلِكَ، قَالَتْ فَاطِمَةُ. مُساعِدا المنتَقِم يُضيئَانِ نُورَ المَنارَةِ مَرَّاتٍ عَديدَةٍ. في المرّة الأولى لِيخبِرَاهُ بِأنَّهُمَا خَطَفَا ضَحيَّةً جَديدَةً. ثُمَّ يُضيئان النُّورَ مِرارًا حَتَّى يَجِدَ المنتَقِمُ طَريقَهُ إِلى هُناكَ. لَمْ أُرِدْ إِخبارَكُمَا بِذلِكَ عِندَمَا التقينَا في المَرَّة الأولَى؛ لِأنَّني كُنتُ آملُ أَنْ تَكفَّا عَنِ البحثِ في هَذهِ القصَّةِ.

لَقَدْ فَاتَ الأوانُ عَلَى التَّوقُّفِ عَنِ البحثِ في قِصَّةِ المنتَقِم ذِي الرَّأسِ المفقُودِ. يَعلَمُ كُلٌّ مِن تشارلز وبوني ذَلِكَ.

– المنتَقِمُ يَأتي إِلى هُنَا لِيأخُذَ ضَحيَّتَهُ إِذًا؟ سَأَلَتْ بوني.

– هَذَا مَا سَمِعْتُهُ، قَالَتْ فَاطِمَةُ. إِنَّ الضَّحيَّةَ تَبقَى عَلَى قَيدِ الحَياةِ إِلى أَنْ يَأتِيَ المنتَقِمُ.

صَمَتَتْ، ثُمَّ قَالَتْ بِصوتٍ مُرتَجِفٍ:

– عِندَمَا تَموتُ الضَّحيَّةُ، تُلقَى في البَحرِ. أو قد ...

عَلِمَ تشارلز أَنّه لَا يُريدُ سَماعَ نِهايَةِ تِلكَ الجُملَةِ. وَمع ذَلِكَ سَأَلَ:

– أَو قَدْ يَحدثُ مَاذَا...؟

– أَو قَدْ تُدفَنُ في المَقبرَةِ في حَديقَةِ مَنزِلِ جَدَّتِكمَا. عِندَ الشَّاهِدِ الَّذي لَا يَحمِلُ اسمًا. لَمْ أُرِدْ إِخبارَكُمَا بِذلِكَ أَيضًا حِينَ أَتيتُمَا في المَرَّة السَّابِقَةِ. كَانَتْ عَمَّةُ أَبي مَذعُورَةً بِسببِ ذَلِكَ الشَّاهِدِ. أَرادَ عَمِّي إِزالَتَهُ،

لَكِنَّ عَمَّةَ أَبِي رَفَضَتْ ذَلِكَ . لَمْ تَقلْ شَيئًا بِصرَاحَةٍ ، لَكنِّي أظنُّ أَنَّهَا كَانَتْ تَعرِفُ الحقِيقَةَ . أو أَنَّهَا حَذَّرَتْ ؛ لَمسُ ذَلِكَ الشَاهدِ ممنوعٌ مَنعًا بَاتًا . لَقَدْ كَانَتْ وَاضِحَةً تمَامًا فِيمَا يَتعلَّقُ بِهذَا الأَمرِ .

اقشَعَرَّ جَسَدُ تشارلز . في اللحظَةِ الَّتي شَعرَ فِيهَا أَنَّهُ لَا يُمكِنُ لِلأمورِ أَنْ تَسوءَ أَكثر .

لَكنْ لَا بُدَّ مِنْ أنْ يَنتَهي ذَلِكَ الأمرُ في لَحظَةٍ مَا .

– أَينَ يَحتَفِظان بالضحَايا رَيثَمَا يَأتي المنتَقِمُ؟ سَأَلَتْ بوني .

كَانَ الذُّعرُ يَشعُّ في عينيها .

– لَيتَني أعلَمُ ذلك ، قالتْ فَاطِمَةُ . إِيجَادُ المكَانِ الَّذي يُخفِي فِيهِ المُساعِدَانِ الضَّحايَا هُو أفضلُ ما يُمكنُ أَنْ يَحدُثَ . مُحَاوَلَةُ إِيقَافِ المنتَقِم وَمُساعِدَيهِ أمرٌ في غاية الخُطورة ؛ لذلك عَليكُمَا تَوخِّي الحذَر . وَربَّمَا عَليكُمَا التَّفكيرُ بِمغَادرة خليج الظِّلِّ إلى الأبد .

تَوقَّفَ تشارلز عَنِ الإصغاء لبقيّة الحديث . لقدْ فكَّرَا بالأمرِ مَليًا . لَنْ يُغادِرَا خَليجَ الظِّلِّ وَهمَا مُصرَّان على إيقاف المُنتَقِم .

– كَمْ مِنَ الوقتِ لَدينَا؟ قَال . رأتْ بوني ضَوءَ المنَارَةِ مُنذُ ثَلاثِ لَيالٍ . مَتَى يَأتي المُنتَقِمُ؟

سُمعَ صَوتٌ مشوَّشٌ في الهَاتف ثانيةً .

– هَالُو؟ قَالَتْ بوني .

المَزِيدُ مِنَ الصَّوتِ المُشوَّشِ .

– قَريبًا ، سِمعَا فَاطِمَةَ تَقولُ . سَيأتي المُنتَقِمُ قَريبًا . خِلالَ أَيَّامٍ مَعدودَةٍ فَقط . عَليكُمَا أَنْ تُسرِعَا إِنْ أَردتُمَا مُساعَدَةَ ذَلِكَ الصَّبيِّ .

الفَصلُ العُشرونَ

- كَمْ أنا سَعيدَةٌ ؛ لِأَنَّ جَدَّتي فيفيان لَيسَتْ أَحدَ مُساعِدَي المُنتَقِم ، قَالتْ بوني مَرَّةً تِلوَ الأخرَى .

لَمْ تَشعرْ بِهذَا القَدرِ مِنَ الرَّاحَةِ مِنْ قَبلُ ؛ الرَّاحَةُ الَّتي يَشعرُ بِهَا المرءُ حِينَ يَتحرَّرُ مِنْ عِبءٍ مَا . لَقَدْ مَرَّتْ سَاعَاتٌ عَديدَةٌ مُنذُ أَنْ تَحدَّثَا إِلى فَاطِمَةَ . مَازَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان نَائِمَةً . جَلسَ كُلٌّ مِنْ تشارلز وبوني في غُرفَةِ بوني وَمَازَالَ كُلٌّ مِنهُمَا يَرتَدي بيجامَتَهُ . لَقَدْ تَحدَّثَا طَويلًا عَمَّا يُريدَانِ فِعلَهُ . مَا السَّبيلُ إِلى مَعرِفَةِ مَا إِذَا كَانَ بول أَحدَ مُساعِدَي المُنتَقم؟ الطَّريقَةُ الأَفضَلُ هِيَ الحصولُ عَلَى صُورَةٍ قَديمَةٍ لَهُ ؛ عَلى صُورَةٍ تُثبِتُ أَنَّهُ مَوجودٌ مُنذُ زَمنٍ طَويلٍ مِنْ دُونِ أَنْ يَشيخَ . لَكنْ أَينَ يَجدَانِ تِلكَ الصُّورَةَ يَا تُرَى؟

- في العليَّةِ ، قال تشارلز .

كَادَتْ بوني تَقفِزُ مِنْ مَكانِهَا حِينَ سَمِعَتْ مَا قَالَ . عَنْ مَاذَا يَتحدَّثُ يَا تُرَى؟

– في العليّةِ ، قَالَ تشارلز ثَانيَةً . في الطَّابقِ الأعلَى مِنَ البيتِ ، تَحتَ السّقفِ مُباشرةً . يُوجدُ نوافِذَ هُناكَ تُمكنُنا مِنْ مُراقَبةِ الطَّريقِ إِلى المنارَةِ . سَوفَ نَرى بول إنْ ذَهبَ إِلى هُنَاكَ لإِنَارَةِ ضَوءِ المَنَارَةِ ، بُول أَو أَيّ أَحدٍ سِوَاهُ . . .

كَانَ اقتراحًا رَائعًا في نَظرِ بوني .

– هَلْ تَجرُئِينَ على الجُلوسِ في العليّةِ لوَحدِكِ طَوالَ الليلِ؟ قَالَ تشارلز .

هَزّتْ بوني برأسها نفيًا .

– لَا أَجرُؤُ عَلى الجُلوس هُنَاكَ وَحدِي ، قَالَتْ . أَنتَ لَا تَجرُؤُ كَذلِكَ . عَلينَا أَنْ نقومَ بِالحراسة معًا .

قَرعَ المَطرُ زُجاجَ النَافذة .

– هَلْ تَظنِّينَ أَنَّ المنتقم يخرُجُ في قاربه الليلَةَ؟ في هَذَا الطَّقسِ العَاصِفِ المخيفِ؟

– رُبَّما ، قَالَتْ بوني . إنْ أُضيء نُورُ المنارة .

قَامَ تشارلز مِنْ مَكانِه .

– تَعالَي ، قَالَ . سَنذهبُ إلى هُناكَ في الحَالِ .

أَخذَ كُلٌّ مِنهمَا مَعَهُ مِصباحًا يدويًا وَحذاءً . لَمْ يَزرْ أَيٌّ مِنهمَا العليّةَ مِنْ قَبلُ . بَادِئَ ذِيْ بدءٍ ، استغرَق إيجَادُ الدّرجِ إِلى العليّةِ دَهرًا . ثُمَّ حَاولَا فَتحَ بَابِ العليّةِ مِنْ دونِ أَنْ يُحدِثا جلبَةً . كَادَ ذَلِكَ يَكونُ مُستحيلًا . خِلالَ ثَوانٍ مَعدودَةٍ سَمِعَا صَوتَ خُطًى سَريعَةٍ خَلفَهمَا .

بَدَا تشارلز مَذعورًا ، لَكنْ بوني ابتَسمَتْ .

– فيني ، قَالَتْ . صِرنَا ثلاثةً في الحِراسَةِ .

سَلَّمَ تشارلز وبوني عَلَى فيني بِصمتٍ . كَانَ فيني مُنفعِلًا جِدًّا ، وأَخذَ يلوِّحُ بذيلِهِ بِعنفٍ جَعلَهُ يَرتطمُ فِي الجِدارِ مَرَّةً تِلوَ الأخرى .

– يَا إلهي ، مَا هذهِ الضَّجّةُ الَّتي يثيرُهَا؟ قَال تشارلز وَحاولَ الإمسَاكَ بِذيلِ فيني . ثُمَّ هَدأَ فيني بعدَ ذَلكَ .

– هَيَّا بِنَا ، قَالَت بوني . ثُمّ سارُوا ببطءٍ فَوقَ الدَّرجِ الخَشبيِّ الَّذي عَلَا صَريرُهُ تَحتَ وَقعِ أقدامِهم .

رَأوا مَصابيحَ فِي السّقف وَمصابيحَ مُثبتَةً في الجدرانِ . ضَغطَ تشارلز أَحدَ الأزرَار فأُنير في الحالِ أَحدُ المَصابيحِ المُعَلّقةِ فِي السّقفِ . فَرِحَتْ بوني لذلك ثُمّ اعترَاهَا الخَوفُ .

– أَطْفِئِ النُّورَ! نَفَثَتِ الكلمَاتُ مِنْ بَينِ أَسنَانِهَا . إِنْ كَانَ بول فِي الحدِيقَةِ ، سَيرى أَنَّ النُّورَ مُضاءٌ في العليّةِ .

اقشعرَّ جسدُهَا حِينَ أَطفَأَ تشارلز النُّورَ . يَجبُ أَنْ تعتَادَ عينَاهَا عَلى الظَّلام قَبلَ أَنْ تتمكّنَ مِنَ الرُّؤيةِ . كَانتِ العليّةُ عِبارَةً عَنِ غُرفَةٍ شَاسِعَةٍ . وَكَانَتْ خَاوِيَةً تَقرِيبًا ، مِن ما أَثَارَ عَجَبَ بوني . لَمْ يكنْ هُنَاكَ سِوى أَريكَتين قَديمَتينِ فِي إِحدَى الزّوايَا . غَطّى الغبارُ وَخيوطُ العنكبوتِ المَكَانَ بأسرِهِ . عَلِقَتْ خيوطُ العنكبوتِ بِشعرِ بوني فشرَعَتْ تُزيلُهَا فِي الحَالِ . تمَنّتْ أَلّا يَضطرَّا إِلى الجلوسِ هُنَاكَ فَترةً طَويلَةً .

توجدُ فِي العليّةِ نَافِذتَانِ تَطلّانِ عَلَى المَنَارَةِ . نَافِذَةٌ لِبوني وَأُخرَى لِتشَارلز . تَمدَّدَ فيني عِندَ قَدمَي بوني الَّتي سعدَتْ لِمرافقَةِ فيني لَهمَا ؛ لِأَنَّهُ سَيسمَعُ إِنْ جَاءَ أَحدٌ إِلى هُناكَ ، ثُمَّ إِنَّ صحبتَهُ جَميلَةٌ ، وَهوَ دَافِئٌ أَيضًا ، لَمْ تَشعرْ بوني بِالبردِ فِي قَدميهَا إِطلاقًا .

وَضعَ تشارلز يَديهِ عَلَى حَافَّةِ النَّافِذَةِ .

– مَاذَا لَو عَجزنَا عَنْ رُؤيَتِهِ؟ زُجَاجُ النَّوافِذِ مُتَّسِخٌ جِدًا .

أَومَأَتْ بوني بِرأسِهَا .

– سَوفَ نَرى نُورَ المَنارَةِ عَلى الأَقلِّ ، قَالَتْ .

– لَكنَّا نَعلَمُ مُسبَقًا أَنَّ ضَوءَها يُنارُ أَحيانًا ، قَالَ تشارلز . عَلينَا الآنَ أَنْ نَعرِفَ مَنِ الَّذي يُنيرهُ .

التزَمَ كُلٌّ مِنهُمَا الصَّمتَ . ظَلَّ فيني سَاكِنًا في مَكانِهِ . يَبدُو أَنَّهُ يُحبُّ المكوثَ في العليَّةِ . على عكسِ بوني الَّتي شَعرَتْ بِالتَّعبِ وَرغِبَتْ في الذَّهَابِ إِلى سَريرِها . لا ترغبُ إطلَاقًا في الوقوفِ هُناكَ طَوالَ الليلِ .

مَرَّتْ نِصف سَاعَةٍ ، ثُمَّ نصف ساعةٍ أُخرَى . تثاءَبَتْ بوني ، وَتَثاءَبَ تشارلز أَيضًا . وَضَعَتْ بوني مرفقيها فوق حافَّة النَّافذَةِ ، وَسنَدَتْ ذَقنَها بِيدَيهَا . مَاذَا لَو غَفَتْ ، وهي تقفُ هُناكَ؟ لقدْ قرأتْ مَرَّةً أَنَّ ذَلِكَ مُمكِنٌ .

تَساءَلَتْ عَمَّا يَفعلُهُ كُلٌّ منْ والدتِها وَإِبَه في هَذهِ الأَيَّام . لَقَد تَغيَّرَتْ وَالدتُهَا كَثيرًا مُنذُ أَنِ التقتْ بإِبَه . إِنَّهَا أَكثرُ سَعادَةً ، وَتضحَكُ أَكثرَ الآنَ . تَعجَّبَتْ بوني لِذلِكَ ؛ لِأَنَّ إِبَه يبدُو دَائِمًا مُبالِغًا في جديَّتِه .

– هَذَا لِأَنَّهُ لَا يثِقُ كَثيرًا بِنفسه ، قَالَتْ والدتُهَا . هُوَ لَيسَ كَذلِكَ حِينَ نَكونُ وَحدَنَا . عَليكِ أَنْ تُعطيهِ بَعضَ الوقتِ ، قَليلًا مِنَ الوقتِ .

رَأَتْ بوني أَنَّ إِبَه حَصَلَ عَلَى قَدرٍ لَا بَأسَ بِهِ مِنَ الوقتِ ، لَكنَّهُ يُخطِئُ فِي كُلِّ مَا يَفعَلْ . لَقَدْ قَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مَرَّةً حِينَ كَانَتْ غَاضِبَةً .

– أَنتَ الشَّخصُ الأَسوأُ عَلَى سَطحِ هَذَا الكوكَبِ! تَتخذُ القرارَاتِ وَتسرَحُ وَتمرَحُ كَمَا يَحلُو لَكَ! قَالَتْ لَهُ .

صَمَتَ إبّه في تِلكَ المَرّة. بَدَا عَليهِ الحُزنُ جَليّا في تِلكَ المَرّة حَقًا وَعَانَتْ بوني مِنْ تَأنِيبِ الضّميرِ. لَكِنَّ الأمُورَ تَحسَّنَتْ بَعدَ ذَلِكَ. لَمْ يَعُدْ إبّه يَغضَبُ كَثيرًا كَمَا فَعلَ في السَّابِقِ، وَصَارَ يُصغِي إِلَى الآخرينَ بِشكلٍ أَفضَلَ. ثُمَّ أَتَى ذَلِكَ اليومُ الّذي بدَأَ فيهِ الحَديث عَنِ الانتقَالِ إِلى لَندن. فَسَاءَتِ الأمُورُ ثَانيةً في الحَال.

تَثاءَبَ تشارلز للمرّة الثّانية.

– عَلينَا رُبّما القيامُ بهذَا يَومَ غَدٍ، فَلَا شَيءَ يَحدُثُ الآنَ.

أَومَأتْ بوني بِرأسِهَا.

– صَحيحٌ، قَالَتْ. هَيّا بِنَا؟

نَظَرَ تشارلز إِلى السّاعَةِ.

– لَقَدْ تَعدَّتِ السّاعَةُ منتصَفَ الليلِ. هَلْ نَنتَظِرُ ربعَ سَاعَةٍ أُخرَى؟ حَتّى لَا يَفوتَنَا شَيءٌ؟

ربعَ سَاعَةٍ أُخرَى، فَترَةٌ زَمنيّةٌ لَا تَعني الكثيرَ، يَعلَمُ كُلٌّ مِنهُمَا ذَلِكَ. وَمع ذَلِكَ بَقيَا في الحِرَاسَةِ لِمدَّةِ خَمسَ عَشْرَةَ دقيقةً إِضافيّةً.

– دَعينَا نَذهَبُ، قَالَ تشارلز وَأدارَ ظَهرَهُ إِلى النّافِذَةِ. وَقفَ فيني في الحَالِ. وَفي تِلكَ اللحظة، لَمَعَ نُورُ ضَوءِ المَنَارَةِ.

– انظُرْ! قَالَتْ بوني. استَدَارَ تشارلز مُحاوِلًا أَنْ يَلتقِطَ أَنفَاسَهُ.

– في الوَاقِعِ! قَالَ. ضَوءُ المَنارَةِ مُنارٌ في الوَاقِعِ!

– هَذَا مَا قُلتُهُ لَكَ، قَالَتْ بوني بِحمَاسٍ.

تَنهَّدَ تشارلز.

– لَكنَّا لَمْ نُشَاهِدِ الشَّخصَ الّذي أَنَارَ الضَّوءَ، قَالَ.

شَعرَتْ بوني بِالإحبَاطِ أَيضًا ؛ إِنَّهُ ذَنبُ الطَّقسِ ، فَمِن غيرِ الممكنِ رؤيَةُ الشَّخصِ الَّذيْ دَخلَ المَنارَةَ .

بَقِي كُلٌّ مِنهمَا في مكَانِهِ وَلَمَعَ ضوءُ المَنارَةِ مَرَّتَين ، ثُمَّ انطَفَأَ . وَفي اللحظَةِ الَّتي انطَفَأَ بِهَا ضَوءُ المَنارَةِ ، توقَّفَ المَطرُ . مَا زَالَا يَسمعَانِ دَويَّ الرّعدِ ، لَكِنَّ الرُّؤيةَ تَحسَّنَتْ .

– انظُرْ جَيِّدًا الآنَ ، هَمَسَتْ بوني بِصوتٍ مُتوترٍ . قَدْ نَستطيعُ رُؤيَةَ الفَاعِلِ عِندَمَا يُغادرُ .

ثُمَّ مَالَتْ برأسهَا نحو زُجَاجِ النَّافِذَةِ البَارِدِ .

أَدرَكَ فيني أَنَّ شَيئًا ما على وَشَكِ الحدوثِ . تَمَلْمَلَ بِقَلقٍ وَتَذمَّرَ بِصوتٍ مُنخَفِضٍ .

– اصمُتْ! قَالَتْ بوني . سنذهبُ من هُنا بَعدَ قَليلٍ .

فُتحَ عِندَهَا بَابُ المنارة .

أَمسَكَتْ بوني بِحَافَّةِ النَّافذةِ بقوَّةٍ .

– أَتمنَّى مِنْ كُلِّ قَلبِي أنْ نُشاهِدَ الفَاعِلَ! فَكَّرَتْ .

خَرجَ ظِلٌّ طَويلُ القَامَةِ مِنَ المَنارَةِ ؛ شَخصٌ يَرتَدي مِعطَفًا وَقبَّعَةً لِلوقَايَةِ مِنَ المَطرِ . لَكنَّهما لَمْ يَتمكَّنا مِنْ رؤيَةِ مَنْ هُوَ .

– اللعنَةُ ، تَمتَمَ تشارلز . كُلُّ مَا نَستَطيعُ رُؤيَتَهُ هُوَ أَنَّهُ رَجُلٌ .

– مم ، قَالَتْ بوني .

رَأَتِ الرَّجُلَ يَسيرُ فَوقَ السَّجَّادَةِ العشبيَّةِ وَشعَرَتْ بِالإحبَاطِ .

إِنَّهُ قَريبٌ جِدًا ، وَبَعيدٌ جِدًا .

استَدَارَ الرَّجُلُ .

– أينَ سَيذهَبُ؟ قَالَ تشارلز .

سَارَ الرَّجُلُ بِاتِّجَاهِ الشُّجيرَاتِ قُربَ المصعَدِ .

المصعَدُ!

– سَيقُومُ بِفعلِ شيءٍ مَا عِندَ المصعَدِ! قَالَتْ بوني .

أَنَارَ في تِلكَ اللحظَةِ بَرقٌ عَظيمٌ السَماءَ . وَلِلَحظَةٍ انتشَرَ النُّورُ في جَميعِ أَنحَاءِ المنتَزَه . وَرأَتْ عندَهَا بوني مَا يحملُهُ الرَّجُلُ بيدِهِ .

دُميَةً مَحشيَّةً عَلى هَيئَةِ دُبٍّ ، زَرقَاءَ اللونِ .

دُميَةً مَحشيَّةً تُشبِهُ تَمامًا الدُّميَةَ الَّتي حَمَلَهَا سِفان في الصُّورَةِ الَّتي نُشِرَتْ في الصَّحيفَةِ .

الفَصلُ الحادِي وَالعشرُون

عَمَّ الظَّلامُ ثَانيةً . احتمى الرَّجلُ خلفَ الشُّجيرَاتِ . بَقِي كُلٌّ مِنْ تشارلز وبوني في مَكانِهِ لِما يريدُ عن النّصف ساعَةٍ ينتظرَانِ ظُهورَهُ ثَانيَةً ، لَكنَّه لَمْ يَفعَلْ .

ارتَجفَ تشارلز مِن البرد ؛ من البرد والصَّمت اللذين يُخيِّمَانِ عَلَى العليَّةِ .

– أُراهِنُ عَلَى أَنَّهُ بول ، قالتْ بوني مُضطرِبَةً . وَلَا بُدَّ مِنْ أَنَّهُ سَيفعَلُ شَيئًا مَا بِالمصعَدِ .

– لَكنْ كَيفَ؟ قَالَ تشارلز . فَهوَ وَحدهُ ، لَا يمكنُهُ استخدَامُ المصعَدِ وَإِدارَةُ المرفَقِ الآليِّ في آنٍ مَعًا .

– رُبَّما فَاتَنَا شَيءٌ مَا ، قَالَت بوني . رُبَّما هُنَاكَ مَنْ يَنتَظرُهُ خَلفَ الشُّجيرَاتِ .

كَانَ تشارلز صَاحيًا تَمامًا وَلم يَعُدْ يَشعُرُ بِالنُّعاسِ عَلَى الإِطلَاقِ . إِنَّهُ مُتأكِدٌ الآنَ مِنْ أَنَّ الشَّخصَ الَّذي أَنَارَ ضَوءَ المَنارَةِ هُو الشَّخصُ الَّذي

اختَطَفَ سِفان . وَأَنَّ الشَّخصَ الذي أنارَ ضَوءَ المَنارَةِ هُوَ مُساعِدُ المنتَقِم .

– هَلْ نَنتَظِرُ حَتَّى يَومِ غَدٍ قَبلَ أَنْ نَخرُجَ؟ قَالَتْ بوني . أَمْ نَخرُجَ الآنَ في الحَالِ لِنَرى إِنْ كَانَ هُنَاكَ أَحدٌ خَلفَ الشُّجيرَاتِ؟

تَرَدَّدَ تشارلز ، وَرَأى أَنَّ بوني تَرَدَّدَتْ أيضًا .

– مَاذَا لَو وَجدْنَا أحدًا يَقفُ هُنَاكَ؟ قَال . مَاذَا سَنفعَلُ عِندَهَا؟

إِنَّهَا فِكرَةٌ مُخيفَةٌ . يَستطيعُ أيُّ شَخصٍ كَبيرٍ أَنْ يَدفَعَ بِهِمَا مِنْ فَوقِ حَافَّةِ الجرَفِ الصَّخريِّ ، فَيغرَقُ كُلٌّ مِنهُمَا في البحرِ عِندَهَا أَو يَتحَطَّمُ فَوقَ صُخورِ الشَّاطِئِ .

فَكَّرَ تشارلز بِالمنتقِمِ ذِي الرَّأسِ المفقُودِ ؛ بِهيئَتِهِ حينَ يَأتي عَلَى مَتنِ قَارِبِهِ . مُجرَّدُ التَّفكيرِ بِذلِكَ جَعلَ جِسمَهُ يَقشعِرُّ .

– دَعنَا نَنتَظِرُ إِلى يومِ غَدٍ ، أَليسَ كَذلِكَ؟ قَالَتْ بوني .

أَومَأَ تشارلز بِرأسِهِ مُوافِقًا .

لَا يُرِيدُ إِطلَاقًا الخروجَ إِلى المنتَزهِ بَعدَ مُنتَصفِ الليلِ . أَنْ يتحلَّى المرْءُ بِالذكَاءِ أَحيانًا ، أَفضَلُ مِنْ أَنْ يَتحلَّى بِالشَّجاعَةِ .

تَركَا العلِيَّةَ بِصُحْبَةِ فيني . أَدْخَلَتْ بوني فيني إِلى غُرفَتِهَا . يَبدُو أَنَّهَا لَا تُريدُ أَنْ تَنامَ وَحيدَةً .

– تُصبِحُ عَلَى خيرٍ ، قَالَتْ .

– تُصبِحينَ عَلَى خَيرٍ ، قَالَ تشارلز .

تَمنَّى لَو كَانَ في البَيتِ كَلبٌ آخرُ . وَجدَ السَّريرَ بَارِدًا حِينَ استلقَى عَلَيهِ . عَصفَتِ الرِّيحُ في الخَارِجِ . تَوقَّفَ البرقُ وَالرَّعدُ . حَالمًا أَغمضَ تشارلز عينَيهِ ، رَأى بول أَمَامَهُ .

– مَا الَّذي فَعلَهُ عِندَ المصعَدِ؟

وَقبلَ كُلِّ شَيءٍ : كَيفَ يَسْتَطِيعُ استِخْدَامَ المصعَدِ مِنْ دُونِ مُساعَدَةٍ مِنْ أَحَدٍ؟

لَا بُدَّ لَهُ مِن شَخصٍ يُقدِّمُ لَه يَدَ العونِ ، فَكَّرَ تشارلز .

أَو أَنَّهُ . . .

جَلَسَ تشارلز في سَريرِه مُستقيمًا كَعَمودٍ .

لِماذَا لَمْ يُفكِّرْ بالأمر مُسبقًا؟

رُبَّما لَمْ يَستقِلَّ بول المصعَدَ بِنفسِهِ . بَل رُبَّما استخدَمَهُ لإِيصَالِ شَيءٍ مَا إِلى شَاطِئِ البحرِ ؛ شيئًا ما يَتسلَّمهُ أَحدٌ مَا يَقفُ هُناكَ ؛ أَسفَلَ الجَرفِ الصَّخريِّ .

وَالَّذي يَقِفُ هُناكَ هُو المساعدُ الثَّاني لِلمُنْتَقمِ؟

وَلكن مَا الَّذي يَفعلُه ذلكَ الشَّخصُ -رَجُلًا كَانَ أَمِ امرأةً- عَلَى الشَّاطِئِ في وَقتٍ كَهذا؟

تَدافَعتِ الأفكَارُ في رَأسِهِ .

لَقَدْ وُضِعَ شَيءٌ مَا في المصعَدِ . تشارلز مُتأكِّدٌ تَمامًا مِنْ ذَلكَ . السُّؤالُ هُوَ مَنِ الَّذي استقبَلَ المصعَدَ عِندَمَا حَطَّ عَلَى الشَّاطِئِ ، وَأفرَغَهُ مِنْ مُحتويَاتِهِ .

مَرَّ دَهرٌ قَبلَ أَنْ يَغفُوَ تشارلز . حَلِمَ أَنَّ أَحدًا مَا طَارِدَهُ هُوَ وبوني في المنتَزهِ . وَأَنَّ فيني رَاحَ يعدُو كَالمعتُوهِ أَمَامَهُمَا ، ثُمَّ اختفَى فَجأةً . استَفَاقَ عِندَهَا تشارلز مِنَ النَّومِ .

استَفَاقَ مُبلَّلًا بِالعرَقِ عِندَ السَّاعَةِ السَّابِعَةِ ، وَرَأى أَنَّ الشَّمسَ أَشرَقَتْ

فِي الخَارِجِ. أَسرَعَ بِالنُّهوضِ مِنَ السَّريرِ وَارتَدَى مَلابِسَهُ، ثُمَّ دَخَلَ إِلى غُرفَةِ بوني. لَقَدِ اتَّفَقَا مُسبَقًا عَلَى أَنْ يُسرِعَا إِلى المَنَارَةِ وَالشُّجيرَاتِ فِي الصَّبَاحِ.

– هَلِ استَيقَظْتَ؟ قَالَ فِي اللحظَةِ الَّتِي طَرقَ فِيهَا البَابَ ثُمَّ فَتَحَهُ. (فاتحًا إيَّاهُ)

جَلسَتْ بوني فِي السَّرير تُقاوِمُ النُّعاس.

– عَلينَا أَنْ نَذهَبَ فِي الحالِ، قال تشارلز.

تَسلَّلَا بَعدَ خمسِ دقائِقَ عبرَ البَابِ الخَارجيِّ. مَازَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان نَائِمَةً. أَمَّا فيني فتركَاهُ فِي غُرفَةِ بوني.

– أَسرِعي، عَلينَا أَنْ نَسيرَ فِي الجِهَةِ الخَلفيَّةِ مِنَ المَنْزِلِ! قَالَ تشارلز.

سَادَ السُّكونُ المنتَزَهَ. نَظَرَا فِي أَرجَائِه بَحثًا عَنْ بول، لَكنَّهُمَا لَمْ يَجِدَا لَهُ أَثرًا هُنَاكَ، وَلَا أَثرَ لِألبا أَو دُوغلاس أَيضًا.

اختَبَأا فِي بِدَايَةِ الأَمرِ خَلْفَ كُوخِ حَارِسِ المَنَارَةِ الَّذي وَجدَاهُ مَهْجُورًا حِينَ نَظرَا عَبرَ النَّافِذَةِ إِلى الدَّاخِلِ. لَقَدِ اختَفَى تِرمُسُ القَهوَةِ مِنْ عَلَى الطَّاوِلَةِ. تَذكَّر تشارلز مَا قَالتهُ فَاطِمَةُ: «القَهوَةُ هِيَ الشَّرابُ الأَمثَلُ لِمن يُريدُ أَنْ يَسهَرَ.» رَكضَا نَحوَ المَنَارَة، واختَبَأا وَرَاءَ الجِهَةِ الخَلفيَّةِ مِنهَا. لَا يُمكِنُ رؤيتُهُمَا الآنَ إِلَّا مِنْ جِهةِ البَحرِ. لَمْ يُشَاهِدَا أَيَّ قَاربٍ هُنَاكَ. ثُمَّ إِنَّ المنتَقِمَ لَا يَأتي إِلَّا لَيلًا. مَاذَا لَو أَنَّهُ أَتى؟

تَسلَّلَا بِبطءٍ إِلى الشُّجيرَاتِ بِالقربِ مِنَ المصْعَدِ. نَظرَ تشارلز حَولَهُ طِيلَةَ الوقتِ. هَلْ مَا زَالَا وَحيدَينِ هُنَاكَ؟ أَلَا يَسمَعانِ أَصوَاتًا غَريبَةً؟ حَافَّةُ الجَرفِ الصَّخريِّ أَمامَهُمَا تَمامًا. يَدَا تشارلز بَارِدَتَانِ كَالثَّلجِ. لَو هَاجَمَهُمَا أَحدٌ الآنَ، لَمَا وَجدَا أَدنى فَرصَة لِلنَجاةِ.

وَصَلَتْ بوني إلى المصعَدِ أوَّلًا .

– انظُرْ! قَالَتْ .

تَكلَّمَتْ بِصوتٍ خَافِتٍ مُضطَرِبٍ .

– لَقَدْ أُنزِلَ وعَاءُ المصعَدِ نَحوَ الشَّاطِئِ . مَا زَالَ الوِعَاءُ مُعلَّقًا بحَبلِهِ أَسفَلَ الصَّخرَةِ .

تَمدَّدَ تشارلز عَلَى بَطنِهِ وَنظَرَ مِنْ فَوقِ حَافَّةِ الجَرفِ . رَأَى وِعَاءَ المصعَدِ فَوقَ رَفٍّ صَخريٍّ في الأَسفَلِ ، لَا يَزيدُ عُلوُّهُ عَنْ مِياهِ البحرِ أَكثَرَ مِنْ مترٍ وَاحِدٍ . لَمْ يَتمكَّنَا منْ رُؤيَةِ مَا إِذَا كَانَ هُنَاكَ شَيءٌ في دَاخِلِهِ .

– هَلِ الوِعَاءُ فارِغٌ؟ سأَلَ تشارلز .

مَدَّتْ بوني رأسَها لترى بشكْلٍ أفضَلَ ، لكنَّهَا لَمْ تَتَمكَّنْ مِنْ ذَلِكَ .

– لَسْتُ أَدرِي ، قَالتْ . لكِنْ . . . لِمَاذا يَكونُ فَارِغًا؟

– لِأَنَّ أَحدًا مَا أَتَى وأَفْرَغَ مُحتَويَاتِهِ ، قَالَ تشارلز .

– أَوْ لِأَنَّ أَحدًا مَا سَيأتِي وَيضَعُ فِيهِ شَيئًا مَا ، قَالَتْ بوني . يَجِبُ أَنْ يَأتِيَ ذَلِكَ الشَّخصُ مِنَ البحرِ ؛ لِأَنَّهُ لَا وَسيلَةَ إِلى الوصُولِ إِلى الشَّاطِئِ إِلَّا عَبرَ البحرِ .

حَكَّ تشارلز أَنفَهُ . نَهضَتْ بوني وَجَلَسَتْ عَلَى الأَرضِ .

– عَلينَا أَنْ نُحاوِلَ الهبُوطَ إِلى ذَلِكَ المَكَانِ ، قَالَتْ وَأَوْمَأَتْ بِرأسِهَا نَحوَ حَافَّةِ الجَرفِ . يُمكِنُ لِأَحدِنَا أَنْ يَجلِسَ في الوِعَاءِ ، وَيُنزِلَهُ الآخرُ بِواسِطَةِ المرفَقِ الآليِّ .

نَهضَ تشارلز وَجلسَ هُوَ الآخَرُ .

– هَلْ جُنِنتَ؟ قَالَ . لَا نَستَطيعُ القِيامَ بِذلِكَ . نَظرَ مِنْ فَوقِ حَافَّةِ

الجَرفِ الصَّخرِيِّ لِيرَى مِياهَ البَحرِ أسفَلَهُ ، وَقَدْ غَطَّاهَا الزَّبَدُ ، وَتَلاطَمَتِ الأَمواجُ بِقسوَةٍ عَلَى الصَّخرَةِ الَّتي هَبطَ وِعَاءُ المصعَدِ عَليهَا .

سَارَ نَحوَ المرفَقِ الأليِّ .

– لَنْ نَقوَى عَلَى فِعلِ ذَلِكَ .

أَمسَكَ بِالمقبَضِ الصَّدِئ وجرَّب أنْ يُدوِّرَهُ ، ثُمَّ تَعجَّبَ لِسهولَةِ الأَمرِ .

– إِنَّهُ يَعمَلُ! قَالَتْ بوني .

– لَكِنَّ الوعاء فارِغٌ الأن ، قَال تشارلز .

– نَعَمْ ، ولكِنْ . . . ، بَدأَتْ بوني .

ثُمَّ صَمتَتْ .

– هَلْ سَمِعْتَ؟ هَمَسَتْ .

شَحبَ لَونُ وَجهِهَا تَمامًا .

– أَحَدٌ مَا في الطَّريقِ إلى هُنَا!

سَمِعَ تشارلز أَيضًا عِندَهَا وَقْعَ خُطًى ثَقيلَةٍ تَقتَرِبُ مِنَ المصعَدِ .

– بِسُرْعَة ، إلى تَحتِ الشُّجيرَاتِ ، هَمَسَ تشارلز .

انْبَطَحَ كُلٌّ مِنهُمَا عَلَى بَطنِهِ ، وَرَاحَا يَزحَفَانِ إِلَى تَحتِ الشُّجيرَاتِ المُورِقَةِ الَّتي سُمِعَ حَفيفُهَا كُلَّمَا تَحرَّكَا . شَعرَ تشارلز أَنَّ الهَلَعَ كَادَ يَعتَريهِ تَمَامًا .

مَاذَا لَو اكتُشِفَ أَمرُهُمَا!؟

بِصَمْتٍ مُطْبِقٍ رَاقَبَا مَكَانَ المصعَدِ . لَمْ يَكَدْ تشارلز يَجرُؤُ عَلَى التَّنفُّسِ .

رَبَتَتْ بوني عَلَى ذِرَاعِهِ .

ظَهرَتْ أَمامَهمَا جَزمَةٌ عَالِيَةٌ ؛ جَزمَةٌ جِلديَّةٌ سَوداءُ اللونِ عَالِيَةُ السَّاقَينِ ، تعرَّفَ إِليهَا تشارلز في الحَالِ ؛ إِنَّهَا جَزمَةُ رُكوبِ الخَيلِ الَّتي

ينتَعِلُهَا بُول عَادَةً . وَهَا هُوَ يُمسِكُ بِالسَّوطِ في يَدِهِ .

ظَلَّ تشارلز مُمَدَّدًا في مَكَانِهِ وَكَأَنَّهُ تَحَجَّرَ . مَازَالَتِ الأَرضُ رَطِبَةً تَحتَ الشُّجيرَاتِ ، مُغطَّاةً بِندَى الليلِ . غَيرَ أَنَّ تشارلز لَمْ يَشعُرْ بِالبردِ الَّذي سَبَّبتْهُ سُترَتُهُ المُبلَّلَةُ .

سَارَ بول ذَهَابًا وَإِيابًا بِالقربِ مِنَ المصعَدِ ، وَكَأَنَّهُ يَتفحَّصُهُ . ثُمَّ أَمسَكَ بِمقبَضِ المرفَقِ الأليِّ ، تمامًا كَمَا فَعَلَ تشارلز قَبلَ لحظَاتٍ . وَتمامًا كَمَا فعلَ تشارلز ، تَوقَّفَ عَنْ ذلكَ عِندَمَا تحرَّكَ الوِعَاءُ .

شَعرَا وَكَأَنَّ بول وقفَ عندَ المصعَدِ دَهرًا كَامِلًا . لَمْ يَفعَلْ شَيئًا سِوى الوقُوفِ هُنَاكَ

إِنَّهُ يَعلَمُ ، فَكَّرَ تشارلز إِنَّهُ يعلمُ أَنَّنا مُنبَطِحَانِ هُنَا . يَنتَظِرُ فَقَطْ أَنْ نَخرُجَ مِنْ مَخبَئِنَا .

مَرَّتِ الدَّقَائِقُ . بَدَأَ تشارلز يَرتَجِفُ بِسبَبِ البردِ وَالخَوفِ . أَمسَكَتْ بوني بِيدِهِ . كَانَتْ يَدُهَا بارِدَةً كَالثَّلجِ ؛ كَيَدِهِ تمامًا .

غَادَرَ بُول المَكَانَ في نِهَايَةِ المَطَافِ . سَارَ بِبطءٍ بَعِيدًا عَنِ المصعَدِ . نَظَرَ كُلٌّ مِنْ تشارلز وَبوني إِلَى الآخرِ . لَمْ يَجرُؤْ أَيٌّ مِنهُمَا عَلَى الإِتيَانِ وَلَو بِصَوتٍ وَاحِدٍ ، لِحُسْنِ حَظِّهِمَا ؛ لِأَنَّ بول عَادَ فَجأَةً . تَوَقَّفَ عِندَ المصعَدِ وَنَظَرَ صَوبَ البَحرِ .

ثُمَّ قَالَ :

– حَذَارِ يَا أَولَادُ . يُشكِّلُ هَذَا الأَمرُ خَطرًا يُحدِقُ بِكُمَا ؛ خَطَرًا أَكبرَ بِكثيرٍ مِمَّا تَستَطيعَانِ تَصوُّرَهُ .

ثُمَّ استدَارَ وَغَادَرَ المَكَانَ .

الفَصلُ الثّاني وَالعشرُون

الماءُ سَاخِنٌ إلَى دَرَجةٍ جَعَلَتِ البُخَارَ يَتَكَاثَفُ إلى غَشَاوَةٍ غَطّتِ المرآةَ في الحَمّامِ. لَمْ تَرغَبْ بوني في إنهَاءِ حَمّامِهَا؛ فَقَدْ خُيِّلَ إليهَا أَنّهَا لَنْ تَشعُرَ بِالدِّفءِ ثَانِيةً. تَوقّفَتِ الجَدّةُ فيفيان عَنْ مُنَادَاتِهَا. قَرّرَ كُلٌّ مِنْ بوني وتشارلز أَنْ يَتَنَاوَلَا وَجبَةَ الفطُورِ بمفرَديهِمَا.

وِعَاءُ المصعَدِ عِندَ الجَرفِ الصّخريِّ مَوجُودٌ عِندَ شَاطِئِ البحرِ.

هُنَاكَ شَيءٌ مَا أَسفَلَ الصّخرَةِ؛ شَيءٌ ذُو أَهميّةٍ؛ شَيءٌ يُفسّرُ خُروجَ ذَلِكَ الشّخْصِ مِنَ المنارَةِ حَامِلًا دُميَةَ دُبٍّ زَرقَاءَ اللونِ.

إنّهُ سِفَان، فَكّرَتْ بوني. سِفَان هُنَاكَ رُبّمَا، أَسفَلَ الصّخرَةِ. في انتظَارِ المنتَقِم.

في تِلكَ الحَالَةِ، لَيسَ هُنَاكَ مُتّسعٌ مِنَ الوقتِ، يَتوجّبُ عَلينَا إيجَادُهُ.

جَلسَ تشارلز إلَى طَاوِلَةِ الطّعَامِ حِينَ نَزَلَتْ بوني مِنَ الطّابِقِ العلويِّ. كَانَتْ أَلبَا مُنهَمِكَةً بِتَكنِيسِ الصّالونِ بِواسِطَةِ المِكنَسَةِ الكَهرَبَائِيّةِ. وَدَخَلَتِ الجَدّةُ فيفيان المَرسَمَ. تَحدّثَتْ مِنْ هُنَاكَ إلى إبّه وَوالِدَةِ بوني.

لَقَدْ سَمَحَا لَهُمَا بِالبَقَاءِ فِي خَلِيجِ الظِّلِّ لِبِضعَةِ أَيَّام إِضَافِيَّةٍ . لَمْ يُوافِقْ إِبِّه عَلَى ذَلِكَ مِنْ دُونِ شجَارٍ طَبعًا ، لَكِنَّهُ وَافَقَ فِي نِهَايَةِ المَطَافِ .

– يَجِبُ أَنْ نَتَّصِلَ بِالشُّرطَةِ ، قَالَ تشارلز . نَستَطِيعُ أَنْ نُقدِّمَ مَعلومَاتٍ مِنْ دُونِ الإِفصَاحِ عَنْ هَوِيَّتِنَا ؛ أَنْ نَقولَ لَهُمْ إِنَّ عَليهم تَفتيشَ المَكَانِ أَسفَلَ صَخرَةِ النُّسورِ .

غَلَبَ الجُوعُ بوني الَّتي بَدَأَتْ تَتَنَاولُ شَطِيرَتَهَا . لَقَدْ حَضَّرَتْ أَلبَا شَرَابَ الحَلِيبِ بِالشُّوكُولاتَة لَهُمَا فَرَاحَا يَشرَبَانِهِ بِرشَفَاتٍ كَبِيرَةٍ .

– فِكرَةٌ جَيِّدَةٌ ، قَالتْ بوني . نَستَطِيعُ أَنْ نَتَّصِلَ حَالَ انتِهَائِنَا مِنْ تَنَاولِ الطَّعَامِ .

لَمَحَا دُوغلاس فِي الحديقة . سار إِلَى جَانِبِ النَّافِذَةِ ، وَهُوَ يَدفَعُ عَرَبَةً أَمَامَهُ . ابتَسَمَ حِينَ رأى بوني وتشارلز . ابتسَمَا لَهُ بِدورِهِمَا ، وَلَوَّحَ كُلٌّ مِنهُمَا بِيدِهِ لِلتَحيَّةِ .

– نَستَطِيعُ رُبَّمَا أَنْ نُخبر ألبا ودوغلاس أَيضًا ، قَالَتْ بوني . حَتَّى يَعرِفَ غيرُنَا أَيضًا بِمَا حدثَ .

لَكنَّ تشارلز لَمْ يُوافِقْهَا الرَّأي .

– عَلينَا فِي تِلكَ الحَالَةِ أَنْ نُخبِرَ الجَدَّةَ فيفيان أَيضًا ، قَالَ . ثُمَّ . . . مَاذَا لَدينَا مِنْ أَخبَارٍ؟ حَقِيقَةٌ؟ أَنَّنَا رُبَّمَا رَأينَا بُول عِندَ المصعَدِ خِلَالَ الليلَةِ المَاضِيةِ؟ وَأَنْ سِفان مَوجُودٌ رُبَّمَا أَسفَلَ صَخرَةِ النُّسورِ؟

– إِنَّنَا نَعلَمُ فِي الحَقِيقَةِ أَنَّنَا شَاهدْنَا بُول هَذَا الصَّبَاح ، قَالَتْ .

– لَكِنَّهُ لَمْ يَقُمْ بِعمَلٍ مُثيرٍ لِلشُّبهَاتِ عِندَهَا ، قَالَ تشارلز . أُفضِّلُ أَنْ نَتَّصِلَ وَنُدْلِيَ بِمعلُومَاتِنَا لِلشُّرطَةِ .

أَعَدَتْ بوني شَطيرَةً أُخرَى .

– أرَى أَنَّهُ مِنَ الأَفضَلِ أَنْ نَكتُبَ رِسَالَةً مِنْ مَجهُولٍ إِلَى الشُّرطَةِ ، قَالَتْ . إِذَا اتصلْنَا سَوفَ يَسمَعونَ صَوتَنَا وَيُدرِكونَ أَنَّنَا طِفلَينِ ، ثُمَّ إِنَّهم يَسْتَطِيعُونَ التَّوصُّلَ إِلى رَقَمِ المُتَّصلِ . الأمرُ ذَاتُهُ يَصحُّ في حَالِ أَرسَلْنَا بَرِيدًا إِلكترُونيًا . سَوفَ يَعرفُونَ مَنْ نحنُ . أُفضِّلُ أَنْ نَكتُبَ رِسَالَةً بِواسِطَةِ الحَاسُوبِ ، ثُمَّ نَضعَهَا في صُندوقِ بَريدِ الشُّرطَةِ . لَنْ يُدرِكُوا عِندَهَا أَنَّ المرسِلَ هُوَ نَحنُ .

أَومَأَ تشارلز برأسِهِ .

– هَذَا مَا سَنفعلُهُ ، قَالَ .

بَعدَ انتِهائِهِمَا مِنْ تَنَاولِ الطَّعَامِ ، كَتَبَا رِسَالَةً ، وَوضعَاهَا في ظَرفٍ أَبيضِ اللونِ . كَانَا وَاضِحَينِ تَمَامًا فِيمَا يَتعلَّقُ بِضيقِ الوقتِ . يَجبُ إِنقَاذُ سِفان في ذَلِكَ اليومِ . لَا يَعرِفَانِ أَينَ هُوَ بِالضَّبطِ ، لَكِنِ عَلَى الشُّرطَةِ أَنْ تتحقَّقَ مِنْ أَمرِ المصعَدِ . وَمِنْ أَمرِ مُعلِّمِ الفروسِيَّةِ بول . لَا بُدَّ مِنْ أَنَّ الشُّرطَةَ سَتَعْثرُ عَلَى سِفان عِندَهَا .

بَحثَتْ بوني عَنْ مَوقِعِ قِسمِ الشُّرطَةِ عَلَى خَارِطَةِ خَليجِ الظِّلِّ ، وَوَجدَتْ أَنَّهُ لَا يَبعُدُ كَثيرًا عَنْ مَوقِفِ الحَافِلَاتِ ، وَمَتجرِ التُّحَفِ . نَظرَتْ حَولَهَا بِقَلَقٍ عِندَمَا سَارَا فِي الطَّرِيقِ إِلَى أَسفَلِ صَخرَةِ النُّسورِ . تَمَنَّتْ أَلَّا يَراهُمَا بول . لَوْ رآهُمَا لَحَاوَلَ أَنْ يَمنَعَهُمَا عَنْ ذَلِكَ ، لَكِنَّ الوحيدَةَ الَّتِي رَأتْهُمَا هِيَ أَلبا . كَانَتْ قَدْ تَوقَّفَتْ عَنِ التَّنظيفِ وَخَرجَتْ لِتنشُرَ المَلَاءاتِ الَّتي غَسلَتْهَا . لَوَّحَتْ لَهُمَا بِيدِهَا حِينَ مَرَّا بِهَا .

– إِلَى أَينَ أَنتُمَا ذَاهِبَان؟ سَأَلَتْ .
تَرَدَّدَ كُلٌّ مِنْ بوني وتشارلز قَبْلَ أَنْ يُجيبَاهَا .
– إِلَى القَريَةِ فَحَسْبُ ؛ لِنقومَ بِأمرٍ مَا ، قَالَ تشارلر .
نَظرَتْ أَلبَا إِلى الظَّرفِ .
– رِسَالَةُ حُبٍّ؟ قَالَتْ وَابتَسَمَتْ .
– لَا ، لَيسَتْ بِالضَّبط ، قَالَ تشارلز .
حَدَّقَتْ بوني بالأرضِ أَمَامَهَا . أَليسَ مِنَ الأفضَلِ إِخبَارُ أَلبَا بِالحقِيقَةِ؟
اقتَرَبَتْ أَلبَا منهُما .
– لَقَدْ فَكَّرْتُ بِأمرِ ما ، قالتْ . مَا أَخْبَرْتُكُمَا بِهِ البَارِحَةَ ؛ عَنْ بُول ، لَنْ تُخبِرَا أَحَدًا بِهِ ، أليس كذلك؟
هَزَّتْ بوني رأسَها نفيًا
– لَنْ نُخبرَ أحدًا بالطَّبع ، تمتم تشارلز .
تَمَلْمَلَتْ بوني في مكانها . من الأفضَلِ أَنْ يَكونَ لَدَى الشُّرطَةِ شَكٌّ بِأمرِ بول مُسبَقًا . لِذَلِكَ سَأَلَتْ :
– هَلْ أَخبرْتِ الشُّرطَةَ بأنَّك رَأيتِهِ خَارجَ المَطعَمِ؟ لَيلَةَ اختفَاءِ البِنْتِ؟
تَجمَّدَتْ مَلَامِحُ وَجهِ أَلبا في الحَالِ .
– لَا ، لَمْ أَفعَلْ ذَلِكَ طبعًا ، قَالَتْ . أَعني ، رُبَّمَا مَرَّ مِنْ هُنَاكَ صُدفَةً . لَا يَجُوزُ أَنْ تُلَاحِقَهُ الشُّرطَةُ بِسبَبِ ذَلِكَ . ثُمَّ إِنَّ الشُّرطَةَ لَيسَتْ مَوضِعَ ثِقَةٍ . لَقَدْ قُلْتُ لَكُمْ ذَلِكَ حِينَ تَحدَّثْنَا سَابِقًا .
شَعرَتْ بُوني بِالحَرَارَةِ تَلتَهِمُ وَجنَتَيهَا .
– بِالطَّبعِ ، قَالَتْ .

– حَدَّقَتْ أَلبَا في عَينَيهَا بِحدَّةٍ .
– هَلْ تَنويَانِ الذَّهَابَ إِلى الشُّرطَةِ في القَريَةِ؟
حَدَّقَتْ بِالظَرفِ الأَبيَضِ في يَد تشارلز بِنظرَةٍ مُرتَابَةٍ .
– لَا ، قَالَتْ بوني . لَنْ نَفعَلَ ذَلِكَ .
نَظرَتْ أَلبَا إِليهِمَا طَويْلًا .
– حَسنًا ، قَالَتْ . سوف أَراكُمَا لَاحِقًا .
خَرجَتْ بوني برفقةِ تشارلز مِنَ المنتزَهِ وَسَارَا نُزُولًا في الطَّريقِ إِلى القريَةِ .
– رُبَّمَا هِيَ عَلى حَقٍّ ، قَالَ تشارلز . قَدْ يَكونُ الذَّهَابُ إِلى الشُّرطَةِ الآنَ ضَربًا مِنَ الغبَاءِ .
– لَكِنْ لَا بُدَّ لَنَا مِنْ طَلَبِ العونِ مِنَ الشُّرطَةِ ، قَالَتْ بوني . لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُوقِفَ أَحدٌ مَا بُول .
سَارَا بِصَمْتٍ عَبرَ شَوَارِعِ القريَةِ ، عَبرَ شَوَارِعِ القَريَةِ الهَادئَةِ الصَّامِتَةِ كَعَادَتِهَا . لَمْ يَكُنِ العثُورُ عَلَى قِسمِ الشُّرطَةِ صَعبًا . لَا بُدَّ مِنْ أَنَّهُ أَصغَرُ قِسمٍ لِلشُرطَةِ فِي العَالَمِ . بَدَا وَكَأَنَّهُ كشكٌ لِبيعِ شَطَائِرِ السُّجقِ ، لَا كَقسمِ شُرطَةٍ مِنْ حَيثُ الحَجمِ . نَظَرَا مِنَ النَّافِذَةِ ، وَلَمْ يُشَاهِدَا مَصَابِيحَ مُنَارَةً في الدَّاخِلِ وَلَا رِجَالَ شُرطَةٍ .
ارتَجَفَتْ يَدَا بُوني قَليلًا حِينَ وَضعَتِ الظَّرفَ في صُندوقِ البريدِ . تَسَاءَلَتْ مَتَى سَتعثُرُ الشُّرطَةُ عَلَى رِسالَتِهمَا ، وَمَا الإِجرَاءَاتُ الَّتي سَتقُومُ بِهَا بعدَ قِراءَتِهَا .
ثُمَّ عَادَا أَدرَاجَهُمَا وَسَارَا بِاتِّجَاهِ المَنزِلِ . عِندَمَا مَرَّا بِمَتجَرِ التُّحَفِ ، رَآهُمَا روبرت الوَاقِفُ إِلَى جَانِبِ البَابِ المَفتُوحِ .

– مَرحَبًا ، مُجدَّدًا ، قَالَ .

– مَرحَبًا ، قَالَتْ بوني .

بَدَا روبرت مُضطَرِبًا .

– هَلْ تَحدَّثتُمَا إِلى فَاطِمَةَ؟ قَالَ .

أَومَأَتْ بوني بِرَأسِهَا .

– م ، قَالَتْ .

ثُمَّ خَطَرَتْ لَهَا فكرَةٌ . وَجَدَتْ نَفسَهَا مُجبَرَةً عَلَى طَرحِ السُّؤَالِ .

– نُريدُ رُؤيَةَ صُورٍ قَديمَةٍ لِسكَّانِ خَليجِ الظِّلِّ ، قَالَتْ . هَلْ تَعرِفُ أَينَ نَجِدُ مِثلَ تِلكَ الصُّوَرِ؟

نَظرَ تشارلر إِلَيهَا مُتعجبًا .

– صُوَرٌ قَدِيمَةٌ لِسكَّان حليج الظِّلِّ؟ قَالَ روبرت . لَدَيَّ بَعضُ الصُّورِ ، لَكنَّهَا قَليلَةُ العَدَدِ .

– هَلْ تَسمَحُ لَنَا بِرؤيَتِهَا؟ سَأَلَتْ بوني بِحمَاسٍ .

– بِالطَّبعِ ، قَالَ روبرت ، لَكِنَّ صَوتَهُ بَدَا مُتَرَدِّدًا .

يَبدُو أَنَّهُ لَا يُريدُ لِقَاءَهُمَا أَكثَرَ مِمَّا تَدعُو إِليهِ الضَّرُورَةُ .

سَحَبَتْ بوني تشارلز مَعَهَا إِلى دَاخِلِ المَتجَرِ .

– مَاذَا . . .؟ بَدَأَ يَسأَلُ .

– يَجِبُ أَنْ نَجِدَ صُورًا قَدِيمَةً لِبُول ، هَمَسَتْ بوني فِي أُذنِهِ .

أَراهُمَا روبرت الخزانة وَفَتَحَ الدُّرَجَ الأَعلَى فِيهَا .

– لَدَيَّ هُنَا بَعضُ الصُّورِ القديمَةِ ، قَالَ . دَعونَا نَرَى .

أَخرَجَ مِنَ الدُّرجِ رزمَةً مِنَ الصُّوَرِ .

– عَليكُمَا توخّي الحَذَر عِندَمَا تُمسِكَانِ بِهَا . هَذِهِ الصُّورُ لِلبَيعِ . لَا أُرِيدُ أَنْ تَتَّسِخَ وَتظْهَرَ عَليهَا البُقَعُ .

قَلَّبَتْ بوني رزمَةً مِنَ الصُّوَرِ . أُصِيبَتْ بِخَيبَةٍ فِي الحَالِ . ظَهرَتْ أَمَاكِنُ مُختَلِفَةٌ فِي تِلكَ الصُّورِ وَعَدَدٌ قَليلٌ مِن النَّاسِ . أَمسَكَ تشارلز بِرزمَةٍ أُخرَى مِنَ الصُّورِ ، وَبَدَأَ يَتأَمَّلُهَا .

– هَلْ وَجدْتُمَا شَخصًا تَعرفانه؟ سَأَلَ روبرت .

– لَا ، قَالَتْ بوني .

لَكِنَّ تشارلز لَمْ يُجِبْهُ .

– آسِفٌ ، قَالَ لَهُ روبرت . الصُّورُ الَّتي أَعطَيتُكَ إِيَّاهَا مِنْ قَريَةِ سفارتهيد . انتَظِرْ قَليلًا ، سَأعطِيكَ صُورًا مِنْ خَليجِ الظِّلِّ .

فَتحَ روبرت دُرجًا آخرَ .

أَدرَكَتْ بوني فِي تِلكَ اللحظَةِ أَنَّ شَيئًا لَمْ يَكُنْ عَلَى مَا يُرَامُ . لَقَدْ شَحُبَ لَونُ تشارلز وَصَارَ أَشبَهَ بِلونِ الطَّبشُورِ الأَبيَضِ . كَانَ يُحدِّقُ فِي إِحدَى الصُّورِ .

– مَا بِكَ؟ قَالَتْ بوني بِصوتٍ مُنخَفِضٍ . هَلْ وَجَدْتَهُ؟

هَزَّ تشارلز رأسَهِ نَفيًا .

– كَمْ عُمرُ هَذهِ الصُّورِ؟ قَالَ .

– تَارِيخُ الصُّورِ مَوجُودٌ عَلَى ظَهرِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا .

قَلَبَ تشارلز الصُّورَةَ الَّتي كَانَتْ بَينَ يَديهِ .

– عَام 1901 ، هَمَسَ .

ثُمَّ أَرَى بوني الصُّورَةَ .

– انظرِي ، قَالَ .

أَخذَتْ بُوني الصُّورَةَ وَتَأَمَّلَتْهَا . صُورَةٌ بِاللونَينِ الأَبيضِ وَالأَسودِ ، كَبيرَةٌ إِلَى حَدٍّ مَا . ظَهرَ في خَلفيَّتِهَا بَيتٌ مِنَ القَرميدِ . وَأَمَامَ البيتِ وَقفَ شَخصَانِ فَارَقَتِ الابتِسَامَةُ وَجهَيهِمَا ، يَنظُرانِ إِلى عَدَسَةِ الكَامِيرَا مُباشَرَةً .

فَتَحَتْ بُوني فَاهَا تَحتَ وَقْعِ المُفَاجَأَةِ .

إِنَّهَا عَاجِزَةٌ تَمَامًا عَنْ تَصدِيقِ مَا رَأَتْ .

– هَلْ مِنْ مُشكِلَةٍ؟ سَأَلَ روبرت بِصَوتٍ يَشوبُهُ القَلَقُ .

– نَعمْ ، قَالَتْ بوني بصوْتٍ مَبحُوحٍ .

فَفِي الصُّورَةِ الَّتي التُقِطتْ عَامَ 1901 ، ظَهرَ كُلٌّ مِنْ أَلبَا وَدوغلاس .

الفَصلُ الثَالِثُ وَالعشرونَ

كَيفَ استَطَاعَا فَهمَ الأمُورِ عَلَى نَحوٍ خَاطِئٍ إِلَى هَذَا الحَدِّ؟

– لَقَدْ خُدِعنَا تَمامًا ، قَالَ تشارلز . بُول لَيسَ مُسَاعِدَ المنتَقِم . مَساعِدَاهُ هُمَا ألبا ودوغلاس . لَا بُدَّ مِنْ أَنَّكِ أَسأتِ فَهمَ مَا سَمعتِيهِ حينَ استرَقْتِ السَّمعَ إلى مَا دَارَ بينَهُمَا مِنْ حَديثٍ .

حَينَ نَطَقَ بِاسمِهِمَا التَفَتَ إِلى الخَلفِ خَوفًا مِنْ أَنْ يَجِدَ أَحدُهُمَا سَائِرًا خَلفَهُ .

إِنَّهُمَا في طَرِيقِ العَودَةِ إلى البيتِ الآنَ .

شَعرَ تشارلز بِالغثيانِ حِينَ اقترَبَا مِنْ صَخرَةِ النُّسورِ . لَسنَا في أَمَانٍ هُنَاكَ ، فكَّرَ . لَا أَحدَ مِنّا في أَمَانٍ هُنَاكَ .

– أَظنُّ أَنَّ بول وَغْدٌ في كُلِّ الأحوَالِ ، قَالَتْ بوني . مَا الَّذي فَعلَهُ عِندَ المصعَدِ هَذَا الصَّبَاحِ؟

– رُبَّمَا كَانَ يَفعلُ مَا فَعلنَاهُ نَحنُ ، قَالَ تشارلز .

فَكَّرَ في تِلكَ المرَّاتِ الَّتي غَضِبَ فِيهَا بول مِنهُمَا . وَفي تِلكَ المرَّاتِ

الَّتي كَانَ فِيهَا كُلٌّ مِنْ أَلبَا وَدوغلاس في غَايَةِ اللطْفِ مَعهُمَا . هَلْ تَظَاهَرَ كلٌّ مِنْ أَلبا ودوغلاس طَوالَ الوقْتِ؟ وَهَلْ بول لَئيمٌ فِعلًا؟ رُبَّما حَاوَلَ حِمَايتَهُمَا وَحَسبُ .

– عَلينَا أَنْ نَتأَكَّدَ مِنَ الأَمرِ ، قَالَتْ بوني . وَإِلَّا لَنْ أَجرُؤَ عَلى الثِّقَةِ ببول أَيضًا .

صَعُبَ عَليهمَا التَّفكيرُ بِأَلبا وَدُوغلاس كَشخصَينِ شِريرَينِ . أَنْ يُصدِّقَا بِأَنهمَا مِنْ عُمرِ المنتقِم ، أَنَهمَا عَمِلَا فِعْلًا في مَصنَعٍ لِلشُّموعِ مُنذُ مِئَةِ عَام .

الطَّريقُ صُعودًا إِلى صَخرَةِ النُّسورِ أَطوَلُ مِنَ المُعتَادِ هَذهِ المَرَّة . تَوَقَّفَتْ بوني عَنِ السَّيرِ حين مرَّا من أمام بَيتِ أَلبا ودوغلاس .

– هَلْ مِنْ أَحدٍ هُنا؟ قالتْ بصوتٍ مُنخَفِضٍ .

نَظرَتْ حَولَهَا وَكذلك فعل تشارلز كَانَ المُنتَزَهُ غَارِقًا في الصَّمتِ وَالسُّكونِ . لَكِنَّ ذَلِك لا يَعني أَنَّهُمَا في أَمَانٍ . قَدْ تَظهَرُ أَلبَا بِرفقَةِ دُوغلاس في أَيَّةِ لحظَةٍ .

– مَا رَأيكِ؟ قَالَ تشارلز مُتردِّدًا . هَلْ نَدخُلَ إِلَى مَنزِلهِمَا؟

– مم ، قَالَتْ بوني . عَلينَا أَنْ نتحقَّقَ مِنْ أَنَّهمَا لَا يُخبِّئَانِ سِفان هُنَاكَ ، أَو أَنْ نَجِدَ طَرفَ خَيطٍ يَقودنَا إِلَى مَكَانِهِ . رُبَّما أَخطَأنَا حِينَ رَكَّزْنَا عَلَى مَوضُوعِ المصعَدِ .

لَمْ تُعجِبِ الفكرَةُ تشارلز في البِدَايَةِ . مَاذَا يَفعلَانِ إِنْ رَآهمَا أَحدٌ هُنَاكَ؟

– أَليسَ مِنَ الأفضَلِ أَنْ نَذهَبَ إِلَى العرزَالِ أَوَّلًا؟ قَالَ . وَنَرى إِنْ كَانَا في الجِوَارِ؟

– بَلَى ، قَالَتْ بُوني وَرَاحَتْ تعدُو إِلى هُنَاكَ .

لَحِقَ تشارلز بِهَا . تَسلَّقَتْ بوني وَحدَهَا إلى العرزَالِ .

– هَلْ تَريْنَ شَيئًا مَا؟ سَأَلَ تشارلز .

بَدَأَ قَلبُهُ يَنبُضُ بِعنْفٍ ثَانِيةً . وَأَخَذَ يَلتَفِتُ حَولَهُ عِندَ سَمَاعِهِ أَيِّ صَوْتٍ .

– لَا ، قَالَتْ بوني . يبدُو كُلُّ شيءٍ هَادئًا كَالعَادَةِ .

نَزَلَتْ مِنَ العرزال وهرعا إلى بَيتِ ألبا ودوغلاس . ازدَادَتْ حَرَارَةُ الطَّقسِ ، وَشعرَ تشارلز بِالعَطَشِ . وَقفَ عَلَى رُؤوسِ أصابِعِهِ ، وَنَظَرَ إلى دَاخِلِ المنزِلِ عبرَ إحدَى النَّوافِذِ .

ماذَا لو كُنَا عَلَى خَطَأ ، فَكَّرَ تشارلز . سَأَمُوتُ خَجَلًا عندَهَا .

تَوجَّهتْ بُوني إِلَى البَابِ ، وَحَاوَلَتْ فَتحَهُ ، لَكنَّهَا وَجدَتْهُ مُقفَلًا بِالطَّبعِ .

– دَعينَا نَتفقَّدُ الجِهَةَ الخَلفيَّةَ ، هَمَسَ تشارلز لِبوني .

التَفَّا حَولَ المَنزِلِ وَشَاهَدَا أَنَّ النَّوافِذَ كُلَّهَا مُقفَلَةٌ .

– اللعنَة ، قَالَتْ بوني بِغضَبٍ . سَنضطَرُّ الآنَ لِأخذِ مِفتَاحِ البيتِ مِنْ أَلبا أَو دُوغلاس .

حَاولَ تشارلز فَتحَ النَّوافِذِ ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ يَفشَلُ فِي فَتحِهَا .

نَظَرَ إِلى النَّافِذَةِ الأَخيرَةِ الَّتي كَانَتْ أَعلَى مِنْ أَنْ يَتمكَّنَا مِنَ الوصُولِ إِليهَا ، وَأصغَرَ مِنَ النَّوافِذِ الأُخرَى .

تَذَكَّرَ تشارلز أَنَّهُ رَأَى كُرسيًا بِلَا ظَهرٍ أَمَامَ المَنزِلِ فَأسرَعَ إِلى هُنَاكَ لِإحضَارِهِ .

– النَّافِذَةُ صَغيرَةٌ لِلغَايةِ ، قَالَتْ بوني . لَا نَستَطيعُ الدُّخولَ مِنهَا .

لَكِنَّ تشارلز ظَنَّ أَنَّهَا مُخطِئَةٌ . ثُمَّ سعدَ جِدًّا حِينَ وَجدَ أَنَّ النَّافِذَةَ لَمْ تُغلَقْ تمامًا بَلِ استَطَاعَ فَتحَهَا مُبَاشَرةً عِندَ أَوَّلِ مُحَاوَلَةٍ .

وَقَفَ عَلَى رُؤوسِ أَصَابِعِهِ ، وَنظَرَ عَبرَ النَّافِذَةِ الَّتِي أَودتْ إِلَى الحَمَّامِ . هَذَا يُفسِّرُ عُلوَّهَا ، وَصِغَرِ حَجمِهَا مُقَارَنةً بِالنَّوافِذِ الأخرَى

حَاولَ أَنْ يَدفَعَ بِجَسدِهِ إِلَى أَعلَى ، وَاسنَدَ سَاعِدَيهِ علَى حَافَّةِ النَّافِذَةِ . لَكنَّهُ عَجزَ عَن الاستمرَارِ بَعدَ ذَلِكَ .

– انتَظِرْ ، سَوفَ أُساعِدُكَ! قَالَتْ بوني .

وَقَفَتْ خَلفَهُ ، وَضَغَطَتْ زَوجَ حِذَائِهِ وَسَاقَيهِ دَافِعَةً بِهِ إِلَى أَعلَى .

– وَاااهه ، قَالَ تشارلز عندمَا اختَفَى نِصفُ جِسدِهِ دَاخِلَ البيتِ .

– هَلْ تَستَطِيعُ الدُّخول؟ سَألَتْ بوني .

– سَأُجَرِّبُ ذَلِكَ ، أجابَ تشارلز .

حَاولَ أَنْ يَتحسَّسَ طَرِيقَهُ ، فَهوَ لَا يُرِيدُ أَنْ يَحطَّ عَلَى وَجهِهِ فَوقَ أَرضِ الحَمَّامِ . رَأَى العَمُودَ الَّذي يُثبِّتُ الدُّوشَ في الجِدَارِ إِلى جَانِبِ النَّافِذَةِ مُبَاشَرةً . إِنِ استطَاعَ الإِمسَاكَ بِهِ سَيتمَكَّن مِنْ سَحبِ بَقيَّةِ جَسدِهِ إِلَى الدَّاخِلِ ثُمَّ . . .

نَجحَ فِي ذَلِكَ!

وَجدَ نَفسَهُ فِي اللحظَةِ التَّالِيَةِ وَاقِفًا فِي حَمَّامِ أَلبا ودوغلاس .

– أَسرِعِي إِلَى الجِهَةِ الأَمَامِيَّةِ لأَفتَحَ لَكِ البَابَ! نَادَى لِبوني .

ارتَجَفَتْ يَدَا تشارلز وَهُوَ يَفتَحُ البَابَ لِتدخُلَ بوني .

– هَلْ مِنْ أَحدٍ هُنَاكَ؟ قَالَ .

هَزَّتْ بوني رَأسَهَا نَفيًا وَدَخَلَتِ إِلَى المَنزِلَ ، ثُمَّ أَقفَلَتِ البَابَ خَلفَهَا .

شَعرَ كُلٌّ مِنهُمَا بِالارتِبَاكِ لِدرَجَةٍ جَعلَتْهُمَا يَضحَكَانِ .

– عَلينَا البِدءُ بِالبَحثِ الآنَ ، قَالَتْ بوني .

– البَحثُ عَنْ مَاذَا؟ قَالَ تشارلز وَنظَرَ حَولَهُ .

– عَلينَا أَنْ نُخمِّنَ ذَلِكَ ، قَالَتْ بوني .

البَيتُ مُؤلَّفٌ مِنْ ؛ مَطبَخٍ وَغُرفَةِ نومٍ وَصَالَةٍ ، ثُمَّ الحَمَّامُ الَّذي دَخَلَ مِنهُ تشارلز . بَدَأَتْ بوني بالبَحثِ فِي المَطبَخِ ، وَبدَأَ تشارلز فِي الصَّالَةِ .

لَدَى أَلبا ودُوغلاس عددٌ مِنَ المَكتَبَاتِ الضَّخمَةِ . أَثَارَتِ الكُتُبُ قَلَقَ تشارلز . مَاذَا لَو كَانَ الخَيطُ الَّذِي يَبحَثُونَ عَنهُ فِي أَحَدِ تِلكَ الكُتُبِ؟ لَنْ يَعثرَا عَليهِ أَبدًا فِي تِلكَ الحَالَةِ . فَتَّشَ الأَريكَةَ بِسرعَةٍ ، وَتَحتَ السَّجَّادَةِ وَخلفَ التِّلفَازِ . لَيسَ لَديهِ مَا يَكفِي مِنَ الوقتِ لِتفتيشِ الكُتبِ ، لِذلِكَ اكتَفَى بِالنَّظَرِ خَلفَهَا فَقطْ ، حَيثُ لَمْ يَجِدْ سِوىَ الغُبَارِ وَالوَسَخِ .

أَثَارَتْ بوني ضَجَّةً فِي المَطبَخِ ، وَهِي تَنقُلُ الأَوَانِي وَالطَّنَاجِرَ . عَليهِمَا إِعَادَةُ كُلِّ شَيءٍ إِلى مَكَانِهِ حَتَّى لَا يُدرِكَ كُلٌّ مِنْ أَلبا وَدُوغلاس مَا جَرَى . رَاحَ تشارلز يَنظُرُ إِلَى الخَارِجِ مِنْ خِلَالِ النَّافِذَةِ طَوَالَ الوَقتِ كَي يَراهمَا إِنْ عَادَا إِلى البَيتِ . لَقَدْ مَرَّتِ الدَّقَائِقُ . لَنْ يَجرُؤَا عَلَى البَقَاءِ طَويلًا .

– هَلْ وَجدَتَ شَيئًا؟ سَأَلَتْ بوني .

– لَا ، قَالَ تشارلز .

دَخَلَا غُرفَةَ النَّومِ سَويًا . بَحثَتْ بوني خَلفَ أَوَانِي الزُّهورِ الضَّخمَةِ ، وَفتَّشَ تشارلز السَّريرَ . لَمْ يَبقَ أَمَامَهمَا سِوَى الخَزَائِنِ .

تَصبَّبَ تشارلز عَرَقًا ، وَمسَحَ جَبهَتَهُ .

– ابحَثي في الخِزَانَةِ اليُسرَى وَسَأبحَثُ في اليُمنَى ، قَالَ . عَلينَا أَنْ نُغادِرَ بَعدَ ذَلِكَ مُبَاشَرَةً .

كَانَتِ الخَزَائِنُ مَليئَةً بِالمَلَابِسِ وَالأَحذَيَةِ . لَامَسَ تشارلز القُمصَانَ وَالسُّترَاتِ بِحَذَرٍ ؛ قُمصَانَ وَسترَاتِ دُوغلاس ، ظَنَّ تشارلز . رَفعَتْ بوني رزمَةً مِنَ المَلَابِسِ ، ثُمَّ أَعادَتهَا إِلَى مَكَانِهَا . لَمْ يَجِدَا أَيَّ أَثَرٍ لِسفَان .

جَلسَ تشارلز في النِّهَايَة القُرفُصَاءَ ؛ لِيَرَى مَا سَيَجِدُ عَلَى أَرضِ الخِزَانَةِ ؛ أَحذِيَةً ثُمَّ أحذيةً ، ثُمَّ المَزِيدُ مِنَ الأَحذِيَةِ . لَكِنَّهُ رَأَى أَيضًا صُندُوقًا صَغيرًا صُنع من الكرتُون . أَخرَجَهُ مِنْ مَكَانِهِ مِنْ دُونِ أَنْ يَتردَّد ، ثُمَّ رَفَعَ الغطاء .

– انظُرِيْ يَا بوني! قال وحاول التقاط أنفاسه .

لَقَدْ وَجَدَ مُفكِّرَةً سميكةً سَوداءَ اللونِ في الصُّندُوقِ .

لَامَسَ تشارلز المُفكَّرَةَ بيدينِ مُرتَبِكَتَين حِينَ أَخرجَهَا مِنَ الصُّندُوقِ . يُوجَدُ تَارِيخٌ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ صَفحَاتِهَا . لَقَدْ عَثرَا عَلَى رُوزنَامَةٍ ؛ عَلَى رُوزنَامَةٍ تُغطِيهَا الكِتَابَةُ . وَقعَ الصُّندُوقُ عَلَى الأَرضِ . سُمِعَتْ في اللحظَةِ ذَاتِهَا أَصواتٌ خَارِجَ المَنزِلِ .

طَارَ كُلٌّ مِنْ تشارلز وبوني مِنْ مَكَانِهِ .

– لَقَدْ عَادَا! قَالَتْ بوني وَقَدْ سَيطَرَ عَليهَا الهَلَعُ .

أَعَادَ تشارلز الصُّندُوقَ إِلَى الخِزَانَةِ ، وَخَبَّأَ الرُّوزنَامَة تَحتَ سُترَتِهِ .

ثُمَّ سَمِعَا صَوتَ أَلبا :

– تَخيَّلْ ، عِندَمَا يَعودُ الخَريفُ ، كَمْ سَيكُونُ لَدَينَا مِنَ الأَعمَالِ الَّتي عَلينَا إِنجَازُهَا .

وَأجَابَهَا صَوتٌ آخَرُ :

– فَصلُ الخَريفِ يَروقُ لي ، وَللخَيلِ أَيضًا . الخَريفُ هُوَ الفَصلُ الَّذي أَركَبُ فِيهِ الخَيلَ بِكثرَةٍ .

– إِنَّهُ بول!

– في الحَقيقة ، قَالَ . هَلْ تَدلِّينَنِي عَلَى شَيءٍ مَا في ذَلِكَ الاتِّجَاهِ؟ إِذَا رَافَقتِنِي إلى هُناكَ . . .

بَدَتْ ألبا مُتَرَدِّدَةً .

– عَلَيَّ أَنْ أَقومَ بِعمَلٍ مَا دَاخِلَ المَنزِلِ . إِنَّني . . .

– لَنْ يَستَغرِقَ ذَلِكَ وَقتًا ، قَالَ بول . أَعدُكِ بِذلِكَ . إِنَّني أَتساءَلُ عَنْ أَمرٍ يَخصُّ حِبَالَ الغَسيلِ .

تَلاشَى صَوتُهُمَا . تَنَفَّس تشارلز الصُّعدَاءَ . لَقَدْ قَامَ بول بِإنقَاذِهمَا .

– تَعالَ ، هَمسَتْ بوني ، وَسحَبَتْ تشارلز مَعَهَا إِلَى الجِهَةِ الأُخرَى مِنَ المنزِلِ .

نَافِذَةُ الحَمَّامِ عَالِيَةٌ جِدًا وَلَنْ يَستَطِيعَا المُغَادَرَةَ مِنْ خِلَالِهَا كَمَا دَخلَا . لِذَلِكَ خَرجَا مِنْ نَافِذَةٍ أُخرَى . وَحِينَ صَارَا في الخَارِجِ ، رَاحَا يَعدُوَانِ بِاتِّجَاهِ البَيتِ كَأَنَّ مَسًا أَصَابَهمَا . شَعرَ تشارلز بِحرقَةٍ في صَدرِهِ حِينَ تَنفَّسَ . لَهثَ إِلى دَرَجَةٍ جَعلَتْهُ عَاجِزًا عَنِ التقَاطِ أَنفَاسِهِ . هَرِعَا في الحَالِ إِلَى غُرفَةِ تشارلز ، وَأَقفَلَا البَابَ خَلفَهمَا .

– سَوفَ يُلَاحِظَانِ أَنَّ إِحدَى النَّوافِذِ مَفتُوحَةٌ ، قَالَتْ بوني عِندَمَا

هَدَأَ رَوعُهمَا .

– وَسوْفَ يَفتَقِدَانِ الرُّوزنَامَةَ ، قَالَ تشارلز .

ثُمَّ وَضَعَ الرُّوزنَامَةَ عَلَى مَكتَبِهِ .

لَامَسَتْ بُوبي غِلَافَ الرُّوزنَامَةَ القَاسِيْ بِإِحدَى أَصَابِعِهَا . رُوزْنَامَةٌ سِرِيَّةٌ إِلى دَرَجَةِ اضطرّتْهُمَا لِأنْ يُخبِئَاهَا في الخِزَانَةِ . قَدْ يَتمَكّنَانِ أَخيْرًا مِنْ مَعرِفَةِ مَا فَعَلَهُ كُلٌ مِنْ أَلبَا وَدُوغلاس .

الفَصلُ الرَّابعُ وَالعشرُونَ

لَمْ يَفهَمَا بِدَايَةَ الأَمرِ مَا كَتَبَاهُ كلٌّ مِنْ أَلبَا ودوغلاس . دَوَّنَتِ المُلاحظَاتِ بِخَطٍّ مُتَعرِّجٍ تَصعُبُ قِراءَتُهُ . لِكنَّهُمَا تَعوَّدَا عَليهِ مَعْ مُرورِ الوقْتِ ، وَتمكَّنَا مِنَ القِراءَةِ جَيِّدًا في نِهَايَةِ المَطَافِ . وَعِندَهَا دَبَّ الذُّعرُ بِهمَا .

ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حَاوَلَ دوغلاس وَأَلبا اختِطَافَ سِفان .

ثَلاثَ مَرَّاتٍ!

جَرَتِ المُحاوَلَةُ الأُولَى عِندَمَا كَانَ سِفان في الرَّوضَةِ . وَفي المَرَّةِ الثَّانِيةِ عنْدَمَا كَانَ مَعَ وَالِدَيهِ في السُّوبرّ مَاركِتْ . وَفي المرَّةِ الثَّالِثَةِ عندَمَا كَانَ في نُزهَةٍ مَعَ وَالِدَيهِ .

وَفي المَرَّةِ الثَّالِثَةِ نَجَحَا في اختِطَافِهِ . وَقَدْ دَوَّنَا في ذَلِكَ اليومِ :

«س» في الحِفْظِ وَالصَّونِ . يَنتَظِرُ الآنَ في المَغَارَةِ حَتَّى يَأتِي «م» .

– حَرفُ السِّينِ كَمَا في اسمِ سِفان ، وَحرْفُ الميم كَمَا في المُنتَقِمِ ، قَالَتْ بوني .

تَمنَّتْ لَو كَانَ بِوسعِهِمَا إِقفَالُ بَابِ غُرفَةِ النَّومِ بِالمفتَاحِ . الآنَ وَقَدْ قَامَا بِقرَاءَةِ الرُّوزنَامَةِ ، بَاتَا مُتَأكِّدَينِ مِنْ أَنَّ أَلبَا وَدُوغلاس هُمَا فِعْلًا مُسَاعِدَا المُنتَقِم . وَأَنَّ عُمْرَ كُلٍّ مِنهُمَا يَزِيدُ عَنْ مِئَةِ عَامٍ .

بَدَأَتْ بوني تَرتَجِفُ لِمُجَرَّدِ التَّفكِيرِ بِذَلِكَ . لَنْ تَجِدَ هِي وَتشارلز الأَمَانَ بَعدَ الآن في صَخْرَةِ النُّسورِ . كَمَا قَالَتِ السَّيِّدَتَانِ المُسنَّتَانِ في اليومِ الأَوَّلِ لِقدُومِهِمَا . لَا أَحَدَ يَنعمُ بِالأمَانِ في خَلِيجِ الظِّلِّ .

عَبَسَ تشارلز ، وظهرَتْ طَيَّاتُ الجِلدِ فَوْقَ جَبْهَتِهِ .

– عَنْ أَيَّةِ مَغارةٍ يَتحدَّثَانِ؟ قَالَ .

لَيسَ لَدَى بوني أدنى فكرة عنْ ذَلِكَ . لَكنَّهَا تَجمَّدَتْ مِنَ البردِ لِمُجرَّدِ قِرَاءَةِ كَلِمَةِ مَغَارَةٍ . سفان موجُودٌ في مغارةٍ . لَا بُدَّ مِنْ أَنَّهُ وَحِيدٌ وَيَائِسٌ . لَيسَ بِمقدُورِهَا أَنْ تتخيَّل وضْعًا أسوأ مِنْ ذَلِكَ .

كُلُّ صَفْحَةٍ مِنْ صَفحَاتِ الرُّوزْنَامَةِ مُخصَّصَةٌ لِيومٍ مُعيَّنٍ . وَفِي كُلِّ يَومٍ تُدوِّنُ أَلبَا أَوْ دوغلاس مُلاحَظَاتٍ جَدِيدَةً . بَعدَ مُرورِ يَومَينِ عَلَى اختفَاءِ سِفان ، كَتَبَا :

«سَعادَتُنَا كَبيرَةٌ بِزِيَارَةِ حَفيدَيٍّ ليليان .
نَأمَلُ أَنْ يَمكُثَا هُنَا لِأُسبُوعٍ وَاحِدٍ ، وَإلَّا يَجِبُ إِبعَادُهُمَا .»

«وَإِلَّا يَجِبُ إِبعَادُهُمَا!» شَعَرَتْ بُوني بِالحُزْنِ وَالخوْفِ مَعًا . شَعرَتْ بِالخوْفِ لِأَنَّ جَدَّتَها فيفيان رَتَّبَتْ لِمكوثِهِمَا لِفترَةٍ أَطولَ مِنْ أُسبُوعٍ . وَشعرَتْ بِالحزْنِ لِأَنَّهُمَا لَمْ يَروقَا أَبَدًا لِألبا وَدُوغلاس . لَقَدْ تَظَاهَرَا بِمَحبَّتِهِمَا وَحسبُ .

وَعَلَى صَفْحَةِ اليومِ ذَاتِهِ وَجدَا مُلَاحَظَةً أُخرَى .

«مُستَوَى المَاءِ يَرتَفِعُ بِسبَبِ الأَمطَارِ . سَيصِلُ المَاءُ قَرِيبًا إِلَى المَغَارَةِ . إِشَارَةٌ جَدِيدَةٌ مِنَ المَنَارَةِ .»

حَدَّقَ كُلٌّ مِنْ تشارلز وَبوني في الآخَرِ .

– تَقَعُ المَغَارَةُ عَلَى شَاطِئِ البَحْرِ ، قَالَ تشارلز .

– وَسوفَ تغمُرُهَا المِيَاهُ قَرِيبًا ، قَالَتْ بوني .

الوَضْعُ فَظِيعٌ إِلَى دَرَجَةٍ تَجْعَلُ مُجرَّدَ التَّفكِيرِ بِهِ أَمْرًا يَكَادُ يَكونُ مُستَحِيلًا . إِمَّا أَنْ يَتعرَّضَ سِفان لِلغَرَقِ ، أَوْ يَأتي المُنتَقِمُ لِيأخُذَهُ . وَسوفَ يَموتُ في كِلْتَا الحَالَتَينِ .

– عَلينَا أَنْ نُنْقِذَهُ ، قَالَتْ بوني . لَيسَ لَدَينَا خَيارٌ آخَرُ!

شَعَرَا بِالنَّدَمِ عَلَى تَسرُّعِهِمَا في كِتَابَةِ الرِّسَالَةِ لِلشُّرطَةِ . فَلَدَيهِمَا الآنَ قَدرٌ مِنَ المَعْلُومَاتِ أَكبرُ بِكَثِيرٍ .

تَصفَّحَتْ بوني الرُّوزْنَامَةَ ، تَقدُّمًا في تَرتِيبِ الأَيَّامِ الَّتي مَرَّتْ . حَيثُ كَانَتِ الرِّيحُ عَاتِيَةً وَتَأَخَّرَ المُنتَقِمُ بِالمَجِيءِ . لَكِنْ في نِهَايَةِ المَطَافِ ، عِندَ تَارِيخِ اليَوْمِ ، كَتَبَ أَحدُهُمَا :

«نَحنُ الآنَ مُتأكِدَانِ ، سَوفَ يَأتي الليلَةَ . عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَ مَا نَفعلُهُ عَادَةً ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وُجودِ حَفِيدَيِّ فيفيان هُنَا .»

لَا بُدَّ مِنْ أَنَّهُمَا دَوَّنَا تِلْكَ المُلَاحَظَةَ صَباحَ اليَومِ . أَفْلَتَ تشارلز قَبضَتَهُ

عَنِ الرُّوزنَامَةِ كَأَنَّهَا تُسَبِّبُ لَهُ بِحرْقٍ فِي اليَدَينِ .

– اللَيْلَةَ ، قَالَ بِصوْتٍ مَبحُوحٍ . المنتَقِمُ سَيأتي اللَيلَةَ!

تَفَاقَمَتْ كَمِيَّةُ الأَفكَارِ الَّتِي تَزَاحَمَتْ فِي رَأسَيْهِمَا . مِنْ أَينَ يَأْتِيانِ بالوقْتِ الكَافِي لإِيقَافِ كُلِّ شَيءٍ؟ وَهَلْ يَستَطِيعَانِ فِعْلَ ذَلِكَ بِمُفْرَدَيهِمَا؟ كَيفَ يَجْعَلَان شَخْصًا آخَرَ يُصَدِّقُ حِكَايَةَ المُنتَقِمِ؟

– حَسنًا ، قَالَتْ بوني . يَجِبُ أَنْ نَضَعَ خُطَّةً . نَعْلَمُ أَنَّ المُنتَقِمَ يَأْتِي أَثنَاءَ اللَيْلِ فَقطْ . لَدينَا إِذًا فَترَةَ اليَوْمِ حَتَّى وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنَ المَسَاءِ كَيْ نُنْقِذَ سِفَان . هَلْ نُرسِلُ رِسَالَةً جَدِيدَةً لِلشرْطَةِ؟ كَيْ يَفهَمُوا أَنَّ عَليهِمُ البَحْثَ عَنْ مَغَارَةٍ؟

هَزَّ تشارلز رَأسَهُ . لقدْ شَحُبَ لَونُهُ حَتَّى ابيَضَّتْ شَفَتَاهُ .

– لَا أَظُنُّ أَنَّ لَدينَا الوقْتَ الكَافِيَ لِذَلِكَ . لَدَيْنَا سَاعَاتٌ مَعْدُوْدَةٌ فَقطْ . ثُمَّ إِنَّ قسمَ الشُّرطَةِ بَدَا مَهْجُورًا تَمَامًا .

عَضَّتْ بُوني عَلَى شَفَتِهَا . المَغَارَةُ قَرِيْبَةٌ مِنَ المَاءِ . هَذهِ مَعْلُومَاتٌ غيرُ كَافِيَةٍ . قَدْ تَكونُ المَغَارَةُ فِي أَيِّ مَكَانٍ مِنْ عَلَى شَاطِئِ البَحْرِ .

– نَسْتَطِيعُ رُبَّمَا أَنْ نعدُوَ إِلَى قسمِ الشُّرْطَةِ ، وَنُقدِّمَ لَهمُ الرُّوزْنَامَةَ ، قَالَتْ .

لَكِنَّ تشارلز ظَلَّ مُتَرَدِّدًا .

– إِذَا قَدَّمْنَا لَهُمُ الرُّوزْنَامَةَ ، عَلينَا أَنْ نُخْبِرَهُمْ بِأَنَّنَا قُمْنَا بِسرِقَتِهَا أَيْضًا ، قَالَ بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ .

وَافَقَتْهُ بوني الرَّأْيَ . فَكْرَتُهَا لَيْسَتْ جَيِّدَةً ، وَقَدْ تُؤَدِّيْ إِلى وَضْعِهِمَا فِي دَائِرَةِ تَحْقِيقَاتِ الشُّرطَةِ ، وَإِلَى اختِفَاءِ سِفان إِلَى الأَبَدِ .

– كَيفَ نَعثُرُ عَليهِ؟ قَالَتْ . كَيفَ نَتَمَكَّنُ مِنْ إِيجَادِ المَغَارَةِ؟
عَادَ تشارلز لِتَصفُّحِ الرُّوزْنَامَةِ .
– نَستَطِيعُ رُبَّمَا أَنْ نَستَعيرَ قَارِبًا مِنْ أَحَد ، قَالَ . وَأَنْ نُبحِرَ عَلَى طُولِ السَّاحِلِ . لَا بُدَّ مِنْ أَنَّنَا سَنَرَى المَغَارَةَ عَاجِلًا أَمْ آجِلًا .
لَكِنَّ بوني لَمْ تُوافِقْهُ الرَّأيَ
– القَوارِبُ تَمُرُّ مِنْ هُنَا طِيلَةَ الوَقْتِ ، قَالَتْ . لِمَاذَا لَمْ يَرَ أَحَدٌ المَغَارَةَ حَتَّى الآنَ إِنْ كَانَ اكتِشَافُهَا أَمْرًا سَهْلًا؟
– رُبَّمَا شَاهَدُوهَا ، قَالَ تشارلز . لَكِنَّهُمْ لَا يَعلَمُونَ أَنَّ سِفَان مَسجُونٌ هُنَاكَ .

نَظَرَتْ بُوني إِليهِ .
لَا بُدَّ مِنْ أَنَّ الأَمْرَ كَذَلِكَ بِالطَّبعِ . لَا بُدَّ مِنْ أَنَّ المَغَارَةَ مَعْرُوفَةٌ لِسكَّانِ خَليجِ الظِّلِّ . المُشْكِلَةُ أَنْ لَا أَحَد يُدْرِكُ أَنَّهَا تُستَخْدَمُ كَسِجْنٍ أَيْضًا .
– عَلَيْنَا أَنْ نَسْأَلَ أَحدًا مَا ، قَالَتْ بوني بِحمَاسٍ . عَلينَا أَنْ نَسْأَلَ عَنْ مَغَارَةٍ تَقَعُ بِالقُرْبِ مِنْ مَاءِ البَحْرِ .
– مَغَارَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ مَاءِ البَحْرِ يَصْعُبُ الوُصُولُ إِلَيْهَا ، قَالَ تشارلز . وَإِلَّا لَمَا اختَارَهَا كلٌّ مِنْ أَلْبَا وَدُوغلاس لِإِخفَاءِ سِفَان هُنَاكَ .
تَعَالَى عِوَاءُ فِينِي فِي المُنْتَزَهِ فِي تِلْكَ اللحْظَةِ . سَارَ تشارلز وَبُوني بِاتِّجَاهِ النَّافِذَةِ ، وَشَاهَدَا فِيني يُطَارِدُ أَرْنَبًا فَوْقَ سجَّادَةِ العُشْبِ . عَلَى مَسَافَةٍ مِنْهُ وَقَفَ دوغلاس صَارِخًا بِأَنَّ عَلَيهِ أَنْ يَتَوقَّفَ عَنْ فِعْلِ ذَلِكَ . كَادَتْ بُوني تَعجَزُ عَنِ النَّظَرِ إِليهِ . إِنَّهُ رَجُلٌ لَا يَمُوتُ ، وَرَجُلٌ خَطِيرٌ .
– لَنْ أَجرُؤَ عَلَى النَّومِ هُنَا ثَانِيَةً ، فَكَّرَتْ بُوني .

ثُمَّ استَدَارَتْ نَحْوَ تشارلز .

– مَاذَا سَنَفْعَلُ بِالرُّوزْنَامَةِ؟ قَالَتْ بِصوْتٍ مُنْخَفِضٍ .

– عَلَيْنَا أَنْ نُخَبِئَهَا ، قَالَ تشارلز . فِي مَكَانٍ لَا يَبْحَثُ فِيهِ أَحَدٌ عَنْهَا .

– فِي غُرْفَةِ نَوْمِ جَدَّتي فِيفيان ، قَالَتْ بوني .

– مَاذَا؟ قَالَ تشارلز . لَكِنَّ جَدَّتَكِ لَا تَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ الرُّوزْنَامَةِ وَالمَغَارَةِ .

– وَلِذَلِكَ سَنُخَبِئُهَا هُنَاكَ ، قَالَتْ بُوني . سَيقُومُ كُلٌّ مِنْ أَلْبَا وَدُوغْلاس بِالتَّفْتِيشِ فِي غُرَفِنَا ، لَكِنَّهُمَا لَنْ يُفَتِّشَا غُرْفَةَ جَدَّتي . سَوْفَ نُخَبِئُهَا فِي مَكَانٍ لَا تَرَاهَا فِيهِ .

أُصِيبَتْ بوني بدوَارٍ تحت وطْأة الذُّعْرِ . مَاذَا سَيفْعَلُ كُلٌّ مِنْ أَلْبَا ودوغلاس حِينَ يَكْتَشفانِ أَنَّ الرُّوزْنَامَةَ اختَفَتْ؟

– عَلَينَا أَنْ نَكوْنَ علَى أُهْبَةِ الاستِعدَادِ ، قَالَتْ بُوني . سَوفَ نُجبَرُ عَلَى الكَذِبِ .

– أَوْ رُبَّمَا لَا ، قَالَ تشارلز . أَعْنِي ، مَاذَا سَيَقوْلُ كُلٌّ مِنْ أَلْبَا وَدُوغلَاس؟ إِنَّنَا سَرقْنَا رُوزْنَامَةَ القَتْلِ مِنهُمَا؟

ثُمَّ هَزَّ رأسَه .

– لَا أَظُنُّ أَنَّهمَا سَيقولَانِ وَلَوْ كَلمَةً وَاحِدَةً ، قَالَ . إِذَا قَامَا بِتَفْتِيشِ غُرْفَتِنَا ، سَيقُومَانِ بِذلِكَ أَثْنَاءَ غِيابِنَا .

– علينَا أَنْ نَتَنَاوبَ عَلَى الحِرَاسَةِ رُبَّمَا ، قَالَتْ بُوني .

– لِمَاذَا؟ قَالَ تشارلز . سَوفَ نُخَبِّئُ الرُّوزنَامَةَ فِي غُرفَةِ الجَدَّةِ فيفيان كَمَا قُلْتِ . وَلِيفْعَلَا فِي غُرْفَتِنَا مَا شَاءَا بَعْدَ ذَلِكَ .

بَدَا كَلَامُهُ مَعْقُولًا . لَكِنَّهُمَا لَمْ يَحُلَّا مُعضِلَةَ إِيجَادِ مَكَانِ المَغَارَةِ بَعْدُ .

– مَنْ نَسأَلُ ، في رَأْيِكَ؟ قَالَتْ بوني . عَنْ مَكَانِ المَغَارَةِ ، أَتكلَّمُ .

هَزَّ تشارلز كَتفَيهِ .

– بُول ، رُبَّما؟ قَالَ .

هَزَّتْ بُوني رأسَهَا نَفْيًا في الحَال .

– مَا زِلْتُ لَا أَثِقُ به ، قالَتْ . لَيْسَ بَعْدَ مَا قَالَهُ عِندَ المصعَدِ .

– تَعنِينَ حينَ وَجَّه تحْذِيرَهُ إلَيْنا؟ قَالَ تشارلز .

– أَجَلْ ، قَالَتْ بوني . وَجَّهَ تَحذِيرَهُ إِلينَا . . . كَانَ ذَلِكَ أَقْرَبُ إِلى التَّهدِيدِ مِنه إِلَى التَّحذِيرِ في رَأْيِي . إِنَّهُ لَا يُريدُ رُؤْيَتَنَا عِندَ المصعَدِ ثَانِيةً عَلَى الإِطلَاقِ .

– لَكِنِّي لَا أَظُنُّ أَنَّ بُول مُتورِّطٌ ، قَالَ تشارلز بِصوْتٍ مَلَأَهُ بِالعنَادِ . لَا أَظُنُّ أَنَّ الشَّخصَ الَّذي رَأَينَاهُ عِندَ المَنَارَةِ حامِلًا دُميَةَ الدُّبِ هُوَ بُول ، بَلْ دُوغلَاس .

في اللحْظَةِ الَّتي أَنْهَى فِيهَا تشارلز كَلَامُه ، أَدْرَكَتْ بُوني الأمرَ الَّذي فَاتَهُمَا .

– المصعَدُ! هَمَسَتْ .

نَظَرَ تشارلز إِليهَا .

– نَعمَ؟ قَالَ .

– المصعَدُ ، قَالَتْ ثَانيةً . لَا بُدَّ مِنْ أَنَّ المَغَارَةَ تقعُ بِالقُرْبِ مِنْ مَكَانِ هُبوطِ المصعَدِ ، بِالطَّبعِ ؛ أَسفَلُ الجَبلِ ، بِالقُربِ مِنَ الشَّاطِئِ .

الفَصلُ الخَامِسُ والعشرون

شَعرَ تشارلز أَنَّ فتْرة بعد الظَّهيرة تلْكَ هِيَ الأطولُ في حَياتِهِ . تَرَكَ غُرفَتَهُ بِرفْقَةِ بوني فقطْ عندما ذهبا ليُخبأا الرُّوزْنامَةَ تحتَ فِرَاشِ الجَدَّةِ فيفيان . ثُمَّ عَادَا وَأغلَقَا البَاب على نفْسيهِمَا . لَمْ يَخرُجَا إِلَّا عِندَمَا قَالَتْ أَلْبَا إِنَّ طَعَامَ العَشَاءِ كَانَ حاضرًا .

هَبَطَا الدَّرَجَ بِحَذَرٍ ، وَجَلَسَا إِلَى مَائِدَةِ الطَّعَامِ . بَدَتِ الجَدَّةُ فيفيان كَعَادَتِهَا . كَذَلِكَ فَعَلَ كُلٌّ مِنْ أَلبَا وَدُوغلاس . تَعجَّبَ تشارلز لِأَمْرِهِمَا . أَلَمْ يَكْتَشِفَا اختِفَاءَ الرُّوزْنَامَةِ؟

أَمَّا هُوَ فَقَدْ كَانَ مُضطَرِبًا إِلى دَرَجَةٍ جعلتْهُ بِالكَادِ يَذْكُرُ اسمَهُ .

– هَلْ سَمِعْتُما عَمَّا حَدَثَ في القَريَةِ؟ قَالَتِ الجَدَّةُ فِيفيان .

بَدَأَ تشارلز يَنْتَظِرُ . قَدْ يَحدُثُ أَيُّ شَيءٍ بَينَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ في القَريَةِ .

– هَلْ تُفكِرينَ بِحَدَثٍ مُعيَّنٍ؟ سَأَلَتْ أَلبَا .

– السَّرِقَةُ الَّتي حَدَثَتْ في مَتْجَرِ التُّحَفِ ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان .

نَظَرَ كُلٌّ مِنْ بوني وتشارلز إِلَى الآخَرِ بِقَلَقٍ .

– لَسْتُمَا بِحَاجَةٍ لِلشعورِ بِالقَلَقِ يَا أَوْلَادُ ، قَالَ دوغلاس وَغَمزَ بِعيْنِهِ لَهُمَا . يُوجَدُ لُصوصٌ في كُلِّ مَكَانٍ .

ارتَجَفَتْ يَدُ تشارلز بِوضُوحٍ حِينَ رَفعَ الكَأْسَ لِيشْرَبَ قَليلًا مِنَ المَاءِ .

– مَاذَا أَخذَ اللصُوصُ؟ قَالَتْ بوني .

– هَذَا مَا يُثيرُ العجَب ، قَالتِ الجدَّةُ فيفيان . تَعلَمُونَ أَنَّ صَاحِبَ المتْجَرِ يُغلِقُهُ دَائمًا عندَما يَذْهبُ لِتَناولِ وَجْبَةِ الغَدَاءِ . عِندَمَا عَادَ اليوْمَ ، وَجَدَ أَنَّ اللصُوص كَسَرُوا البَابَ وَدَخلُوا المتْجرَ . لَكنَّهُ لَمْ يَستَطِعْ مَعْرِفَةَ مَا أَخَذُوهُ . لَقَدْ قَامُوا بِقَلْبِ كُلِّ مَا في المَكَانِ رَأْسًا عَلَى عَقِبْ .

توَقَّفَ تشارلز عَنِ التَّنفُّسِ .

– عَنْ مَاذَا بَحثُوا يَا تُرى؟ سَأَلَتْ بوني .

– لَا أَحَد يَعْلَمُ ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . إِنَّهُ تَصرُّفٌ في غَايَةِ الوقَاحَةِ ، في كُلِّ الأَحوَالِ .

لَمْ يَنطُقْ تشارلز بِكَلِمَةٍ بَعدَ ذَلِكَ . كَانَ مُتَأكِدًا مِنْ أَنَّهُ يَعرِفُ مَنْ هُمُ اللصُوصُ . ثُمَّ فَقدَ فَجْأَةً مَا تَبقَّى لَدَيهِ مِنْ شَهيَّةٍ .

– أَلَسْتَ عَلَى مَا يُرَام ، يَا تشارلز؟ قَالَتْ أَلبا .

– بَلَى ، هَمَسَ تشارلز مِنْ دُونِ أَنْ يَجرُؤَ عَلَى النَّظرِ إِليهَا .

– مَاذَا قَالَتِ الشُّرطَةُ عَنِ الحَدَثِ؟ قَالَتْ بوني بِصوْتٍ عَالٍ وَحَادٌ .

– الشُّرْطَةُ؟ قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . الشُّرطَةُ تَأتي مَرَّةً في الأُسْبُوعِ فَقط . أَظنُّ أَنَّهُمْ يَأْتُونَ في أَيَّامِ الاثنَينِ .

حَاولَ تشارلز أَنْ يلتَقطَ أَنْفَاسَه . لَنْ تَحصَلَ الشُّرطَةُ إِذًا عَلى الرِّسَالَةِ

الَّتي تَركَهَا هُوَ وبوني في صُنذُوقِ بَريدِهِمْ إلَّا بَعدَ فَواتِ الأَوانِ .

– لَكنَّهم يَبحَثُونَ عَنْ سِفان ، أَليسَ كَذلِكَ؟ قَالَ مُتلعثمًا .

– مَنْ يَبْحَثُ عَنْ سِفان لَيسَتْ شُرطَةُ خَليجِ الظِّلِّ ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . بَلْ شُرطَةُ قَريَةِ سفارتهيد هِيَ مَنْ تَقُومُ بِذَلِكَ .

هَذَا هُوَ السَّبَبُ وَرَاءَ صِغَرِ مَساحَةِ قِسمِ الشُّرطَةِ إِذًا . لَا أَحدَ يَعْمَلُ هُنَاكَ . لَيسَ لِأَكثَرِ مِنْ مَرَّةٍ في الأَسبوعِ عَلى كُلِّ حَالٍ .

أَجبَرَ تشارلز نَفسَهُ عَلَى مُتَابَعَةِ تَنَاوُلِ الطَّعامِ . حَاوَلَ أَنْ يَنقُلَ كُرسِيَّهُ إِلَى جِوارِ الجَدَّةِ فيفيان مِنْ دُونِ أَنْ يَتَنَبَّهَ أَحَدٌ لِذَلِكَ . لِمَاذَا قَامَ كلٌّ مِنْ أَلبَا وَدُوغلاس بِسرِقَةِ مَتْجَرِ التُّحَفِ اليومَ بِالذَّاتِ؟ لَا بُدَّ مِنْ أَنَّهُمَا لَاحَقَا تشارلز وبوني ، وَأَدْرَكَا مَا الَّذي شَغَلَهُمَا .

لَمْ يَجرُؤ تشارلز عَلَى النَّظَرِ إِلَى بوني أَوْ إِلَى أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ عِندَ جُلوسِهِ إِلَى مَائِدَةِ الطَّعَامِ . عندَمَا رَفَعَ نَظَرَهُ أَخيرًا وَنَظَرَ إِلَى أَلبا ، وَجَدَ أَنَّهَا تُحَدِّقُ بِهِ .

– اللصوصُ هُمْ أَسْوَأُ أَنواعِ البَشرِ في نَظَري ، قَالَتْ . أَسوَأُ أَنوَاعِ البَشَرِ عَلَى الإِطلَاقِ .

بَعدَ انتِهَائِهِمْ مِنْ تَناولِ وَجبَةِ العَشَاءِ مُبَاشَرَةً غَادَرَ كُلٌّ مِنْ أَلبا وَدُوغلاس إِلَى بَيتِهِمَا . قَامَتِ الجَدَّةُ فيفيان بِغَسْلِ الصُّحُونِ بِرفقَةِ تشارلز . ثُمَّ غَادَرَتِ الجَدَّةُ فيفيان إِلَى مَرسَمِهَا . جَلَسَ تشارلز بِرِفْقَةِ بوني في الصَّالُون . شَعرَ تشارلز أَنَّهُ مَا زَالَ عَاجِزًا عَنِ التَّنفُّسِ .

– إِنَّهُمَا يَعْلَمَانِ ، قَالَ . إِنَّهُمَا يَعْلَمَانِ أَنَّ مَنْ أَخذَ الرُّوزْنَامَةَ هُوَ نَحْنُ .

شَحبَ لَوْنُ بوني حَتَّى تَحوَّلَ وَجْهُهَا إِلَى اللوْنِ الأَبيَضِ .

– أَظُنُّ أَنَّهُمَا يَعلَمَانِ كُلَّ شَيءٍ بِالضَّبْطِ ، قَالَتْ . لَا أَفْهَمُ ذَلِكَ– لَا بُدَّ مِنْ أَنَّهُمَا قَامَا بِمُلَاحَقَتِنَا مِنْ دُونِ أَنْ نَنْتَبِهَ لِذَلِكَ!

– وَلَنْ تَأْتِ الشُّرطَةُ قَبلَ يَوْمِ الاثْنَينِ ، قَالَ تشارلز .

– كَيفَ نَتَصرَّفُ؟ قَالَتْ بوني .

رَأَى تشارلز بُول يَسيرُ فِي الحَديقَةِ وَفِي يَدِهِ سُوطٌ لِلخَيلِ .

– أَلَا يَجْدُرُ بِنا الحدِيثُ إِلَى بول؟ قَالَ تشارلز ثَانِيَةً ، وَأَومَأَ بِرأسِهِ بِاتِّجَاهِ النَّافِذَةِ .

– أبدًا ، قَالَتْ بوني . لَا يُمكِنُنَا أَنْ نَثِقَ بِهِ . عَلينَا أَنْ نَتَدبَّرَ هَذَا الأمرَ بِأيدِينَا . لَا يَسعُنَا الانتِظَارُ أَكثَرَ . لَا بُدَّ مِنْ إِنقَاذِ سِفَان هَذَا المَسَاء .

شَعرَ تشارلز بِضُعفٍ أَصَابَ رُكبَتَيهِ ، عَلَى الرَّغمِ مِنْ أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا . لَيسَ هَذَا مَا تَوقَّعَهُ ، يَومَ فَرَّ مِنَ البيتِ . كَانَ رَأسُهُ يَومَهَا يَعجُّ بِالكَثيرِ مِنَ الأَفْكَارِ حَولَ المَلَابِسِ الَّتي أَرَادَ تَصْمِيمَهَا وَخِياطَتَهَا . ظَنَّ أَنَّهمَا سَينْعَمَانِ بِالهُدوءِ ، وَأَنَّهمَا سَيمكُثَانِ فِي انتِظَارِ أَنْ يَعدُلَ وَالِدُهُ وَغابرييلا عَنْ فِكرَةِ الانتِقَالِ . لَكنَّ ذَلِكَ لَمْ يَحدُثْ . فِي الحَقيقَةِ ، لَمْ يَقُمْ بِأَيٍّ مِنْ أَعمَالِ التَّصمِيمِ وَالخِياطَةِ . وَهَا هُوَ قَدْ نَسِيَ تَقريبًا أَمْرَ لندن . عَلَى تِلكَ المَسَائِلِ كُلِّهَا أَنْ تَنتَظِرَ .

– حَسَنًا ، قَالَ أَخيرًا . سَوفَ نَقومُ بِمحَاوَلَةٍ وَحدنَا .

– هَذَا المَسَاء ، قَالَتْ بوني .

– هَذَا المَسَاء ، قَالَ تشارلز .

الفَصلُ السَّادِسُ وَالعشرُونَ

الإيجَابيُّ في الأَمر أنَّ المطر لَمْ يتساقَطْ ، وَالسَّلبيُّ في الأَمْرِ هُوَ كُلُّ مَا عَدَا ذَلِكَ . كَانَت السَّاعةُ قَدْ تخطَّتِ التَّاسِعَةَ عِندَمَا تَسلَّلَ كُلٌّ مِنْ بُوني وَتشَارلز إلى حارِجَ المَنزِلِ . سَمَحَا لِفيني أَنْ يُرافِقَهُمَا بِصِفَتِهِ كَلب حِرَاسَةٍ .

– فيني يَعوِي عِندَمَا يَقتَرِبُ أَحَدٌ ، قَالَتْ بُوني .

– هَلْ أَنْتِ مُتَأكِدَةٌ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ تشارلز بِصوْتٍ يَملأهُ الشَّكُّ . إِنَّهُ يَعرِفُ الجَميعَ هُنَا ، فَلِمَاذَا يَعوي إِنْ جَاءَتْ أَلبا أَوْ دوغلاس؟

– لِأنَّني أَظُنُّ أَنَّهُ لَا يُحبُّهُمَا ، قَالَتْ بوني .

لَقَدْ خطَرَ لَهَا الأَمْرُ عِندَمَا تَذكَّرتْ أَنَّهَا لَمْ تَرَ يَومًا أَيًا مِنْ أَلبا أَو دوغلاس يُعَامِلَانِ فيني بِلُطْفٍ . لَمْ يُعَامِلَاهُ بِلؤمٍ في الحَقيقَةِ ، لَكنَّهُمَا لَمْ يَكْتَرِثَا لِأَمْرِهِ إِلَّا عِندَمَا يَعوي أَوْ يَعدُو في الجِوَارِ وَيَتعرَّضُ لِلبَلَلِ وَتفوُحُ مِنهُ رَائِحَةٌ كَريهَةٌ . وَلَمْ يَقترِبْ فيني مِنْ أَلبَا ودوغلاس مَن تِلقَاءِ ذَاتِهِ مَرَّةً . وَلَمْ تُشَاهِدْ بوني أَحدَهُمَا يُرَافِقُ فيني خَارِجَ المَنزِلِ في يَومٍ مَا .

وَفِي الوَقْتِ ذَاتِهِ ، لَمْ تَكُنْ مُتَأَكِّدَةً مِنْ أَنَّ فيني فَهِمَ مَا تُرِيدُ مِنْهُ .

– عَليكَ أَنْ تَقُومَ بِالحِرَاسَةِ الآنَ ، قَالَتْ عِندَمَا وَقفُوا خَلفَ الشُّجيرَاتِ بِالقرْبِ مِنَ المصعَدِ .

بَدَا فِيني مُستَغرِقًا فِي التَّفكيرِ وَلَمْ يَتحرَّكْ خُطوَةً .

– لَا يُمكنُكَ أَنْ تَحرُسَ مِنْ هُنَا ، قالَتْ بوني . عَليكَ أَنْ تَقفَ فِي الجِهَةِ الأخرَى مِنَ الشُّجيرَات . ثُمَّ دفعتْهُ برفْقٍ في الاتِّجاهِ الصَّحيحِ .

– سَيظهَرُ للعيانِ لِكلِّ مَنْ في المَنزلِ عِندَهَا ، قَالَ تشارلز . رُبَّمَا تُنَادِيهِ الجَدَّةُ فيفيان لِيدخُلَ إلَى البيتِ .

– لَا بَأسَ إنْ فعلَتْ ذَلِكَ ، قَالَتْ بوني .

لَمْ يَرغَبَا فِي الانتِظَارِ حَتَّى حُلولِ الليلِ ؛ فَالظَّلامُ دَامِسٌ أَثنَاءَ الليلِ مِنْ جِهَةٍ ، وَمِنْ جِهَةٍ أخرَى ظَنَّ كُلٌّ مِنهُمَا أَنَّ أَلبَا ودوغلاس يَستَغلَّانِ حُلولَ الظَّلَامِ مِنْ أَجْلِ الهبوطِ إِلَى المغَارَةِ . آخِرُ مَا يريدُهُ أَيٌّ مِنهُمَا هُوَ أَنْ يَتعرَّضَا لِلاختِطَافِ ، هُمَا أَيْضًا . مِنْ أَجْلِ سَلامَتِهمَا وَاستِبَاقًا لِلأَحْدَاثِ ، تَركَا رِسَالَةً لِلجدَّةِ فيفيان . كَتَبَا فِي الرِّسَالَةِ مَا حَدَثَ ، وَمَا يَنوِيَانِ فِعلَهُ ، ثُمَّ وَضَعَا الرِّسَالَةَ فِي فَردَةِ الشِّبْشِبِ الَّذي تَلبسُهُ فِي الصَّباحِ . إِذَا سَارَتِ الأمُورُ عَلَى مَا يُرَام ، يَستَطيعَانِ إزَالَةَ الرِّسَالَةِ قَبلَ حُلولِ الفَجْرِ . وَإِنْ لَمْ يَفعَلَا ، سَتَجِدُ الجَدَّةُ فيفيان الرِّسَالَةَ عِندَمَا تَستَيقِظُ فِي الصَّبَاحِ .

الرِّيحُ كَعَادَتِهَا عِندَ حَافَّةِ الجَرفِ ؛ بَارِدَةٌ وَقَاسِيَةٌ . سَحَبَ كلٌّ مِن بوني وتشارلز القُرعَةَ لِيُقرِرَا مَنِ الَّذي سَيجلِسُ فِي المصعَدِ وَمَنْ سَيدَوِّرُ المرفَقَ الآليَّ . الخُطَّةُ الَّتي وَضعَاهَا هِيَ أَنْ يَهبُطَ أَحدُهُمَا بِواسِطَةِ المصعَدِ ،

وَيُحَاوِلَ إِيجَادَ المَغَارَةِ ، وَإِنْ حَالَفَهُ الحَظُّ ، سَينقِذُ سِفَان وَيُرَافِقهُ إِلَى المصعَدِ . فَيَصعَدُ كُلٌّ مِنهُمَا عَلَى حِدَةٍ فِي مَا بَعدُ .

شَعرَتْ بوني أَنَّ يَدَيهَا لَزِجَتَانِ تَمَامًا بِسبَبِ العَرَقِ ، عِندَمَا أَمسَكَتْ بِالوَرَقَةِ الَّتِي التَقَطَتْهَا عِندَ سَحْبِ القُرعَةِ . إِذَا وَجَدَتْ حَرْفَ إِكس عَلَى الورَقَةِ ، يَعنِي هَذَا أَنَّهَا سَتَهبِطُ فِي المِصعَدِ . وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ ، سَيهبِطُ تشارلز .

– لَا أُرِيدُ أَنْ أُفكِّرَ ، فَكَّرَتْ بوني . هَذَا أَغْبَى مَا قُمْتُ بِهِ فِي حَياتِي .

استَرَقَتِ النَّظَرَ إِلى تشارلز . لَمْ يَبدُ سَعيدًا هُوَ الآخَرُ .

الحَقيقَةُ هِيَ أَنَّ كِلَيهما لا يُريدَانِ الهُبوطَ إِلَى المغَارَةِ .

والحَقيقَةُ هِيَ أَنَّ كليهما لَا يُريدانِ أَنْ يَعلَقَا عَلَى الشَّاطِئِ .

وَخَاصَّةً الآنَ ؛ لأَنَّ الأَمْوَاجَ عَالِيَةٌ لِلغَايَةِ . عِندَ الشَّاطِئِ تَمَامًا يُوجَدُ صَخْرَةٌ تُوفِّرُ الحِمَايَةَ ، لَكِنَّ الأَمواجَ تَتخطَّاهَا أَحيَانًا . وِفْقَ المعلُومَاتِ المُدوَّنَةِ فِي الرُّوزْنَامَةِ فَإِنَّ المَغَارَةَ تَقعُ بِالقُرْبِ مَنْ مِياهِ الشَّاطِئِ .

مَاذَا لَوْ كَانَتِ المَغَارَةُ مَغمُورَةً بِالمَاءِ الآنَ؟ مَاذَا لَوْ كَانَ سِفان مَيْتًا؟

– هَلْ نَتحقَّقُ ثَانِيَةً مِمَّا يَفعَلَانِهِ أَلبَا ودوغلاس؟ سَأَلَ تشارلز مُضطَرِبًا .

لَقَدْ سَبقَ وَتسلَّلَا إِلَى بَيتِهِمَا مَرَّتَينِ . أَلبا وَدوغلاس يُشاهِدَانِ التِّلفَازَ ، فَيلْمٌ قَديمٌ بِاللونَينِ الأَسوَدِ وَالأَبيَضِ جَعلَ بُوني تَقشَعِرُّ .

– لَا ، لَيسَ لَدَينَا الوَقْتُ الكَافِي لِلعَدْوِ إِلَى بَيتِهِمَا ثَانِيةً ، قَالَتْ بوني . سَنَسْحَبُ الآنَ القُرعَةَ .

فَتَحَتِ الوَرَقَةَ الَّتِي التَقَطَتْهَا .

لَمْ تَجِدْ عَليهَا حَرفَ إِكس .

شَحُبَ لَوْنُ تشارلز أَكثَرَ مِنْ ذِيْ قَبلُ .

– اللعنَةُ ، هَمَسَ وَأَرَاهَا وَرَقَتَهُ الَّتي كُتِبَ عَليهَا حَرفَ إكس .

تشارلز هُوَ الَّذي سَيهبطُ بِواسِطَةِ المصعَدِ إِلَى المَغَارَةِ .

وَبوني هِيَ الَّتي سَتُديرُ المرفَقَ الآليَّ .

– نَستَطِيعُ أَنْ نَتَبادَلَ المهَامَ ، قالَتْ بوني .

إِنَّهَا الأكثَرُ شَجَاعَةً بينهُمَا . كِلاهُمَا يعلَمُ ذَلِكَ . عَلَى الرّغم مَنْ أَنَّ بُوني تَخْشَى الظَّلَامَ وتشارلز لَا يَخْشَاهُ .

تَنفَّسَ تشارلز بعمْقٍ ، شَهيقًا ثُمَّ زَفيرًا .

– لَا ، قَالَ تشارلز . سَأَهبِطُ أَنَا . إِنْ كُنْتِ تَقوِيْنَ عَلَى إِدَارَةِ المرفَقِ الآليِّ .

أَجَل ، لَمْ يَتَحقَّقَا مِنْ ذَلِكَ الأمْرِ بَعدُ .

مِنْ أَنَّ كُلًّا مِنهُمَا يَقوَى عَلَى تَحرِيكِ المصعَدِ هبُوطًا وَصعُودًا عِندَ حَافَّةِ الجَبَلِ ، حِينَ يَجْلِسُ فِيهِ الآخَرُ .

– لَقَدْ قُلْنَا إِنَّنَا سَنُجَرِبُ ذَلِكَ ، قَالَتْ بوني .

جَلَسَ تشارلز في المصعَدِ بِحَذَرٍ . تَعلَّقَ الوعَاءُ المَصنُوعُ مِنَ التَّنَكِ خَارِجَ حَافَّةِ الجَرْفِ الصَّخريِّ تمَامًا ، وَراحَ يَتَأَرجَحُ قَليلًا في الهَوَاءِ . نَظَرَتْ بوني إِلَى الكَابِلِ المَعدَنيِّ الصَّدِئِ . إِذَا انقطَعَ ، سَيمُوتُ تشارلز .

– هَلْ أَنْتَ بِخيرٍ؟ سَأَلَتْ بوني .

بَدَا تشارلز خَائِفًا . جَلَسَ ضَامًا سَاقَيهِ نَحوَ القسمِ الأَعلَى مِنْ جِسمِهِ كَيْ يَجِدَ مَكَانًا في الوعَاءِ .

أَومَأَ بِرَأسِهِ إِيجَابًا بِصَمْتٍ .

أَدَارَتْ بوني المرفَقَ الآليّ . أَصْدَرَ المرفَقُ الآليُ وَالكَابِلُ المعدَنيُّ صَرِيرًا . تَحرَّكَ المصعَدُ عشَرَاتِ السَّنتيمترات نَحوَ الأَسفَلِ ، ثُمَّ المزيدَ مِنهَا .

– تَوقَّفِي! قَالَ تشارلز .

– لَديَّ مَا يَكفي مِنَ القُوَّةِ لِتحرِيكِ المصعَدِ ، قَالَتْ بوني .

لَمْ تَكُنْ إدارَةُ المرفَقِ الآليِّ عَمَلًا شَاقًا بِالقَدرِ الَّذي تصوَّرَتْهُ بوني .

– لَكِنْ هَلْ تَقوَينَ عَلَى رَفعي أَيضًا؟ قَالَ تشارلز .

أَدارَتْ بوني المرفَقَ الآليَّ إِلَى الجِهَةِ المُعَاكِسَةِ . وَجدَتْ أَنَّ المصعَدَ أَثْقَلُ عِندَهَا ، لَكِنَّ رَفْعَهُ لَيسَ بِالأَمْرِ المُستَحيلِ . لَقَدْ صَعَدَ المصعَدُ إِلَى أَعلَى ثَانِيَةً .

تَأَمَّلَ كُلٌّ مِنهُمَا الآخرَ بصمْتٍ .

– هَذَا عَمَلٌ غَبيٌّ لِلغَايَةِ رُبَّما ، قَالَتْ بوني .

أَحكَمَتْ قَبضَتَها عَلَى المرفَقِ الآليِّ .

نَظَرَ تشارلز إِلَى أَسْفَلِ ، نَحوَ البَحرِ ثُمَّ نَحوَ المَنَارَةِ .

كَانَتْ مُطفَأَةً وَمُظلِمَةً .

– فِي الحَقِيقَةِ ، لَقَدْ فَكَّرْتُ بِمَسأَلَةٍ ، قَالَ .

– مَاهِيَ؟ قَالَتْ بوني .

– نَظُنُّ أَنَّ أَلبا ودوغلاس لَاحقَانِ بِنَا ، أَلَيسَ كَذلِكَ؟ وَأَنَّهمَا يَعلَمَانِ مَا نَحنُ بِصدَدِ فِعلِهِ . وَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ السَّبَبُ وَراءَ دُخولِهِمَا مَتجَرَ رُوبرت لِغَرَضِ السَّرِقَةِ . أَيْ لِأَنَّهُمَا يُرِيدَانِ أَنْ يَعرِفَا لِمَاذَا زُرْنَاهُ مَرَّاتٍ كَثيرَةٍ .

– م ، قَالَتْ بوني .

حَدَّقَ تشارلز بِقَلَقٍ يُمنَةً وَيُسرَةً .

– لِمَاذَا لَا نَظُنُّ إِذًا أَنَّهمَا يَتَجسَّسانِ علينَا الآنَ أيْضًا؟ مِنْ دُونِ أَنْ نُلاحِظَ ذَلِكَ؟

نَظرَتْ بوني حَولَهَا بِسرعَةٍ . نَظَرَتْ خَلفَ الشُّجيرَاتِ أَيضًا . كَانَ فيني يَجْلُسُ عَلى بُعدِ أَمْتَارٍ عَديدَةٍ . بَدَا أَنَّهُ يَقومُ بِدورِ الحَارِسِ لَهُمَا فِعْلًا .

– لَا يُوجَدُ أَحَدٌ هُنَا ، قَالتْ . صدِّقني .

– لَكنَّهُمَا قَدْ يَكُونَان في بَيتِ الجَدَّةِ فيفيان ، قَالَ تشارلز .

– لَكنَّهُمَا لَنْ يستطيعَا رُؤيَةَ مَا نَفعَلُ مِنْ هُنَاكَ ، قَالَتْ بوني . لِأَنَّ الشُّجيرَاتِ تحجُبُنا عَنِ الأَنظَارِ .

التزَمَ تشارلز الصَّمتَ لِلَحظَاتٍ .

– حَسنًا ، قَالَ فِي مَا بَعدُ . أَنْزلِينِي الآنَ . أُرِيدُ العَوْدَةَ بِأَقْصى سُرعَةٍ مُمكِنَةٍ .

– هَلْ تُصفِّرُ عِندَمَا تَنوِي الصُّعوْدَ؟ قَالَتْ بوني .

أَومَأَ تشارلز بِرَأسِهِ .

– أَجَل ، قَالَ .

أَحكَمَتْ بُوني قَبضَتَهَا عَلَى المرفَقِ الآليِّ ثَانِيَةً .

– حَظًّا سَعيدًا ، هَمَسَتْ .

اختَفَى تشارلز بِبطءٍ هبُوطًا نَحوَ شَاطِئِ البَحْرِ .

الفَصلُ السَّابِعُ وَالعشرُونَ

تَأَرجَحَ الوِعَاءُ الأسودُ المصنُوعُ من التَّنَك ذَهَابًا وَإِيَابًا . كُلَّمَا هَبَطَ تشارلز أَكْثَرَ إِلَى أَسفَلٍ ، كُلَّما ازداد الوعاءُ تأرْجُحًا . لَمْ يَشْعُرْ تشارلز بِهذَا القَدَرِ مِنَ الخَوفِ طِيلَةَ حَيَاتِه . البحرُ هَائجٌ تَحْتَهُ . البَحْرُ الَّذي بَدَا مُظْلِمًا وَقَاسِيًا . تَوالَتِ الأمْوَاجُ عَلَى الشَّاطِئِ الصَّغيرِ . حَافَظَ تشارلز عَلَى رَبَاطَةِ جَأشِهِ . الآنَ وَقَدِ اقتَرَبَ أَكْثَرَ ، رَأَى أَينَ سَيَتَوَقَّفُ المصعَدُ . أَيْ عَلَى صَخْرَةٍ تَعلُو حَوالَي المِتر عَنِ الشَّاطِئِ . قَدْ يَكونُ مَدْخَلُ المغَارَةِ هُنَاكَ . إِنْ كَانَ الأَمْرُ كَذلِكَ ، سَتَسيرُ الأمُورُ عَلَى نَحْوٍ أَسهَلَ وَأَسرَعَ مِمَّا تَصوَّرَ .

حَطَّ المصعَدُ عَلَى الصَّخرَةِ بِخَبطَةٍ . لَا بُدَّ مِنْ أَنَّ بوني شَعرَتْ بِمَا حَدَثَ ؛ لأَنَّهَا تَوقَّفَتْ عَنْ إدارَةِ المرفَقِ الآليِّ . أَسرَعَ تشارلز إِلَى خَارِجِ الوِعَاءِ . كَانَ الظَّلامُ أَكثَرَ كَثَافَةً بِالقربِ مِنْ مَاءِ الشَّاطِئِ مِمَّا كَانَ عَليهِ أَعلَى الصَّخرَةِ . لَقَدْ أَحضَرَ تشارلز مِصبَاحًا يَدويًا مَعَهُ ، فِي جَيبِ سِروَالِهِ الخَلفيِّ .

لَمْ يَجرُؤْ فِي بِدَايَةِ الأَمرِ عَلَى إِنَارَةِ المصبَاحِ ، لَكنَّهُ أَدرَكَ فِي مَا بَعدُ

أَنَّهُ مُجبَرٌ عَلَى ذَلِكَ . أَرسَلَ المصبَاحُ اليدويُّ شُعَاعًا ضَعيفًا مِنَ الضَّوءِ . أُصيبَ بِالذُّعرِ حِينَ أدرَكَ أَنَّهُ لَمْ يَفحَصِ البطاريَّاتِ ، البَطَاريَّاتِ الَّتي لَنْ تَشغِّلَ المصْبَاحَ لوَقْتٍ طَويْلٍ ، أَدرَكَ ذَلِكَ الآنَ .

عَليهِ أَنْ يُسرِعَ أَكثَرَ إِذًا . أَلْقَى الضّوءَ عَلَى جِدَارِ الصَّخرَةِ . لَمْ يَرَ أَيَّةَ مَغَارَةٍ هُنَاكَ . ابتلَعَ تشارلز ريقَهُ ، وألقَى الضّوءَ على الجِدَارِ نَحوَ الأَسْفَلِ ، بِاتِّجَاهِ الشَّاطِئِ . هَلْ يُجبَرُ على القَفزِ إِلَى هُناكَ وَالبحثِ عَنْ قُرْبٍ؟ وَكيفَ يَعودُ وَيصعَدُ إِلَى الصَّخرَةِ بعْدَ ذَلِكَ؟

رَأَى فِي تلكَ اللحظةِ السُّلَّمَ ؛ سُلَّمٌ يَقُودُ مِنَ الصَّخرَةِ إِلَى الشَّاطِئِ . هَرَعَ إِليهِ وَهَبطَ بِهِ نحوَ الأَسفَلِ . تَرَدَّدَ عِندَمَا وَقفَ عَلَى دَرَجَةِ السُّلَّمِ الأَخيرَةِ . مَوجَةً تِلوَ الأُخْرَى غَسَلَتِ الشَّاطِئَ . نَزَلَ تشارلز عَنِ السُّلَّمِ عَلَى الرَّغمِ مِنْ ذَلِكَ ، مَا مِن هَمٍّ إِنِ ابتَلَّتْ قَدماه ، لَا شَيءَ يَهمُّ ، لَا شَيءَ إِطلَاقًا سِوَى إِيجَادِ سِفان وَإِنقَاذِهِ . خَطَرَ لِتشارلز أَنَّ الصَّبيَّ تُوفِّيَ رُبَّمَا . لَكِنَّ الفكرَةَ كَانَتْ مُخيفَةً إِلَى دَرَجَةٍ جَعلَتهُ يُقرِّرُ أَنَّ سِفان مَازَالَ عَلَى قَيدِ الحَيَاةِ .

نَمَتِ الغَصَّةُ في حَلقِهِ وَبَكَى . مَاذَا لَو ظَهَرَتْ أَلبَا بِرفقَةِ دُوغلاس فَجأَةً؟ قَدْ يَفعَلَانِ بِهِ مَا يَشَاءَانِ عِندَهَا ؛ قَدْ يَرمِيَانِ بُوني إِلى البَحرِ وَيَدَّعِيانِ أَنَّهَا وَقَعَتْ ، وَيَحبِسَانِ تشارلز في المَغَارَةِ حَتَّى يَنفُقَ مِنَ الجُوعِ . قَدْ يَجِدَا أَيضًا الرِّسَالَةَ الَّتِي تَركَاهَا لِلجَدَّةِ فيفيان . في تِلكَ الحَالَةِ ، يَكونُ الأَوانُ قَدْ فَاتَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ .

– هَالُو؟ قَالَ تشارلز .

لَمْ يُسمَعْ صَوتُهُ الَّذي غَرِقَ في هَديرِ الأَموَاجِ .

خَطَى بِضعَ خُطوَاتٍ غَيرَ وَاثِقَةٍ عَلَى الشَّاطِئِ . صَخْرٌ ثُمَّ صَخْرٌ ثُمَّ

صَخْرٌ وَلَا مَغَارَةٌ . هَبَطَتْ عَزِيمَتُهُ . رُبَّمَا تَقَعُ المَغَارَةُ في مَكَانٍ مُختَلِفٍ تمَامًا ؛ في مَكَانٍ يَستَطِيعُ المنتَقِمُ ذُو الرَّأسِ المفقُودِ الوصُولَ إليهِ بِالقَارِبِ .

أَضَاءَ تشارلز الطَّرِيقَ أَمَامَهُ بِوَاسِطَةِ مِصبَاحِ اليَدِ . مِيَاهُ البَحرِ بَارِدَةٌ كَالثَّلْجِ وَكَادَ يَفقِدُ الإِحْسَاسَ بِقَدَميهِ تَقرِيبًا . هَلْ تَوهَّمَ ذَلِكَ أَم ازدَادَ فِعْلًا عُلُوُّ الأَموَاجِ؟ إِذَا ارتَفَعَ مُستَوى المَاءِ كَثِيرًا ، لَنْ يَتمَكَّنَ مِنَ العودَةِ إِلَى المصعَدِ . أَسرَعَ في سَيرِهِ إِلَى الأَمَامِ .

ثُمَّ رَأى سُلَّمًا آخرَ .

– لَا! هَمَسَ تشارلز بينهُ وبينَ ذَاتِهِ .

سلَّطَ الضَّوءَ على السُّلَّم .

عَندَ نِهَايَةِ السُّلَّم ، على مسافَةِ مَا يُقَارِبُ المترَ ، رَأَى فَجْوَةً في الصَّخرَةِ .

دَقَّ قَلْبُ تشارلز بعنْفٍ بَالِغٍ .

كَانَ السُّلَّمُ لَزِجًا وَمُبَلَّلًا حِينَ أَمْسَكَ بِهِ تشارلز وَبَدَأَ يَتسلَّقُه صُعودًا ؛ بِسرْعَةٍ ، ثُمَّ أَسرَع . لكنَّ العجَلَةَ لَمْ تَكُنْ في صَالِحِهِ . انزَلَقَتْ قَدَمُهُ وَكَادَ يَسقُطُ مِنْ مَكَانِهِ . حَرَّكَ قدَميهِ بَسرْعَةٍ ، وَنَجَحَ أَخيرًا في أَنْ يُثَبِّتَهَا عَلَى إِحْدَى الدَّرجَاتِ . عِندَمَا وَصلَ إِلَى أَعْلَى وَنظرَ دَاخِلَ الفَجْوَةِ كَانَ يَرتجِفُ مِنَ الخوفِ .

– هَالُو؟ قَالَ تشارلز ثَانِيةً ، بِصوتٍ أَعلَى هَذِهِ المَرَّة .

وَلَمْ يُجِبْهُ أَحدٌ .

أَحكَمَ تشارلز قَبضَتَهُ عَلَى المصبَاحِ اليَدَوِيِّ عِندَمَا دَخَلَ عَبرَ الفَجْوَةِ في الصَّخرَةِ . وَجَدَ أَمَامَهُ مَمرًّا جَبليًا ضَيِّقًا وَاضطرَّ لِأَنْ يَنْحَني كَيْ يَتمَكَّنَ مِنَ السَّيرِ إِلَى الأَمَامِ .

- هَلْ مِنْ أَحدٍ هُنَا؟ قَالَ تشارلز .
سَمِعَ بِأُذنِهِ مَدَى التَّوتُرِ في صَوتِهِ .
- هَالُو؟
تَعَالَى عِندَهَا صَوتٌ يُشبهُ الصَّرِيرَ .
تَوقَّفَ تشارلز .
ذَلِكَ الصَّوتُ ثَانيةً . بَدَا وكأنَّ أَحدًا مَا نَقلَ شَيئًا مِنْ مَكَانِهِ . كَأنَّ أَحَدًا مَا سَحَبَ شَيئًا على الأَرضيَّةِ الصَّخريَّةِ .
لَمْ يَعرِفْ تشارلز ماذَا يَفْعَلُ .
قَدْ تُوجَدُ حيوَانَاتٌ دَاخِلَ الجَبَلِ . لَمْ يَخطُرْ لَهمَا أَمْرًا كَهذَا ، هُوَ وبوني .
وَضَعَ تشارلز قَدَمًا أَمامَ الأخرى لِيسيرَ وَهُوَ يَرتَجِفُ مِنَ الخَوفِ . لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَعْرِفَ مَا هُوَ الشَّيءُ الَّذي أَحْدَثَ ذَلِكَ الصَّوتَ ، أَوْ لَمْ يُحدِثْهُ ؛ لِأَنَّ الصَّمْتَ عَمَّ المَكَانَ ثَانِيةً .
انعطَفَ حَولَ زَاوِيَةٍ ثُمَّ أُخرَى . بَدَأَ نُورُ المِصبَاحِ اليَدَويِّ يَتَقَطَّعُ لِلَحظَاتٍ . لَمْ يَعُدْ أَمَامَهُ الكثيرُ مِنَ الوقْتِ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ البَطارِيَّاتُ .
وَعِندَهَا . . .
وَجَدَ عِندَهَا أَنَّهُ دَخَلَ إِلَى قَلْبِ مَغَارَةٍ .
نَظَرَ تشارلز حَولَهُ . رَأى وَسطَ المَغَارَةِ بَطَانِيَّةً وَمَخَدَّةً عَلَى الأَرْضِ .
- سِفان؟ هَمَسَ تشارلز .
- عَمَّ السُّكونُ تَمَامًا في بَادِئِ الأَمْرِ .
وَجَّهَ تشارلز نُورَ المِصبَاحِ إِلَى الزَّاوِيَةِ الأَكثَرِ عتْمَةً في المَغَارَةِ . سَمِعَ عِندَهَا صَوتَ بُكَاءٍ . وَجَّهَ المصبَاحَ ثَانِيَةً . وَرَأَى عِندَهَا سِفَان .

سِفان الَّذي انكَمَشَ عَلَى ذَاتِهِ مُستَلقِيًا عَلى الأَرضِ ، مُمسِكًا بِمِصبَاحٍ يَدَويٍّ مُطْفَأً في يَدِهِ وَحَدَّقَ بتشارلز بِعينَينِ مِلؤُهُمَا الرُّعْبُ .

– لَا بَأسَ ، هَمَسَ تشارلز . سَوفَ أُسَاعِدُكَ .

أَنَّ الطِفْلُ وَهَزَّ رأسَهِ نَفْيًا . كَانَ يَحتَفِظُ بِدمْيَةِ الدُّبِّ الأَزرَقِ تَحْتَ ذِرَاعِهِ .

اقتَرَبَ تشارلز مِنْهُ بِبطءٍ وَحَذَرٍ . جَلَسَ القرفصَاءَ أَمَامَ الطِّفلِ وَحَاوَلَ أَنْ يَبْتَسِمَ .

– اسمي تشارلز ، قالَ . سَنعودُ الآنَ إِلَى البيتِ .

الفَصلُ الثَّامِنُ وَالعشرونَ

استغرَقَ الأمرُ وَقتًا طَويْلًا . وَقَفَتْ بوني عَلَى الصَّخْرَةِ ترتَجِفُ مِنَ البردِ . اشتدَّتِ الرِّيحُ وَتَجمَّعَتْ في السَّمَاءِ غُيومٌ قَاتِمَةٌ . كَمْ خَشيَتْ أَنْ يَتَساقَطَ المَطَرُ .

تمَدَّدَتْ بوني عَلَى بَطْنِهَا وَنَظَرَتْ إِلَى أَسْفَل مِنْ فَوقِ حَافَّةِ الجَرْفِ الصَّخْرِيِّ . لَمْ تَرَ أَثَرًا لِتشارلز . مَازَالَ وِعَاءُ المصعَدِ خَاوِيًا وَمَهْجُورًا . هَلْ يَعني هَذَا أَنَّهُ وَجَدَ المَغَارَةَ؟ جَلَسَتْ بوني عَلَى رُكبَتَيهَا . عَبَثَتِ الرِّيحُ بِشعْرِهَا وَجَعَلَتْ لِأَورَاقِ الشُّجَيرَاتِ حَفِيفًا . عَبَسَتْ بوني وَتَجعَّدَتْ جَبْهَتُهَا . شَيءٌ مَا في ذَلِكَ الصَّمْتِ أَثَارَ قَلَقَها ؛ لِأَنَّهُ صَمْتٌ زَائِدٌ عَنْ حَدِّهِ .

قَامَتْ بوني مِنْ مَكَانِهَا وَسَارَتْ إِلَى الخَلْفِ مُبتَعِدَةً عَنْ حَافَّةِ الجَرْفِ . نَظَرَتْ بِحذَرٍ مِنْ خَلْفِ الشُّجَيرَاتِ . مَازَالَ المُنتَزَهُ خَاوِيًا ، أَوِ الجزْءُ الَّذي تَمَكَّنَتْ مِنْ رُؤيَتِهِ عَلَى الأَقلِّ . سَارَتْ بَينَ الشُّجيرَاتِ .

إِنَّني أَتوهَّمُ الكَثيرَ مِنَ الأَشيَاءِ ، فَكَّرَتْ .

لَكِنْ فِي تِلْكَ اللحظَةِ بالذَّاتِ ، أَدْرَكَتْ أَيْنَ الخَطَأ .

لَقَدِ اختَفَى فيني .

لا ، لا ، لا .

ذَلِكَ الكَلْبُ الغَبِيُّ ، أَلَمْ يَفْهَمْ أَنَّ عليهِ أَنْ يَبْقَى هُنَاكَ وَيَقومَ بِالحِرَاسَةِ؟

لَمْ يَكُنْ لَدَى بوني أَدْنَى فِكْرَة عَمَّا يَجِبُ أَنْ تَفْعَلَهُ . مَتَى بِالضَبْط اخْتَفَى فِيني؟ لمْ تَعْلَمْ ذَلِكَ . لَقَدْ كَانَتْ مُنهَمِكَةً تَمامًا بِأَمْرِ المصعَدِ . وَلَا تَجْرُؤ الآنَ عَلَى تَرْكِهِ وَالذَّهَاب لِلبَحْثِ عَنْ فيني . عَليهَا أَنْ تَكونَ عَلَى أَهْبَةِ الاستِعْدَادِ إنْ صَفَّر تشارلز وَأَرَادَ الصُّعودَ .

تَحَوَّلَ الهَلَعُ إِلَى غصَّةٍ فِي حَلْقِهَا . حَاوَلَتْ أَنْ تَهدَأَ . بِالطَّبع ، كَانَ مِنَ الأَفْضَلِ أَنْ يَبْقَى فيني وَيحْرُسَ فِي مَكَانِه . لَكِنَّهَا فِي الوقْتِ ذَاتِهِ مُتَأكِّدَةٌ مِنْ أَنَّه لَا أَحدَ سَيكتَشِفُ أَمرَهُمَا . كُلُّ مَا عَليهمَا فِعْلُهُ هُوَ الإِسرَاعُ فِي إِنْجَازِ المُهمَّةِ .

عَادَتْ إِلَى خَلْفِ الشُّجيرَاتِ . مِنَ الأفضَلِ أَلَّا تَظْهَرَ كَثيرًا لِلعَيانِ . شَدَّتْ بِحبْلِ المصعَدَ . عَلَى تشارلز أَنْ يُسرِعَ . رُبَّمَا هُنَاكَ مَغَارَةٌ وَربَّمَا لَا . جَلَسَتِ القُرْفُصَاءَ وَرَاحَتْ تَنظُرُ بِاتِّجَاهِ الشَّاطِئِ . لَا أَثَرَ لِتشارلز حَتَّى اللحظَةِ .

حَفَّتْ بوني يَدَيهَا بِسِرْوَالِهَا .

– أَسرِعْ! هَمَسَتْ . أَسرِعْ وَحَسْب!

وَفِي تِلكَ اللحظَةِ بِالذَّاتِ –فِي اللحْظَةِ الَّتِي هَمَّتْ بِهَا بِالوقُوفِ فِي مَكَانِهَا– شَعرَتْ بِزوْجٍ مِنَ الأيدِي القَوِيَّةِ عَلَى كَتفَيهَا .

صَرَخَتْ بوني بِصوْتٍ عَالٍ .

فَوضَعَ أحدُ مَا يَدَه عَلَى فَمِهَا بِسرْعَةٍ .
ثُمَّ سَمِعَتْ صَوْتَ دُوغلاس يَهمِسُ فِي أُذُنِهَا .
– إِنْ صَرَخْتِ ثَانِيَةً سَأَدْفَعُ بِكِ نَحْوَ الأسْفَلِ .

لَمْ تَستَطِعْ بوني السَّيْطَرةَ عَلَى جِسْمِهَا المُرْتَجِفِ . لَمْ تَجرُؤ عَلَى الشِّجَارِ وَلَا عَلَى المُقَاوَمَةِ . عِندَمَا سحبَهَا دُوغلاس لِتَقِفَ عَلَى قَدَمَيهَا ، فَعَلَتْ كَمَا يُرِيْدُ . التَفتَتْ إلى الخَلْفِ بِبطءٍ . رَأَتْ أَلْبَا تقِفُ عَلَى بُعْدِ مِتْرٍ مِنْهَا . كَانَ فِيني معهَا وقدْ أَمْسَكَتْ بِرسَنِهِ .

هَزَّتْ أَلْبَا بِرأْسِهَا .

– يَا لَهُ مِنْ كَلْبٍ عَدِيمِ القِيمَةِ اخترْتُمَاهُ لِلحرَاسَةِ ، قَالَتْ .

تَحرَّكَ دُوغلاس مِنْ مَكَانِهِ كَيْ تَتمكَّنَ بُوني مِنَ الابتعَادِ عَنْ حَافَّةِ الجَرْفِ . امتَلَأَتْ عَينَاهَا بِالدُّمُوعِ مَا أَجبَرَهَا عَلَى أَنْ تُغْمِضَهَا وَتَفْتَحَهَا مِرَارًا كَيْ تَتمكَّنَ مِنَ الرُّؤيَةِ . بَدَا فِيني حَزينًا أيضًا . كَأَنَّهُ شَعرَ بِالخَجَلِ .

– هَلْ هَبَطَ تشارلز إِلَى الشَّاطِئِ؟ قَالَ دوغلاس .

أَومَأَتْ بوني بِرَأسِهَا إِيجَابًا .

– قَوِيَّةٌ أَنْتِ ، وَإِلَّا لَمَا استَطَعْتِ أَنْ تُدِيري المرفَقَ الآليَّ كَي يَصِلَ إِلَى الشَّاطِئِ ، قَالَتْ أَلْبَا .

لَمْ تُجِبْهَا بوني .

مَا تُرِيدُهُ الآنَ ، قَبْلَ كُلِّ شَيءٍ ، هُوَ أَنْ تعدُوَ هَارِبَةً مِنْ هُنَاكَ ، لَكِنَّ ذَلِكَ مُستَحِيلٌ . أَلْبَا ودوغلاس اثنَانْ وَهِيَ وَحدَهَا . شَعرَتْ بِالأَلَمِ فِي بَطْنِهَا مِنْ شِدَّةِ الخوفِ . مَا الَّذي يَنوِيَانِ فِعْلَهُ؟ إِنْ صَرَخَتْ ، هَلْ يُؤَدِّي

صُراخُهَا إِلى نَتيجَةٍ مَا؟ لَكنَّهَا لَا تَستَطيعُ أَنْ تصرُخَ. لَقَدْ قَالَ دوغلاس إِنَّهُ سَيرمي بِهَا إِلى البحْرِ إِنْ فَعَلَتْ.

– لَقَدْ سَيطَرَ عَليكُمَا الفُضولُ يَا أَولَادُ مُنذُ البدَايَةِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ في مَصْلَحتِكُمَا، قَالَ دوغلاس. أَلَمْ تفهمَا أَنَّهُ كَانَ عَليكُمَا الابتِعَادُ عَنْ طَرِيقِنَا؟

أَزَاحَتْ بوني شَعرَهَا عَنْ وَجْهِهَا.

– لَمْ نُرِدْ أَنْ يُصيبَ جَدَّتي فيفيان أَيُّ مَكرُوهٍ، قَالَتْ بِصوْتٍ مُنْخَفِضٍ.

– فيفيان؟ قَالَتْ أَلبَا وَضَحكَتْ. يَا إِلَهي، فيفيان لَا تَفقَهُ مِنَ الأَمرِ شَيئًا. لَقَدْ عَمِلَتْ هِيَ وَدوغلاس خِلالَ ثَلاثِينَ عَامًا مِنْ دُونِ أَنْ تُزعِجَنَا فيفيان مَرَّةً وَاحِدَةً. حَبَسْنَا مَرَّةً رَجُلًا في قَبوِ مَنْزِلِهَا لِأُسبُوعٍ كَامِلٍ تَقريبًا، مِنْ دُونِ أَنْ تُلَاحِظَ ذَلِكَ.

– نَحنُ لَا نُؤْذِي أَحدًا إِنْ لَمْ نضطرَّ إِلى ذَلِكَ، قَالَ دوغلاس. لَمْ تُسبِّبْ فيفيان المَتَاعِبَ لَنَا في يَومٍ مِنَ الأَيَّامِ.

– أَمَّا أَنَا وَتشارلز فَقَدْ تَسبَّبْنَا لَكُمَا بِالمَتَاعِبِ، فَكَّرَتْ بوني وَهِيَ تَشْعُرُ بِالهَلَعِ.

– أَدْرَكْتُ أَنَّ هُنَاكَ مُشْكِلَةً مَا عِندَمَا خَرجْتُمَا سرقةً مِنَ البيتِ في يومَينِ مُتَتَالِيينِ، قَالَ دُوغلاس. سَأَلْتُ عَنكُمَا فيفيان مَرَّاتٍ عَديدَةً، وَتَساءَلْتُ أَينَ كُنتُمَا. لَمْ يَكُنْ لَدينَا مَا يَكْفي مِنَ الوقْتِ لِمُلَاحَقَتِكُمَا في اليَوْمِ الأَوَّلِ، لَكِنْ عِندَمَا استَقَلَّيتُمَا الحَافِلَةَ إِلَى أونغسريد، أَخذَتْ أَلبا السَّيارَةَ وَلَحِقَتْ بِكُمَا.

لَمْ تَقْوَ بوني عَلَى النُّطقِ بِكَلمَةٍ . أَلْبَا وَدوغلاس يَعْلَمَانِ مُنذُ أَيَّامٍ بِكلِّ مَا فَعَلَاهُ ، هي وتشارلز .

أَخْرَجَتْ أَلبَا غَرضًا مِنْ جَيْبِ سُترَتِهَا . حَاوَلَتْ بوني أَنْ تَلْتَقِطَ أَنفَاسَهَا حِينَ رَأَتْ ذَلِكَ الغَرَضَ . إِنَّهُ ظَرْفٌ أَبيَضُ ؛ إِنَّهَا الرِّسَالَةُ الَّتِي تَركَاهَا فِي صُندُوقِ بَريدِ الشُّرطَة .

مَزَّقَتْ أَلبَا الرِّسَالَةَ إِلَى أَربعِ قطعٍ وَرَمَتْ بِهَا مِنْ فَوقِ حَافَّةِ الجَرْفِ الصَّخريِّ . أَمْسَكت الرِّيحُ بِقطَعِ الورَقِ ، وَجعلَتْهَا تُبْحِرُ بِبطءٍ نَحْوَ الأَمْوَاجِ .

– ثُمَّ ذَهَبْتُمَا مُباشَرَةً إِلَى مَتْجَرِ التُّحَفِ ، قَالَتْ . فاضطرَرْنَا أَنْ نَسرُقَ مَتْجَرَ روبرت الطَّيِّب . كَانَ لَا بُدَّ لَنَا مِنْ مَعْرِفَةِ الأَمْرِ الهَامِّ الَّذي بَحثْتُمَا عَنْهُ عِندَ رُوبِرْت .

ابتَسمَ دُوغلَاس .

– لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ فِي الحَقيقَةِ أَنَّهُ آخرُ أَفرَادِ عَائِلَةِ رووس فِي خَليجِ الظِّلِّ ، قَالَ . لِذَلِكَ ، نَحنُ شَاكِرَانِ لَكُمَا شُكْرًا إِضَافِيًا .

شَعرَتْ بوني وَكَأَنَّهَا دَاخِلَ فِيلْمِ رُعْبٍ ؛ فَيلمِ رُعْبٍ لَا يُمْكِنُ إِيقَافُهُ . يَبْدُو أَنَّ أَلْبَا وَدوغلاس لَمْ يَعْرِفَا مَا الَّذي وَجدَاهُ عِندَ روبرت ؛ أَي الصُّورُ القَدِيمَةُ الَّتِي أَظهَرَتْ سِنَّهُمَا الحَقِيقيَّ . وَلهذَا لَا تَنوي أَنْ تَنبسَ بِبِنْتِ شَفَةٍ فِي هَذَا المَوْضُوعِ .

– لِمَاذَا تَفعلَانِ هَذَا كُلَّهُ؟ قَالَتْ . لِمَاذَا تَقُومَانِ بِخطْفِ الأَطْفَالِ وَالكِبَارِ؟ إِنَّهُ ضَرْبٌ مِنَ الجُنونِ .

تَحوَّلَ وَجْهُ أَلبَا إِلى خَليطٍ مِنَ الغَضَبِ وَالصَّرَامَةِ .

- حَذَارِ، قَالَتْ. فَلَسْنَا مُصَابِينَ بِالْجُنُونِ. بَلْ رُبَّمَا نَحْنُ العَاقِلَانِ الوَحِيدَانِ فِي قريَةِ خَليجِ الظِّلِّ بِأَسْرِهَا. أَلَا تَدرُكِينَ مَا الَّذِي فَعَلَهُ النَّاسُ هُنَا بِأولف الطَّيِّب؟ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَدْفَعُوا الثَّمَنَ بِالطَّبْعِ!

أُولف الطَّيِّبُ.

أَي المنتَقِمُ ذُو الرَّأسِ المفقُودِ.

- لَكِنَّ ذَلِكَ حَدَثَ مُنذُ زَمَنٍ بَعيدٍ، قَالَتْ بوني. وَلِمَاذَا تُعَاقِبونَ أُنَاسًا لَا عَلَاقَةَ لَهُمْ بتلْكَ الحَادِثَةِ؟

- الكلُّ لَهُ عَلَاقَةٌ بتلْكَ الحَادِثَةِ، قَالَ دوغلاس بِحَزْمٍ. كَانَتْ عَائِلَةُ رووس آمِرَةً نَاهِيةً لسنواتٍ عَديدَةٍ حِينَ مَاتَ أُولف. لَمْ يَجرُؤْ أَحَدٌ فِي خَليجِ الظِّلِّ عَلَى الاعتراضِ. لَمْ يجرُؤْ أَحَدٌ عَلَى مُواجَهَتِهِمْ. لَا بُدَّ مِنْ عِلَاجٍ لِهذَا النَّوعِ من الجُبن. ثُمَّ إِنَّ مَا حَصَلَ لَمْ يَكُنْ حَادِثَةً.

اقتَرَبَ دُوغلاس مِنْ بوني.

- هَلْ تَعلَمِينَ مَا مُحْتَوى الصُّندُوقِ الَّذي طُلِبَ مِنْ أُولف نَقْلُه إِلَى هُنَا؟ قَالَ.

هَزَّتْ بوني رَأسَهَا نَفْيًا.

- لَا شَيءَ! نَاحَتْ أَلْبَا. لَقَدْ كَانَ الصُّندوقُ خَالِيًا! كَانَ السَّيِّد رُووس يَعلَمُ أَنَّ حَالَةَ الطَّقسِ سَتَسُوءُ جِدًا. أَرادَ أَنْ يَكونَ أُولف فِي عَرْضِ البحرِ عِندَ حُلُولِ الظَّلَامُ. لَمْ يبقَ بَعدَ ذَلِكَ إِلَّا إِطْفَاءُ نُورِ المَنَارَةِ، ووَصْفُ مَا جَرَى بِالحَادِثَةِ.

- لَكِنْ، تَلعثَمَتْ بوني. لِمَاذَا فَعَلَ ذَلِكَ؟

- لِأَنَّهُ أَرَادَ التَّخلُّصَ مِنْ أُولف، قَالَ دُوغلاس. أَرادَ التَّخلُّصَ مِنْهُ مِنْ

دُونِ أَنْ يبدُوَ الأَمْرُ كَجريمَةِ قَتْلٍ . لَكِنَّ مَا حَدَثَ كَانَ جَرِيمَةَ قَتْلٍ!

– كَانَ أُولف قَدِ اكتَشفَ أَنَّ أَلفريد رووس ؛ كَبيرَ العائلَةِ ، مُنكَبًا عَلَى عَمليَّاتِ التَّزويرِ . لَقَدْ قَامَ بِطبْعِ أوراقٍ ماليَّةٍ مُزوَّرَةٍ . أَخبرَ أُولف بَعضَ الأصدِقَاءِ بِمَا عَرِفَ . وَكَانَ عَليه أَلَّا يَفْعَلَ ذَلِكَ . عَلِمَ أَلفريد رووس بِالأَمْرِ طَبْعًا وَذهَبَ إِلَى بَيتِ أُولْف . قال إِنَّهُ بِحاجَةٍ إِلَى نَقْلِ صُندُوقٍ كَمَا أَنَّهُ سيدفَعُ الأُجرَةَ بِنُقودٍ ذهبيَّةٍ . رَأى أُولف النُّقودَ وَأدرَكَ أَنَّهَا أَصليَّةٌ . لَمْ يَكُنْ بِوسْعِهِ الرَّفْض ؛ لِأَنَّ عائِلتَهُ كَانَتْ تُعَانِي مِنَ المَرَضِ .

لَمْ تَظُنَّ بُوني أَنَّ أَحدَ أَفرَادِ عَائِلَةِ رووس أَطفَأَ ضَوءَ المَنَارَةِ ، لَكِنَّهَا أَدْرَكَتِ الآنَ أَنَّهَا عَلَى خَطَأ ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يَهُمُّ فِعْلًا . حَقيقَةُ أَنَّ أَلفريد رووس هُوَ مَنْ أَطفَأَ ضَوءَ المَنَارَةِ لَا تَجعَلُ الأَمْرَ أَقلَّ فَظَاعَةً . أَلْبَا وَدُوغلاس مُصابَانِ بِالجُنُونِ . لَيس مَسمُوحًا لِأَحدٍ القيامُ بِمَا قَامَا بِهِ .

تَساءَلَتْ إِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْ فاطمة وروبرت عَلَى عِلْمٍ بِحكَايَةِ تَزويرِ الأوراقِ المَاليَّةِ . لَا بُدَّ مِنْ أَنَّهُمَا يَجْهَلانِ ذَلِكَ . لَقَدْ حَصَلَ ذَلِكَ قَبلَ مَا يَزيدُ عَنِ المِئَةِ عَامٍ .

نَظَرَتْ أَلْبَا إِلَى سَاعَتِهَا .

– لَمْ يَعُدْ لَدَينَا مُتسَعٌ مِنَ الوقْتِ ، قَالَتْ . عَلينَا أَنْ . . .

قَاطَعَتْهَا بوني لِأَنَّهَا لَا تُريدُ أَنْ تَعْرِفَ السَّببَ وَرَاءَ ضِيقِ الوقْتِ .

– لِمَاذَا كَذبْتُمَا وَقُلْتُمَا إِنَّكُمَا عَمِلْتُمَا فِي مَصْنَعِ الشُّموعِ؟ قَالَتْ بِسرْعَةٍ .

نَظَرَ دوغلاس إِليهَا بِدهْشَةٍ .

– لَمْ نَكذِبْ حِينَ قُلنَا ذَلِكَ ، قَالَ . عَمِلْنَا هُنَاكَ لِعدَّةِ أَشْهُرٍ ثُمَّ أُقْفِلَ المَصْنَعُ . تَكْمُنُ المشْكِلَةُ فِي أَنَّنَا قُلْنَا لِفيفيانْ إِنَّنَا عَمِلْنَا هُنَاكَ حَديثًا ، أَيْ

قَبْلَ أَنْ نَنْتَقِلَ إِلَى صَخْرَةِ النَّسورِ . وَذَلِكَ لَيسَ صَحيْحًا . كَانَ الأَجْدَرُ بِنَا أَلَّا نَذْكُرَ مَصْنَعَ الشُّموعِ أَبدًا . لِكنِّي ممْنونٌ لِتَصْديقِكُمَا حِكَايَةَ مَصْنَعِ الزُّبدَةِ ؛ لأَنَّ ذَلِكَ مَنحنَا بَعْضَ الوقْتِ .

ذَهبَتْ أَلْبَا إِلَى المصعَدِ ، وَبَدَأَتْ تُديرُ المرفقَ الآليَّ .

– كُفِّي عَنْ ذَلِكَ! قَالَتْ بوني .

أَمسَكَ دُوغلاس بِذرَاعِ بوني .

– اهْدَئِيْ ، قَالَ .

– مَازَالَ تشارلز عَلَى الشَّاطِئ ، قَالَتْ بوني بِصوْتٍ مَخْنُوقٍ .

– نَعْلَمُ ذَلِكَ ، قَالَتْ أَلْبا . وَالآنَ سَتُرافِقِينَهُ .

تَشنَّجَتْ بوني ، وَتحوَّلَتْ إِلى مَا يُشْبهُ العصَا .

– مَا الَّذي تَنوِيَان فعلَهُ؟ قالَتْ .

– سَنَفْعَلُ مَا يَجِبُ عَلينَا فِعْلُهُ ، قَالَتْ أَلبَا .

بَدَا عَليهَا التَّعبُ .

– أَلَمْ تَستَطِيعَا البَقَاءَ خَارِجَ المَوضُوعِ؟ قَالَ دُوغلاس . لَو فَعلْتُمَا لَمَا اضطررْنَا لِلقِيامِ بِمَا نَحْنُ بِصَدَدِ القِيَامِ بِهِ الآنَ . مِسكِينَةٌ فيفيان ، لَنْ يَكونَ لَديْهَا حَفيدَانِ بَعْدَ الآن .

بَدَأَتْ بوني بِالصُّراخِ ثَانِيةً . وَثَانِيةً وَضَعَ دُوغلاس يَدَهُ فَوقَ فَمِهَا .

– قُومِي بِمَا نَطْلُبُه مِنْكِ بِالضَّبْطِ ، قَالَ . وَإِلَّا سَنضْطَرُّ لِلذَّهَابِ ، وَإِحْضَارِ جَدَّتِكِ فيفيان أَيضًا .

التَزَمَتْ بوني الهدُوءَ وَالصَّمْتَ بَعدَ ذَلِكَ . مِنْ دُونِ أَنْ تَتحرَّكَ وَلو ميلليمترًا وَاحِدًا ، شَاهَدَتْ أَلبَا تَقِفُ في المصعَدِ . ثُمَّ قَامَ دُوغلاس

بِتَحْرِيكِ المرفَقِ الآليِّ بِبطءٍ . ثُمْ عَادَ وَحرَّكَهُ حَتَّى صَعَدَ المصعَدُ إليهِمَا ثَانِيةً خَالِيًا ، فَالتَفَتَ إِلَى بوني قَائِلًا :

-«لَقَدْ حَانَ دَورُكِ الآنَ . سَتهبُطِينَ الآنَ إِلَى المغارَةِ أَنْتِ أَيضًا .»

الفَصْلُ التَّاسِعُ والعشرُونَ

مَرَّتْ دَقَائِقُ عدَّةُ قَبْل أنْ يُدْرِكَ سفانْ أَنَّهُ يَستَطِيعُ أَنْ يَثِقَ بِتشَارلز . وَأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لإِيذَائِهِ . لمْ يُدرِكْ تشارلز في بِدَايَةِ الأمْرِ السَّبَبَ الَّذي جَعَلَ الطِّفلَ يَبْقَى في المغَارَةِ . ثُمَّ رَأى الحبْلَ فِي مَا بَعدُ . هُنَاكَ مَا يُشْبهُ الأغْلَالَ عَلَى أَحَدِ كَاحِلَي سِفان . وَمِنْ ذَلِكَ القَيْدِ امتدَّ حَبْلٌ غَليظٌ رُبِطَ طَرفُهُ الآخَرُ بحلَقَةٍ ثَابِتَةٍ في جِدَارِ المَغَارة . لَقَدْ كَانَ سِفان سَجينًا بِكلِّ مَعْنًى لِلْكَلِمَةِ .

لَمْ يَتَهيَّأْ تشارلز لِأَمْرٍ كَهذَا . لَمْ يُحضِرْ مَعَهُ أَيَّ نَوعٍ مِنَ الأدوَاتِ ، وَلَا حَتَّى مَقصّ كَحَدٍّ أَدْنَى . كَيفَ يَخْرُجُ الآنَ بِسفَان مِنَ المَغَارَةِ إِلَى المصعَدِ؟

– هَلْ حَاوَلْتَ أَنْ تَسْحَبَ قَدَمَكَ خَارِجَ القيدِ؟ سَأَلَ .

أَومَأَ سِفان بِرأسِهِ وَبَدَا تَعِيسًا جِدًا .

– لَمْ أَنْجَحْ فِي ذَلِكَ ، قَالَ . وَجَعَلَ تشارلز يَرَى مَا عَنَاهُ .

تَنَهَّدَ تشارلز بِاستِسْلَامٍ . لَكنَّهُ يَرفُضُ فِكْرَةَ الصُّعودِ إِلَى أَعْلَى صَخْرَةِ النُّسورِ ثَانِيةً مِنْ دُونِ سِفانَ . يَرفُضُ ذَلِكَ . فَتَّشَ جُيوبَ سِرْوَالِهِ الخَلفيَّةِ وَالأَمَاميَّةِ . إِنَّهَا خَالِيَةٌ تمامًا . مَعْ ذَلِكَ فَتَّشَهَا مَرَّةً أُخرَى ، كَيْ يَتأَكَّدَ .

– مَا هَذَا؟ قَالَ سِفَانْ بِصوتٍ مُنْخَفِضٍ وَهوَ يَنْظُرُ إِلَى قَميصِ تشارلز .
– أَيْنَ ، قَالَ تشارلز .
– هُنَاكَ ، قَالَ سِفَان وَأَشَارَ إِلَى الجَيبِ الَّذي في صَدْرِ القَميصِ الَّذي ارتَدَاهُ تشارلز .
– آهَا ، قَالَ تشارلز . لَا شَيء . هَذِهِ مَفاتِيحُ بَيتِ الجَدَّةِ فيفيان .
بَدَتِ الخَيبَةُ وَاضحَةً على مِلامح سِفان .
لَقَدْ حَصَلَ كُلٌّ مِنْ تشارلز وبوني عَلَى نُسخَةٍ مِنَ المفَاتِيح عِنْدَ قُدومِهِمَا إِلَى صَخْرَةِ النُّسورِ ؛ كَيْ يَتمكَّنَا مِنَ المجيءِ إِلَى البيتِ وَمُغَادَرَتِه كَمَا يُريدَانِ أَثْنَاءَ النَّهَارِ .
أَخْرجَ تشارلز المَفَاتِيحَ مِنْ جَيبِ القَميصِ . مِنَ الأَفْضَلِ رُبَّمَا أَنْ يَضَعَهُمَا فِي جَيبِ السِّروالِ . عِنْدَمَا أَمْسَكَ بِالمفَاتيح البَارِدَةِ في يَدِهِ ، تَوقَّفَ قَليلًا . أَحَدُ المفَاتِيحِ طَويلٌ لِلغَايَةِ وَمُسَنَّنٌ حَادٌّ . قَدْ يَستَطِيعُ رُبَّمَا استخدَامَهُ لِقطْعِ الحبْلِ .
الأَمْرُ يَستحِقُّ المحَاولَةَ . أَمْسكَ تشارلز بِالحَبلِ جَيِّدًا وَبَدَأَ يَستَخْدِمُ المفتَاحَ كَالمِنْشَارِ . بَدَا وَكَأَنَّهُ سَينجَحُ في ذَلِكَ في بَادِئِ الأَمْرِ . لَقَدْ قَطَعَ المفتَاحُ فِعْلًا أَليافَ الحَبْلِ . لَكِنَّ تشارلز أَدرَكَ أَنَّ ذَلِكَ سَيستَغرِقُ وَقْتًا طَويلًا لِلغَايَةِ . وَأَنَّ ذِرَاعَهُ سَوفَ تَتْعَبُ . الحَبْلُ غَليظٌ جِدًا . بَعدَ عِدَّةِ سنتيمترات ، صَارَ المفتَاحُ أَقلَّ حِدَّةً بِسرْعَةٍ .
– هَلْ سَتتمكَّنُ مِنْ قَطْعِ الحَبْلِ؟ سَأَلَ سِفان بِصوتٍ مُتوترٍ .
– لَا أَظنُّ ذَلِكَ ، تَمْتَمَ تشارلز .
لَكِنَّ فِكرَةً جَديدَةً خَطَرَتْ لَهُ الآنَ . هُنَاكَ الكثيرُ مِنَ الأَحجَارِ الحَادَّةِ

عَلَى الشَّاطِئِ . يَستَطيعُ أَنْ يُجرِّبَ قَطْعَ الحبْلِ بِأَحَدِهَا ، بَدَلَ المفتَاحِ .

– سَأعُودُ حَالًا! قَالَ .

رَمَى سِفان بِنفسِهِ عَلَى تشارلز .

– لَنْ أَسمَحَ لَكَ بِالمغَادَرَةِ! صَرَخَ .

حَاولَ تشارلز أَنْ يُهدِّئَ مِنْ رَوعِهِ .

– أُريدُ فَقطْ أَنْ أُحضِرَ حَجَرًا كَي أَقْطَعَ بِواسِطَتِهِ الحَبْلَ ، قَالَ . سَأعودُ بَعدَ دَقَائِقَ مَعْدُودَةٍ .

لَمْ يَكُنْ إِقْنَاعُ سِفان بالأَمْرِ السَّهلِ ، لَكنَّهُ نَجحَ في ذَلِكَ أَخيرًا . جَلَسَ سِفان وَحيدًا بَاكِيًا في المَغَارَةِ حين بَدَأَ تشارلز يَعدُو نَحوَ الخَارِجِ . لَمْ يَشعُرْ تشارلز طَوالَ حَياتِه بِهذِه الكميَّة منَ القسوَةِ الَّتي اعترَتْهُ الآنَ .

– سَأعودُ حَالًا ، همسَ بينه وَبين ذَاتِهِ عِندَمَا رَكضَ عَابِرًا الممرَّ الجَبليَّ الضَّيِّقَ . سَأعودُ في الحَالِ .

غَرِقَ الممرُّ في الظَّلامِ وَالضَّوءُ الصَّادرُ عَنْ مِصباحِهِ اليدويِّ ضَعيفٌ لِلغَايَةِ ؛ لِذَلِكَ لَمْ يَرَ مَا حَدَثَ إِلَّا بَعدَ فَواتِ الأَوَانِ . لَقَدْ هَرعَ خَارجَ المغارَةِ ، هَبَطَ السُّلَّمَ ، وَرَاحَ يَعدُو عَلَى الشَّاطِئِ . كُلُّ مَا أَرادَهُ هُوَ العثورُ عَلَى حَجَرٍ جَيِّدٍ . لَكنَّ الأَمواجَ أَعاقَتْهُ . حَمَلَتِ الأَمواجُ الحجارَةَ الَّتي كَانَتْ مُلقَاةً عَلَى الشَّاطِئِ بَعيدًا .

– اللعنَةُ! قَالَ تشارلز عِندَمَا رَأَى حَجَرًا حَادًا لِلغَايةِ يَختَفي مَعَ الموجِ .

– كَيفَ تَسيرُ أُمورُكَ؟

صَدرَ الصَّوتُ عَنْ شَخْصٍ يَقفُ عَلَى مَسافَةٍ قَصيرَةٍ مِنهُ .

– رَفَعَ تشارلز رَأسَهُ وَرَأَى أَلْبَا .

- حَذَارِ! نَادَتْ بوني.
كَانَتْ تَقِفُ خَلْفَ أَلْبَا لَكِنَّهَا لَمْ تَجرُؤْ عَلَى تَحذِيرِه.
وَلَمْ تَكُنْ هُنَاكَ جَدْوَى مِنْ تَحذيرِه؛ لَا مَفرَّ مِنْ هُنَا. أَصَابَتِ الصَّدمَةُ تشارلز بِعنْفٍ جَعَلَهُ يَشعرُ بالبَرْد، كَأَنَّه تَحوَّلَ إِلَى كُتلَةٍ مِنَ الثَّلجِ.
- مَا حَاجَتُكَ إِلَى الحجارَةِ هُنا؟ سَأَلَتْ أَلْبَا بِصوْتٍ هَادِئٍ.
لَمْ يُجبْهَا تشارلز.
- تَحرَّكي! قَالَتْ أَلْبَا وَدَفَعَتْ بوني أَمَامَهَا.
لَمْ يَجرُؤْ تشارلز عَلَى أَنْ يَسأَلَهَا عَمَّا حَدَثَ. وَلَا دَاعِيَ لِذَلِكَ فَمَا حَدَثَ بَاتَ جَليًا أَمَامَهُ. لَا بُدَّ مِنْ أَنَّ أَلْبَا وَدُوغلاس وَجَدَا بوني عِندَ المرفَقِ الآليِّ لِلمصعَدِ، وَأَدْرَكَا مَا كَانَا بِصَدَدِ القيام بِهِ.
أَصَابَهُ الذُّعرُ في الحَالِ. هَلْ تُفكِّرُ أَلْبَا بِأَنْ تُقيِّدَهُ هُوَ وبوني دَاخِلَ المغارَةِ أيضًا؟
- آسِفَةٌ، هَمَسَتْ بوني.
- سُكُوت! قَالَتْ أَلْبَا. هَيَّا، اصعدَا السُّلَّمَ.
صَعدَ تشارلز السُّلَّمَ أَوَّلًا ثُمَّ تَبعتْهُ بوني وَمِنْ بَعدِهَا أَلْبَا.
- هَيَّا، ادخُلَا الجَبَلَ، قَالَتْ أَلْبَا.
انطَفَأَ عِندَهَا ضَوءُ المصبَاحِ اليَدويِّ في يَدِ تشارلز. تَنهَّدَتْ أَلْبَا مُنزَعِجةً وَأَنَارَتْ مصبَاحَهَا اليدويَّ لِيُضيءَ مِنْ فَوقِ رَأسَيهِمَا. شَعرَ تشارلز بِأَنَّ الممرَّ ضَاقَ خِلالَ الدَّقَائقِ المعدُودَةِ الَّتي مَضَتْ. كَانَ الهواءُ غَريبًا هُناكَ حيثُ جَعلَهُ ذَلِكَ يَتنفَّسُ بِصعوبَةٍ.
عَسَى الجَدَّةُ فيفيان تَجِدُ رِسالَتَهمَا بِأَسْرَعِ وَقْتٍ مُمكِنٍ!

صَرَخَتْ بوني عِندَمَا دَخَلَتِ المَغَارَةَ ، وَرَأَتْ سِفان الَّذي بَدَا مَذْعُورًا تمامًا . ثُمَّ رَجِعَ القَهقَرَى نَحوَ الجِدَارِ عِندَمَا دَخَلَتْ أَلْبَا .

- سَيحدُثُ التَّالي ، قَالَتْ . سَتقضُونَ ثَلاثَتُكُمْ هَذِهِ الليلةَ هُنَا . سَيُغَادِرُ سِفان يَومَ غَدٍ . بوني وتشارلز . . سَيقومَانِ بِشيءٍ آخرَ .

حَاولَ تشارلز أَنْ يتنفَّسَ كَالعَادَةِ لَكنَّهُ عَجزَ عَنْ ذَلِكَ .

لَكنَّ سِفان فَرِحَ .

- هَلْ سَأعودُ إِلى بَيتِنَا غَدًا؟ قَالَ .

- لَمْ أَقُلْ ذَلكَ ، قَالَتْ أَلْبَا .

أَخْرَجَتْ حَبْلًا غليظًا منْ حَقيبَةِ الظَّهرِ الَّتي كَانَتْ تَحْمِلُهَا .

عَادَ تشارلز خُطوَةً إِلى الورَاء .

- لَكِنَّكِ قُلْتِ إِنَّني . . . ، بَدَأَ سِفان .

- اصمُتْ! صَرخَتْ أَلبا . مَا عَليكَ إِلَّا أَنْ تَلتَزِمَ الصَّمْتَ تَمامًا!

أَعَادَتْ جُدرَانُ المَغَارَةِ صَدَى صَوتِهَا . وَضَعَ تشارلز يَدَيهِ عَلَى أُذنَيهِ وَأَجْهَشَ سِفان بِالبُكَاءِ .

- اجلُسُوا عَلَى الأَرْضِ ، قَالَتْ أَلْبَا .

لَمْ يَجرُؤْ أَيٌّ مِنْ تشارلز أَوْ بوني عَلَى الاعتِرَاضِ بَلِ امتَثَلَا لِأَوامِرِهَا .

بَحثَتْ أَلبَا في حَقيبَةِ الظَّهرِ ، وَأَخرَجَتْ مِنهَا زَوْجًا مِنَ الأَغْلَالِ .

- لَا ، هَمَسَتْ بوني .

- لَيسَ لَدَيَّ خيارٌ آخرُ ، قَالَتْ أَلْبَا . لَا بُدَّ مِنْ فِعلِ هَذَا .

انحَنَتْ وَبَدَأَتْ تَضَعُ أَحدَ الأَغْلَالِ حَولَ كَاحِلِ بُوني .

فِي تِلكَ اللحظَةِ لَمَحَ تشارلز ظِلًا عَلَى الجِدَارِ بِالقرْبِ مِنْ مَدْخَلِ المغارَةِ . هَلْ يقفُ أَحَدٌ هُنَاك؟ لَا بُدَّ مِنْ أَنَّهُ دُوغلَاس ، بِالطَّبع . لَا بُدَّ مِنْ أَنَّهُ نَجَحَ فِي الهبُوطِ فِي المصعَدِ وحدهُ بطريقَةٍ مَا . زَحفَ تشارلز ليبتَعِدَ قَليلًا مِنْ هُنَاكَ . تَحرَّكَ الظِّلُّ عِندَ مَدْخَلِ المَغَارَةِ . لِمَاذَا لَا يَدْخُلُ دُوغلَاس وَحَسْبُ!؟

ثُمَّ سُمِعَ فِي تلكَ اللحظة دَوِيُّ سُوطٍ يَهوِي ؛ شَيءٌ مَا اخترَقَ الهواءَ ، وَحطَّ عَلَى الأَرض بِالقرْبِ مِنْ أَلْبَا .

إِنَّهُ سُوطُ الخيلِ!

طَارَتْ أَلْبَا مِنْ مَكانِهَا بِسرعَةِ البَرقِ ، وَوَقَفَتْ عَلَى قَدَميهَا . ثُمَّ هَوَى السُّوطُ ثَانيةً . وَكَانَ عَلَى وَشَكِ أَنْ يَحطَّ عَلَى وَجهِهَا . حَاوَلَ تشارلز أَنْ يَلتقِطَ أَنفَاسَهُ .

إِنَّهُ بُول!

– هَلْ هَذَا مَا تَعلَمتِيه؟ قَالَ بُول . أَنَّهُ لَيسَ لَديكِ خَيارٌ آخَرُ؟ أَنَّكِ مُجبَرَةٌ عَلَى إِيذَاءِ النَّاسِ؟

بَدَا هَائِجًا مِنْ شِدَّةِ الغَضَبِ .

– أَيَّتُهَا الحَمقَاءُ! قَالَ . لَكِنَّ الأَمْرَ انتَهَى الآنَ . أَنَا الْمُنتَصِرُ هَذِهِ المرَّة . سَأَرحَلُ بِرفْقَةِ الأَطفَالِ مِنْ هُنَا!

شَعرَ تشارلز براحَةٍ جَعلَتْهُ يَرغَبُ بِالبُكَاءِ .

بول يُسانِدهُمَا . تَمَامًا كَمَا اعتَقَدَ تشارلز منذُ البِدَايَةِ .

هَدَأَتْ أَلْبَا . هَدَأَتْ وَكَانَ هُدُوؤُهَا مُرعِبًا . حَدَّقَتْ فِي عَينَي بُول .

– انسَ ذَلِكَ ، قَالَتْ . دُوغلَاس يَقِفُ أَعْلَى الصَّخرَةِ . إِنَّهُ . . .

ثُمَّ قَاطَعَهَا بُول .

– هَلْ تعتَقِدِينَ ذَلِكَ فِعْلًا؟ قَالَ . إِذَا كَانَ دُوغلَاس يَقفُ أَعْلَى الصَّخرَة ، كَيفَ وَصلْتُ أَنَا إِلَى هُنَا إِذًا؟

امتقع وَجْهُ أَلبَا وَصَارَ رَمَادِيًا .

– لَقَدْ حَبَسْتُ دُوغلَاس دَاخِلَ المَنَارَةِ ، وَهَا هُوَ المِفْتَاحُ .

أَمْسَكَ بِمفتَاحٍ أَمَامَ وَجهِ أَلْبَا .

– لَقَدْ نَسيتُمَاهُ في البَيت عِندَمَا غَادَرْتُمَا ، قَالَ بول . يَا لِلإِهمَالِ .

تَنفَّسَتْ أَلبَا بصعُوبَةٍ .

– مَنْ أَنْزَلَك إِلَى هُنا؟ سأَلَتْ .

– لَا أَحَد . لَقَد استعملْتُ كابل المصعدِ للتَسلُّقِ إِلَى أَسفَلِ الصَّخرَة . لَمْ يَكُنِ الأمرُ سَهلًا ، لكنَّهُ لم يَكُنْ مُستحيلًا أيضًا .

– لَيسَ لَدَيكَ أدنى فُرصَة ، هَمَسَتْ أَلبَا . لَقَدْ دَبَّرْنَا كَلَّ شَيءٍ . الليلَةَ . . .

– لَا شَيءَ سَيحدُثُ الليلَةَ ، لَا شَيءَ عَلَى الإِطلَاقِ ، صَاحَ بول . لِأنَّني خَرَّبْتُ المنَارَةَ . لَقَدْ فعلْتُ ذَلِكَ بَعدَ ظُهرِ اليوم . لَنْ يَشعَّ نُورُهَا ثَانِيةً وَإِلى الأبَدِ . لَنْ يَمرَّ المنتَقِمُ بِمحَاذَاةِ صَخرَةِ النُّسورِ ثَانِيَةً . لَقَدْ أَفْشَى دُوغلَاس لي أَنَّ المنتَقِمَ يَحضرُ قَتلَ ضَحايَاه مِنَ المينَاءِ عَادَةً . لَكنَّهُ لَنْ يَفعَلَ هَذِهِ المرَّة .

كَانَ كَلامُهُ أَكبرَ مِنْ قُدرَةِ أَلبَا عَلَى الاحتِمَالِ . خَارَتْ قِوَاهَا ، وَرَكَعَتْ عَلَى الأَرْضِ وَقَدِ امتَقَعَ لَونُ وَجهِهَا وَتحوَّلَ إِلَى البَياضِ .

– لَقَدْ قَامَ المنتَقِمُ بِرحَلتِهِ الأَخيرَةِ إِلَى خَليجِ الظِّلِّ ، قَالَ بول .

عِندَمَا يَأتي ، سَتكونُ المَنَارَةُ مُطفَأَةً . وَسوفَ يَتحطَّمُ فَوقَ صُخورِ الشَّاطِئِ ثَانيةً .

– لَا ، مِنْ فَضْلِكَ ، لَا ، قَالَتْ أَلْبَا . سَأفْعَلُ كُلَّ مَا تَأمُرني بِهِ . إنَّني . . .

– لَقَدْ فَعلْتِ مَا فيه الكفايَة حَتَّى الآن ، قَالَ بول . لَقَدِ اتصلْتُ بِالشُّرطَةِ ، وَقوارِبُهمْ في طَريقِهَا إِلَى الشَّاطِئِ الآنَ . أَنْتِ صَاحِبَةُ القَرارِ ، إنْ كُنتِ تُريدِينَ استقبَالَهُمْ هُنَا أَوْ لَا .

– دُوغلَاس ، هَمَسَتْ أَلبَا .

لَمْ يُجبْهَا بول بَلِ التفَتَ إِلَى كُلٍّ مِنْ تشارلز وبوني وسِفان .

– هَلْ أَنتُمْ بِخيرٍ؟ قَالَ .

خَرجَتْ أَلبَا مِنَ المغارَةِ بِخُطًى ثَقيلَةٍ . تَابَعَهَا بول بِعينَيهِ . وَرَاحَ يضرُبُ بِسوطِ الخَيلِ ذَهابًا وَإِيابًا في الهَواءِ . عِندَ اختِفَائِهَا عَنْ أَنظَارِهم ، سَمِعوهَا تَصرخُ بِصوتٍ عَالٍ جَعلَ تشارلز يَظنُّ أَنَّ الجَبلَ سَيهوي فَوقَ رؤوسِهم .
ثُمَّ عَمَّ السُّكونُ .

الفَصلُ الثَّلاثُونَ

جَرتِ الأمورُ بِسرعَةٍ في ما بعد إلَى دَرجَةٍ جَعَلَتْ بوني تَشعُرُ أَنَّهَا تَكادُ لَا تَدْري مَا يَجْري حَولَها . أتت الشُّرطةُ بَادئَ الأمرِ بِواسِطَةِ طَائِرةٍ مِروحيَّةٍ . ارتَدَى كُلٌّ مِنهُم حَمَّالة أمانٍ ، واحدًا تلوَ الآخرِ ، ثُمَّ قَامَتِ المروحيَّةُ بِرفعِهم مِنْ هُناكَ ، وَنَقلهمْ إلى أعْلَى الحرف الصَّخريِّ . لَوْ حَدَثَ ذَلِكَ في مناسَبَةٍ أُخرَى لاستَمْتَعَتْ بُوني كثيرًا . لَكنَّهَا لَمْ تَفْعَلِ الآن . كُلُّ مَا جَرَى الآن صَعْبٌ وَمخيفٌ .

تَجمَّعَ أَعْلَى صَخْرَةِ النُّسور عَدَدٌ آخرُ مِنْ رِجَالِ الشُّرطَةِ . وَكَانَتِ الجدَّةُ فيفيان هُنَاكَ أَيضًا . نُقِلَ سفان إلَى مُستشفَى سفارتهيد في سَيارَةِ إسعَافٍ . لَمْ يَرَ أَحدٌ أَثرًا لِألْبَا . وَعندَمَا فَتَحَ بول بَابَ المنَارَةِ ، وَجدَ أَنَّ دُوغلَاس قَدِ اختَفَى . لَمْ يَعلَمْ أَحدٌ كَيفَ نَجَحَ في الخروجِ مِنْ هُنَاكَ . لَكنَّ المنَارَةَ كَانَتْ مُحطَّمَةً ، تَمامًا كَمَا قَالَ بول .

– يُمكِنُ إصلاحُهَا ، قَالَ أَحدُ رِجالِ الشُّرطَةِ .

– لَنْ يُصلحَ أَحدٌ المنَارَةَ بَعْدَ اليومِ ، قَالَ بول .

تَحدَّثَ بُول إِلَى بوني وتشارلز قَبلَ مَجيءِ رِجَالِ الشُّرطَةِ . لَكنَّ سِفان كَانَ مُرهَقًا لِلغَايَةِ ، وَغفَا في اللحظَةِ الَّتي شَعرَ فِيهَا بِالأمَانِ .

– لَنْ يُصدِّقَ رِجَالُ الشُّرطَةِ أَنَّ عُمرَ أَلبَا ودوغلاس يَزيدُ عَنْ مِئَةٍ وَخمسِين عَامًا ، قَالَ بول . سَوفَ نُخبرُهمْ بِأَنهمَا الجُنَاةُ طَبعًا ، لَكِنْ لَنْ نَقولَ أَكثَرَ مِنْ ذَلِكَ . لَا أَظنُّ أَنَّ الشُّرطَةَ تُصدِّقُ حِكايَةَ المنتَقِمِ ذِي الرَّأسِ المفقُودِ ، عَلَى سَبيلِ المِثَالِ .

وَهَذَا مَا حَصَلَ . لَمْ يُدْلِ أَيٌّ مِنهُمَا بِأقوالِهِ كُلِّهَا . تَحدَّثَ رِجَالُ الشُّرطَةِ إِلى تشارلز أَوَّلًا ثُمَّ إِلى بوني . أَخبَرتهم بوني بِكلِّ مَا استَطَاعَتْ أَنْ تُخبرَهُم بِهِ .

– عليكُمَا فِي المَرَّةِ القَادِمَةِ أَنْ تَتركُوا لَنَا حَلَّ مِثلِ هَذهِ القَضَايَا ، قَالَ أَحدُ رِجَالِ الشُّرطَةِ لَهَا بِحزْمٍ .

– عَليكُمُ الحُضورُ إِلى هُنَا أَكثَرَ مِنْ مَرَّةٍ فِي الأسبوعِ إِنْ أَردتُمْ القِيَامَ بِحلِّ مِثلِ هَذهِ القضَايَا ، قَالَتْ بوني .

غَادَرَ الشُّرطِيُّ المَكَانَ عِندَ سَمَاعِهِ كَلامَهَا . ذَهبَ هُوَ وَزميلٌ آخرُ لِحفْرِ الأرضِ عندَ شَاهِدِ القَبرِ الخَالي . لَا رَغبَةَ لِبوني بِمعرِفَةِ عَددِ الضَّحَايَا الذين دُفِنُوا هُنَاكَ . رُبَّمَا هُنَاكَ العديدُ مِنهُمْ . وَرُبَّمَا لَمْ يُدفَنْ أَحدٌ مِنهُمْ هُنَاكَ أَصلًا .

كَانَتِ الجَدَّةُ فيفيان مُضطرِبَةً وَحزِينَةً . لَكنَّهَا لَمْ تَكُنْ غَاضِبةً . قَدَّمَتْ شَرابَ الشُّوكولَاتة السَّاخن مَعَ الحليبِ فِي الصَّالونِ فِي حُضورِ بُول . بول الَّذي لَمْ يَكن كَعَادَتِه ، بَل كَانَ لَطيفًا وَهَادِئًا ، وَيصغي بِاهتِمَامٍ كُلَّمَا تَحدَّثَ أَيٌّ مِنْ بوني أَوْ تشارلز .

– الآنَ وَقَدْ تعارفْنَا ، قَدْ تَجْرُئِينَ عَلَى المَجيءِ إِلَى الإِسطَبلِ ، قَالَ بول لِبوني .

احمرَّتْ وَجنَتَا بوني وَأومَأَتْ بِرأسِهَا .

– بِكلِّ سرورٍ .

مَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان إِلَى الخَلفِ حَيثُ جَلَسَتْ فَوقَ الكَنبَةِ .

– لِمَاذَا لَمْ تُخبِرَانِي بِمَا كُنتُمَا تَفعَلَانِ؟

نَظرَ كُلٌّ مِنْ بوني وَتشارلز إِلَى الآخَرِ . بِمَاذَا يُجِيبَانِهَا يَا تُرَى؟

سَهَّلَتِ الجَدَّةُ فيفيان الأمْرَ عَليهِمَا قَليلًا .

– لَقَدْ وَجدْتُ رِسَالَتَكُما ، قَالَتْ . وَلِعلْمِكُمَا ، إِنَّنِي أَستَعمِلُ شِبْشِبَ الصَّباحِ فِي المَساءِ أيضًا .

خَفَضَتْ بوني نَظرَهَا إِلَى الأَرضِ .

– لَكِنَّا تَحدَّثْنَا إِليكِ فِي الحَقِيقَةِ ، قَالَتْ . لَكنَّكِ لَمْ تُصغِي إِلينَا .

– لأَنَّكِ لَمْ تُصدِّقِي حِكَايَةَ المُنتَقِمِ ذِي الرَّأسِ المفقُودِ ، قَالَ تشارلز .

فَتَحَتِ الجَدَّةُ فيفيان ذِرَاعَيهَا حِينَ ضَاقَتْ ذُرعًا .

– لَكِنْ يَا إِلَهِي ، لَمْ أَكنْ أَعتَقِدُ أَنَّ وَجودَهُ مُمكِنٌ . إِنَّنِي . . .

ثُمَّ صَمَتَتْ وَنَظَرَتْ إِلَى بُول .

– لَقَدَ حَاوِلْتُ التَّحدُّثَ إِليكِ أَنَا أَيضًا ، قَالَ بول بِسرعَةٍ . مُنذُ عِدَّةِ سَنواتٍ . لَكنَّكِ لَمْ تُصدِّقِينَنِي أَنَا أَيضًا . ثُمَّ إِنَّ أَلبَا ودوغلاس قَامَا بِعمَلِهِمَا عَلَى أَكمَلِ وَجْهٍ . لَمْ يَكنْ مِنَ السَّهلِ إِقنَاعُكِ بِأَنَّهمَا شَخصَانِ مَيِّتَانِ قَدْ تَحوَّلَا إِلَى شَبَحَينِ .

كَادَ كُلٌّ مِنْ بوني وتشارلز يَقفِزُ مِنْ مَكَانِهِ عِندَ سَمَاعِ ذَلِكَ .

– ميّتانِ وَقَدْ تحوّلَا إِلَى شَبَحَينِ! قَالَ تشارلز .
– مَاذَا كُنتُمَا تَظنّانِ عَنهمَا إِذًا؟ قَالَ بول .
حَدّقَ كُلٌّ مِنْ بوني وتشارلز بِبُول .
– تَقولُ الحِكَايَةُ الّتي مَا زَالَتْ تُروَى في القَريَةِ أَنَّ مُساعِدًا كانَ بِرفقَةِ المنتَقِم عِندَمَا تُوفّيَ ، قَالَ بول . لا بُدّ مِنْ أَنّكمَا سَمعتُمَاهَا . لَكِنّ ذَلِكَ لَيسَ صَحيحًا . كَانَ في قَارَبِ المنتقِم أَربَعةُ أَشخَاص . عِندَ نَقْلِ الصُّندُوقِ عَلَى مَتْنِ القَاربِ ، صَعَدَ إِليهِ كُلٌّ مِنْ أَلبَا ودوغلاس أَيضًا . لَكِنَّ الأمرَ كَانَ سِرًّا . كَانَا مُغرَمَينِ جِدًّا بِبعضِهمَا ، وَحَاولَا الهربَ مِنْ عَائِلتَيهمَا . (إِذًا صاروا أكثر من أربعة) لَمْ يَكُنِ الطَّلَاقُ أَمرًا سَهلًا في ذَلِكَ الوقت . لَمْ يَذكرِ المُساعِدُ شَيئًا عنهُمَا عِندَمَا نَجَا مِنَ الغَرَقِ . ذَكَر فَقَط مَا قَالَهُ المنتَقِمُ قَبلَ وَفَاتِهِ .
أُصيبَتْ بُوني بِمَا يُشبِهُ الدُّوارَ .
– كَيفَ تَعرَّفْتَ إِلَى هَويّةِ أَلبَا ودوغلاس الحقيقيّةِ؟ قَالَتْ .
ابتَسَمَ بول .
– لَقَدْ كَانَ لَدَيَّ وَقتٌ أَطوَلُ بِكثيرٍ مِمَّا كَانَ لَديكُمَا لِلبَحثِ عَنِ الحقِيقَةِ . لَقَدْ زُرْتُ الجَزيرَةَ الّتي أَحضَرَ مِنهَا المنتَقِمُ الصُّندوقَ . النَّاسُ يَتحدّثونَ عَمَّا حَدَثَ هُناكَ أَيضًا . أَكّدَ لي أَحَدُ الرِّجَالِ المسنين الّذينَ التقيتُهُم ، بِثِقَةٍ رَاسِخَةٍ رُسوخَ الجِبَالِ قَائِلًا : «لَقَد اصطَحبَ المنتَقِمُ أَكثَرَ مِنْ شَخْصٍ عَلَى مَتْنِ قَاربِهِ .» إِضَافَةً إِلى أَنّهُ أَرَاني صُورَةً لِلرَجُلِ وَالمَرأَةِ اللّذَينِ كَانَا بِرفقَتِه ؛ أَلبَا وَدوغلاس لَمْ يتغيّرَا ، لَمْ يَتَغيّرْ إِلّا اسماهُما ؛ لِأَنَّ اسمَيهمَا كَانَا مُختَلفَينِ حِينَهَا . كَانَتْ أَلبا تُدعَى «سيغني» وَكَانَ دُوغلاس يُدعَى «يوهان .»

– لَكنَّكَ قُلْتَ إِنَّهُمَا شَبحَانِ مَيِّتَانِ ، قَالَ تشارلز .

– لَقَدْ تُوفِّيَا لَيلَةَ الحَادِثَةِ مَعَ المنتَقِم ، قَالَ بُول . لَكنَّهُمَا عَلِقَا بِطرِيقَةٍ مَا ، مَا بَينَ عَالَم الأَموَاتِ وَعَالَم الأَحياءِ ؛ كَالمنتَقِم بالضَّبطِ .

هَزَّتِ الجَدَّةُ فيفيان رَأسَهَا بِبطءٍ .

– أَظُنُّ أَنَّني بِحاجَةٍ لِلتَفكِيرِ بِهذَا كُلِّهِ ، قَالَتْ . في الحَقِيقَةِ ، أَظنُّ أَنَّني بِحَاجَةٍ إِلَى التَّفكيرِ لِوقْتٍ طَويلٍ لِلغَايَةِ .

لَمْ يَقُلْ أَحدُهم شَيئًا لِفتْرَةٍ طَويلَةٍ .

شَعرَتْ بوني فجْأَةً بالتَّعَب الَّذي كَانَتْ تُحسُّ بِهِ .

– مَا الَّذي سَيحدُثُ الليلَةَ؟ سَأَلَتْ . عِندَمَا يَأتي المُنتَقِمُ وَيجِدُ أَنَّ المنارَةَ مُطفَأَةٌ؟

أَرادَتْ أَنْ تَعرفَ ذَلك ، وَفي الوقْتِ ذاتِهِ لَمْ تُرِدْ .

حَكَّ بُول جَبْهتَهُ .

– لَيسَ مِنَ النَادِرِ أَنْ نسمَعَ عَنْ بَحَّارَةٍ يَظهرُونَ كَأشبَاحٍ في البَحرِ ، قَالَ . لَقَدْ سَافرْتُ كَثيرًا ، وَرَأَيْتُ حَالاَتٍ أُخرَى مُشَابِهَةً . يَبدُو أَنَّ بَعضَ البَحَّارَةِ يُصبِحونَ كَالمنتَقِمِ ؛ غَاضِبِينَ وَقُسَاة . يَجِبُ أَنْ يتعرّضُوا لِحَادِثَةٍ أُخرَى كَي يَتوقَّفُوا عَمَّا يَفعَلونَه ، كَي يَجِدُوا الرَّاحَةَ وَالسَّلاَمَ .

«كَي يَجِدُوا الرَّاحَةَ وَالسَّلاَمَ .»

تَمَعّنَتْ بوني في تِلكَ الجُملَةِ بَينَهَا وَبينَ ذَاتِهَا . تِلكَ الجُمْلَةُ الَّتي نَطَقَتْ بِهَا وَالِدَتُهَا بَعدَمَا تَركَهُمَا وَالِدُهَا .

– «يَجِبُ أَنْ نَجِدَ الرَّاحَةَ وَالسَّلاَمَ ؛ أَنْتِ وَأَنَا» قَالَتْ وَالِدَتُهَا يومَهَا . وَقَدْ فَعَلَتَا ذَلِكَ فِعْلًا . ثُمَّ التَقَتْ وَالِدَتُهَا بِإبّه فِي مَا بَعدُ .

– هَلْ أَنتَ مُتَأَكِّدُ مِنْ أَنَّ المنتقِمَ لَنْ يَعودَ مَرَّةً أُخرَى؟ سَأَلَ تشارلز . هَلْ أَنْتَ مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّ رِحلَتَهُ الليلَةَ سَتكونُ الأخيرَةَ؟

– إِنَّني مُتَأَكِّدٌ تَمامًا مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ بول .

– قُلْ لِي إِنَّكَ سَتبقى سَاهِرًا الليلَةَ لِتتأكَّدَ مِنْ أَنَّ المَنارَةَ مُطفَأَةٌ طوالَ اللَيلِ؟ قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . حَتَّى لَا تقومَ أَلْبَا ودوغلاس بِمحَاولَاتٍ جَديدَةٍ؟

بَدَا الحزْنُ جَليًا علَى مَلامحهَا . لَقَدْ وَضَعَتْ ثِقَتَهَا بِأَلْبَا ودوغلاس . وَقَدِ اختَفَى كُلٌّ مِنهُمَا الآنَ .

وَعدَ بُول بِأَنْ يقومَ بِحرَاسَةِ المَنَارَةِ طَوالَ الليلِ .

– أينَ هُمَا الآنَ؟ سَأَلَتْ بوني بِصوْتٍ مُنخَفِضٍ .

– أَلبَا وَدوغلاس؟ قَالَ بول . لَسْتُ أَدرِي . أَظنُّ أَنَّهُمَا يَنتَظِرانِ المنتَقِمَ عِندَ شَاطِئِ البَحْرِ . وَسوفَ يَختَفِيَانِ عِندَمَا يَعْجَزُ عَنِ الوصولِ إِلَى الميِنَاءِ .

اقشعرَّتْ بوني .

لَقَدِ اختَفَتْ أَلْبَا عِندَ الشَّاطِئِ ، عَلَى الرَّغم مِنْ أَنَّه لَا يُوجَدُ مَفرٌّ مِنْ هُنَاكَ . وَقَدْ غَادَرَ دُوغلاس المَنَارَةَ مِنْ دُونِ أَنْ يَفتَحَ البَابَ المقفُولَ .

كَمَا يَفعَلُ الأَشبَاحُ تَمامًا . يَستَطيعَانِ المَجيءَ وَالمُغَادَرَةَ ، تَمامًا كَمَا يَحلُو لَهُمَا .

الفَصلُ الواحِدُ وَالثّلاثون

مَكَثَ كُلٌّ مِنْ بوني وتشارلز عندَ الجَدَّةِ فيفيان لِثَلاثَةِ أَسابِيعَ كَامِلَةٍ. عِطلَةُ الصَّيفِ تِلكَ كَانَتِ الأفضَلُ فِي حَياةِ تشارلز، كَمَا قَالَ. يَتَّصِلُ كلٌّ مِنْ وَالِدِه وَغابرييلا بِهِمَا أَحيانًا. لَمْ يَتحدَّثوا عَنْ لَندن بَعْدَ ذَلِكَ. أَو بِالأَحْرَى، قَالَ إِبّه لِتشارلز:

– لَقَدْ أُخِذَ القَرَارُ. سَوفَ نُنفِّذُ القَرارَ الّذي اتَّخذتُه أَنا وغابرييلا وَننتَقِلَ إِلى لندن في نِهَايَةِ شَهرِ آب.

ثُمّ أَضافَ بَعدَ ذَلِكَ:

– لَكِنْ يَا تشارلز، سَوفَ نَعودُ وَننتَقِلُ إِلَى هُنَا إِنْ لَم تُعجِبْنَا الحَياةُ هُناكَ. لَا بُدَّ مِنْ أَنَّكَ تَفهَمُ ذَلِكَ. لَقَدْ وَاجهْنَا مَا يَكفِي مِنَ الصُّعوبَاتِ؛ أَنَا وَأنتَ. إِنْ لَمْ تُعجبْكَ الحَياةُ في لندن سنعودُ إِلَى هُنَا. لَكِنْ علينَا أَنْ نُجرِّبَ الحَياةَ هُنَاكَ عَلَى الأقَل. أَليسَ كَذلِكَ؟

– حَسَنًا، قَالَ تشارلز.

وَفَعلَتْ بُوني ذَلِكَ أَيضًا.

بَلْ وَقَالَتْ بوني مَا هُو أكثر مِنْ «حَسنًا» . إِذْ إِنَّهَا بَدأَتْ تركَبُ الخيلَ مَعَ بول ، وَلَمْ تَتحدَّثْ تقريبًا إلَّا عَنْ رِياضَةٍ تُمَارَسُ مِنْ عَلَى ظَهرِ الخيلِ تُدعَى بولو . يَبدُو أَنَّهَا رِياضَةٌ عَظيمَةٌ فِي إِنجلترا وَرِياضَةٌ تكادُ تَكونَ غَيرَ معروفَةٍ فِي السُّويد . بُول هُو الَّذي عَلَّم بوني لُعبَةَ البولو . أمَّا تشارلز فَلَمْ يَكتَرِثْ لأمرِ تِلكَ الرِّياضَةِ إِطلَاقًا . لَكِنَّ إِبَّه أَخبرَهُ أَنَّهُ يَستَطِيعُ أَنْ يَختَارَ تَصمِيمَ الأزيَاءِ كَمادَّةٍ إِضافِيَّةٍ فِي المدرَسَةِ الإنجليزيَّةِ الَّتي سَيلتَحِقَانِ بِهَا .

– هَذَا إِنْ كُنْتَ تَرغَبُ فِي ذَلِكَ ، قَالَ والدُهُ .

بَدَا وَاضِحًا مِنْ نبرةِ إِبَّه أَنَّ تصمِيمَ الأزياءِ أَمرٌ لَا حَاجَةَ لَهُ ، كرِيَاضَةِ البولو تَمَامًا . لَكنَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ صَرَاحةً . بَلْ حَرِصَ عَلَى أَنْ يَذكُرَ أَمْرَ المَادَّةِ الإِضَافِيَّةِ كَيْ يعرِفَ تشارلز ذَلِكَ .

قَرَّرَ تشارلز أَنَّهُ سَمِعَ مَا فِيهِ الكِفَايَة .

قَامُوا بَشيِّ اللحومِ فِي الليلَةِ الأخيرَةِ الَّتِي قَضَوهَا فِي صَخرَةِ النُّسورِ . وَكَانَ بُول حَاضِرًا أَيضًا .

– سَأشعُرُ بِالفَرَاغِ عِندَمَا تُغادِرَانِ ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان .

أَدرَكَ كُلٌّ مِنْ بوني وتشارلز مَا عَنَتْهُ .

تَفتَقِدُ الجَدَّةُ فيفيان ألبا ودوغلاس ، حَتَّى وَإِنْ لَمْ تَقُلْ ذَلِكَ صَراحَةً . لَا أَحَدَ يَعلَمُ شَيئًا عَنْ مَصيرِهِمَا . لَكنَّ المَنَارَةَ ظَلَّتْ مُطفَأَةً مُنذُ أَنْ عُثِرَ عَلَى سِفَان . وَلَمْ يَرَ أَحدٌ المنتَقِمَ ذَا الرَّأسِ المفقُودِ فِي عَرضِ البَحرِ مُنذُ ذَلِكَ اليومِ .

حَاولَ تشارلز تَفادِيَ التَّفكيرِ بِكلِّ أُولئِكَ الأشخَاصِ الَّذينَ اختَفَوا قَبلَ سِفان ، بِكلِّ الَّذينَ لَنْ يَعودُوا ، فالمَوضُوعُ قَدِ انتَهَى الآنَ .

– سَوفَ نَأتي لِزيارَتِكِ ، قَالَتْ بوني . مِرَارًا!

كَانَتْ تَرتَدي القُبَّعَةَ ، والتَّنُورَةَ الَّتي خَاطَهَا لَهَا تشارلز .

– لَقَدْ تَحَدَّثْتُ مَعَ والدَتِكِ يومَ أَمْسِ ، قَالَتِ الجَدَّةُ فيفيان . يبدُو أَنَّهَا تريدُ أَنْ تَأتي لِزيارَتي هِيَ الأُخرَى .

سَطعَ نورُ الفرَحِ عَلَى مُحيَّا بوني كَامِلًا .

– عَظيمٌ ، قَالَتْ .

جَلَسُوا في الخَارِجِ طَويلًا يَتحدَّثُونَ وَيضْحَكُونَ . قَدَّمَ بُول أيس كريم صنَعَهَا بِنفْسِهِ بعدَ تناولِهم الطَّعام . وَقدَّمَتِ الجَدَّةُ فيفيان لِكلٍّ مِنهُمَا لَوحةً رَسمَتْهَا . أَمَّا فيني فَكانَ مُنْشَغلًا بالعدوِ ذَهَابًا وَإِيابًا ، يُطَارِدُ الذُّبَابَ وَالأَرانِبَ . تَساءَل تشارلز كيفَ سَتَنامُ بوني مِنْ دُونِهِ بعدَ اليوم .

ثُمَّ حَانَ وَقْتُ النَّومِ في النِّهَايةِ . تَمَشَّى بول إلى بيتِهِ ، وَدخلَتِ الجَدَّة فيفيان غُرفَتَهَا . لَمْ ينجَحْ تشارلز في وَضْعِ حَاجِزٍ بينَهُ وَبينَ الحُزنِ الَّذي اعترَاهُ عندَمَا تَمدَّدَ فوقَ سَريرِهِ . لَقدْ مَرَّتِ الأَسابيعُ بِسرعَةٍ . اعترَاهُ شُعورٌ غَريبٌ لِمجرَّدِ التَّفكيرِ بِأَنَّهُمَا سَيغَادِرَانِ في اليَومِ التَّالي . هَذَا عَدَا عَنِ الشُّعورِ العجيبِ الَّذي اعتَرَاهُ عِندَمَا فَكَّر بِأَنَّهم سَينتَقِلونَ جَميعًا إِلَى لندن .

طَرَقَ أَحدٌ بَابَ غُرفَتِهِ بِهدُوءٍ .

– مَا زِلْتَ مُستَيقِظًا؟ قَالَتْ بوني بِصوتٍ مُنخَفِضٍ .

– نَعم ، قَالَ تشارلز .

– فيني يُريدُ الخُروجَ إِلَى الحدِيقَةِ كَيْ يَتَبَوَّلَ. لَا أُريدُ مُرافقَتَهُ إِلَى الخَارِجِ وَحدِي.

– سَآتِي مَعَكُمَا، قَالَ تشارلز مُباشَرَةً.

هَبَطُوا الدَّرجَ سَوِيًا وَمرُّوا عَبرَ البابِ الخَارجِيِّ.

– هَيَّا، تبوَّلْ، قَالَتْ بوني لِفيني.

وَقفَ فيني سَاكِنًا لحظَةً، ثُمَّ رَاحَ يَعدُو إِلى الجِهَةِ الخَلفيَّةِ مِنَ المنزِلِ.

– لَا، لَا تَفعَلْ هَذَا ثَانِيةً، قَالَتْ بوني.

لَمْ يَربطْ أَيٌّ مِنهُمَا فيني بِالقَيدِ. خَشِيَ تشارلز أَنْ يَقعَ فيني مِنْ عَلَى حَافَّةِ الجَرفِ الصَّخريِّ. ثُمَّ إِنَّهُ سَمِعَ أَنَّ المطَرَ سَيتَساقَطُ في هَذِهِ الليلَةِ. لَيسَت لَديهِ أَيَّةُ رَغبَةٍ في العَدوِ خَلفَ فيني تحتَ المطَرِ لَيلًا.

لَكِنَّ فيني تَوقَّفَ في مُنتَصَفِ السَّجَّادَة العشبيَّةِ خَلفَ المنزِلِ، وَرَاحَ يَنظُرُ نَحوَ المَنارَةِ مُباشَرَةً.

أَمسَكَ تشارلز بِالعقدِ الَّذي يُحيطُ بِعنُقِهِ.

– كُفَّ عَنْ ذَلِكَ الآنَ، قَالَ. نُريدُ أَنْ نَدخُلَ إِلى البيتِ لِلنومِ.

شَعرَ عِندَهَا بِيدِ بوني البَارِدَةِ عَلَى ذِرَاعِهِ.

– تشارلز، هَمَسَتْ. انظُرْ.

بِإِصبَعٍ مُرتَجِفٍ أَشَارَتْ بوني نَحوَ المَنارَةِ.

شَعرَ تشارلز كَيفَ انتَشَرَ البَرْدُ في جِسمِهِ وَحَوَّلَهُ إِلَى كُتلَةٍ مِنَ الثَّلجِ.

هُناكَ ضَوءٌ شَاحِبٌ مُنبَعِثٌ مِنَ المَنارَةِ.

استَدَارَ تشارلز في مَكَانِهِ. لَمْ يَرَ أَحدًا في الجِوَارِ. وَلَمْ يَسمَعْ صَوتًا. لَكِنَّ نُورَ البدْرِ لَمَعَ في سَمَاءِ الليلِ. تَنفَّسَ تشارلز الصُّعَدَاءَ. إِنَّهُ نُورُ البَدرِ

يَنعَكِسُ في أَلْوَاحِ الزُّجَاجِ في مَنَافِذِ المَنَارَةِ. لَا شَيءَ سِوى نُورِ البدرِ.

وَرَأتْ بوني ذَلِكَ أيضًا.

– أُوه، قَالَتْ وَتنهَّدَتْ. ظَنَنْتُ أَنَّ نُورَ المَنَارَةِ عَادَ وَأَضَاءَ ثَانِيةً.

– ظَنَنْتُ ذَلِكَ أَنَا أَيضًا.

– هَيَّا، تَعَالَ، قَالَتْ بوني لِفيني. سَنذهَبُ لِلنَومِ الآنَ.

ثُمَّ استدَارُوا وَسَارُوا نَحوَ المَنزِلِ. تَبعَهُم فيني رُغمًا عنه. لَمْ يَلحَظْ أَيٌّ مِنهُمُ الغيومَ السَّودَاءَ الَّتي تَكدَّسَتْ في السَّمَاءِ. لَمْ يَظهَرْ مِنَ البدرِ إِلَّا جُزءًا ضَئيلًا. وَعَلَى الرَّغمِ مِنْ ذَلِكَ، بَدَا وَكَأَنَّ نُورًا شَاحِبًا ظَلَّ يَنبَعِثُ مِنَ المَنَارَةِ.

عندما وصلا إلى زاوية الشارع، تغيّر كلّ شيء من حولهما. فجأة ظهرت ساحة أمامهما. ثُمّ رأى كلٌّ منهما المشهد؛ جرف صخريّ ضخم في الجهة الأخرى من القرية الصغيرة، وعلى حافة الجرف ظهر منزل كبير، ومنارة ضخمة؛ منارة لم تكن ظاهرة في الصور.

- واوا قال تشارلز.

لم يرَ منارة حقيقية من قبل، أو على الأقل منارة ضخمة كهذه. وتلك الصخرة ليست صخرة في الحقيقة، فكّر تشارلز. إنها جبل مائل.

- ماذا تقول الآن؟ قالت بوني بنبرة المنتصر. هناك، فوق تلك الصخرة بالضبط، تسكن جدّتي. ثُمّ سارا عبر شارع القرية الساكنة. ووصلا أخيرًا إلى الصخرة، وإلى طريق يصعد ملتويًا باتجاه المنزل. حين كانا على وشك الانعطاف للمضي في ذلك الطريق، التقيا بسيدتين مسنّتين تسيران على الرصيف. وراحتا تحدّقان فيهما. سمع كلٌّ من بوني وتشارلز همس السيدتين:

- عسى ألّا تطول إقامتهما هنا. لا أمان هنا لأحد؛ في خليج الظلّ.

قصة جديدة للكاتبة كرستينا أولسون أشهر المؤلفين السويديين في الكتابة لليافعين.

صدر سابقا للكاتبة عن دار المنى:

الأطفال الزجاجيون
صبي الفضة
ملائكة من حجر



دار المنى